الجزء الثاني

كتاب

رحلة ابن بطوطة

المسماة

تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار

الطبعة الاولى
بالمطبعة الخيرية
لمالكها ومديرها السيد (عمر حسين الخشاب)
سنة ١٣٢٢
هجريه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ﴾

قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي
المعروف بابن بطوطة رحمه الله تعالى

ولما كان بتاريخ الغرة من شهر الله المحرم مفتتح عام أربعة وثلاثين وسبعمائة وصلنا الى وادى السند المعروف ببنج آب ومعنى ذلك المياه الخمسة وهذا الوادي من أعظم أودية الدنيا وهو يفيض في أوان الحر فيزرع أهل تلك البلاد على فيضه كما يفعل أهل الديار المصرية في فيض النيل وهذا الوادي هو أول عمالة السلطان المعظم محمد شاه ملك الهند والسند ولما وصلنا الى هذا النهر جاء الينا أصحاب الاخبار الموكلون بذلك وكتبوا بخبرنا الى قطب الملك أمير مدينة ملتان وكان أمير أمراء السند على هذا العهد مملوك للسلطان يسمى سرتيز وهو عرض المماليك وبين يديه تعرض عساكر السلطان ومعنى اسمه الحاد الرأس لان سر (بفتح السين المهملة وسكون الراء) هو الرأس وتيز (بتاء معلوة وياء مدوزاى) معناه الحاد وكان في حين قدومنا بمدينة سيوستان من السند وبينها وبين ملتان مسيرة عشرة أيام وبين بلاد السند وحضرة السلطان مدينة دهلى مسيرة خمسين يوما واذا كتب المخبرون الى السلطان من بلاد السند يصل الكتاب اليه في خمسة أيام بسبب البريد

﴿ ذكر البريد ﴾

والبريد ببلاد الهند صنفان فاما بريد الخيل فيسمونه الولاق (اولاق) (بضم الواو وآخره قاف) وهو خيل تكون للسلطان في كل مسافة أربعة أميال وأما بريد الرجالة فيكون في مسافة الميل الواحد منه ثلاث رتب ويسمونها الداوة (بالدال المهمل والواو) الداوة هي ثلث ميل والميل عندهم يسمى الكروة (بضم الكاف والراء) وترتيب ذلك ان يكون في كل ثلث ميل قرية معمورة ويكون بخارجها ثلاث قباب يقعد فيها الرجاله

مستعدين للحركة قد شدوا أوساطهم وعند كل واحد منهم مقرعة مقدار ذراعين باعلاها جلاجل نحاس فاذا خرج البريد من المدينة أخذ الكتاب بأعلى يده والمقرعة ذات الجلاجل باليد الاخرى وخرج يشتد بمنتهى جهده فاذا سمع الرجال الذين بالقباب صوت الجلاجل تأهبوا له فاذا وصلهم أخذ أحدهم الكتاب من يده ومر بأقصى جهده وهو يحرك المقرعة حتى يصل الي الداوة الاخري ولا يزالون كذلك حتي يصل الكتاب الي حيث يراد منه وهذا البريد أسرع من بريد الخيل وربما حملوا على هذا البريد الفواكه المستطرفة بالهند من فواكه خراسان يجعلونها فى الاطباق ويشتدون بها حتي تصل الى السلطان وكذلك يحملون أيضاً الكبار من ذوى الجنايات يجعلون الرجل منهم على سرير ويرفعونه فوق رؤسهم ويسيرون به شدا وكذلك يحملون الماء لشرب السلطان اذا كان بدولة أباد يحملونه من نهر الكنك الذى تحج الهنود اليه وهو على مسيرة أربعين يوما منها واذا كتب المخبرون الي السلطان بخبر من يصل الى بلاده استوعبوا الكتاب وأمعنوا في ذلك وعرفوه انه ورد رجل صورته كذا ولباسه كذا وكتبوا عدد أصحابه وغلمانه وخدامه ودوابه وترتيب حاله في حركته وسكونه وجميع تصرفاته لا يغادرون من ذلك كله شيأ فاذا وصل الوارد الي مدينة ملتان وهى قاعدة بلاد السند أقام بها حتى ينفذ أمر السلطان بقدومه وما يجرى له من الضيافة وانما يكرم الانسان هنالك بقدر ما يظهر من أفعاله وتصرفاته وهمته اذ لا يعرف هنالك حسبه ولا آباؤه ومن عادة ملك الهند السلطان أبي المجاهد محمد شاه اكرام الغرباء ومحبتهم وتخصيصهم بالولايات والمراتب الرفيعة ومعظم خواصه وحجابه ووزرائه وقضاته وأصهاره غرباء ونفذ أمره بان يسمى الغرباء في بلاده بالاعزة فصار لهم ذلك اسما علما ولا بد لكل قادم على هذا الملك من هدية يهديها اليه ويقدمها وسيلة بين يديه فيكافئه السلطان عليها بأضعاف مضاعفة وسيمر من ذكر هدايا الغرباء اليه كثير ولما تعود الناس ذلك منه صار التجار الذين ببلاد السند والهند يعطون لكل قادم على السلطان الآلاف من الدنانير دينا ويجهزونه بما يريد أن يهديه اليه أو يتصرف فيه لنفسه من الدواب للركوب والجمال والامتعة ويخدمونه بأموالهم

بين يديه كالحشم فاذا وصل الى السلطان أعطاه العطاء الجزيل فقضي ديونهم ووفاهم حقوقهم فنفقت تجارتهم وكثرت أرباحهم وصار لهم ذلك عادة مستمرة ولما وصلت الى بلاد السند سلكت ذلك المنهج واشتريت من التجار الخيل والجمال والمماليك وغير ذلك ولقد اشتريت من تاجر عراقي من أهل تكريت يعرف بمحمد الدوري بمدينة غزنة نحو ثلاثين فرسا وجملا عليه حمل من النشاب فانه مما يهدى الى السلطان وذهب التاجر المذكور الى خراسان ثم عاد الى الهند وهنالك تقاضي مني ماله واستفاد بسببي فائدة عظيمة وعاد من كبار التجار ولقيته بمدينة حلب بعد سنين كثيرة وقد سلبني الكفار ما كان بيدي فلم ألق منه خيراً

﴿ ذكر الكركدن ﴾

ولما أجزنا نهر السند المعروف ببنج آب دخلنا غيضة قصب لسلوك الطريق لانه في وسطها فخرج علينا الكركدن وصورته انه حيوان أسود اللون عظيم الجرم رأسه كبير متفاوت الضخامة ولذلك يضرب به المثل فيقال الكركدن رأس بلا بدن وهو دون الفيل ورأسه أكبر من رأس الفيل بأضعاف وله قرن واحد بين عينيه طوله نحو ثلاثة أذرع وعرضه نحو شبر ولما خرج علينا عارضه بعض الفرسان في طريقه فضرب الفرس الذي كان تحته بقرنه فأنفذ فخذه وصرعه وعاد الى الغيضة فلم نقدر عليه وقد رأيت الكركدن مرة ثانية في هذا الطريق بعد صلاة العصر وهو يرعي نبات الارض فلما قصدناه هرب منا ورأيته مرة أخرى ونحن مع ملك الهند دخلنا غيضة قصب وركب السلطان على الفيل وركبنا معه الفيلة ودخلت الرجالة والفرسان فأثاروه وقتلوه واستاقوا رأسه الى المحلة وسرنا من نهر السند يومين ووصلنا الى مدينة جناني (وضبط اسمها بفتح الجيم والنون الاولى وكسر الثانية) مدينة كبيرة حسنة على ساحل نهر السند لها أسواق مليحة وسكانها طائفة يقال لهم السامرة استوطنوها قديما واستقربها اسلافهم حين فتحها على أيام الحجاج بن يوسف حسبما أثبت المؤرخون في فتح السند وأخبرني الشيخ الامام العالم العامل الزاهد العابد ركن الدين الفقيه الصالح شمس الدين بن الشيخ الامام العابد الزاهد بهاء الدين

زكرياء القرشي وهو أحد الثلاثة الذين أخبرني الشيخ الولي الصالح برهان الدين الاعرج بمدينة الاسكندرية اني سألقاهم في رحلتي فلقيتهم والحمد لله ان جده الاعلى كان يسمى بمحمد بن قاسم القرشي وشهد فتح السند في العسكر الذي بعثه لذلك الحجاج بن يوسف أيام امارته على العراق وأقام بها وتكاثرت ذريته وهؤلاء الطائفة المعروفون بالسامرة لا يأكلون مع أحد ولا ينظر اليهم أحد حين يأكلون ولا يصاهرون أحدا من غيرهم ولا يصاهرهم أحد وكان لهم في هذا العهد أمير يسمى ونار (بضم الواو وفتح النون) وسنذكر خبره ثم سافرنا من مدينة جناني الى أن وصلنا الى مدينة سيوستان (وضبط اسمها بكسر السين الاول المهمل وياء مد وواو مفتوح وسين مكسور وتاء معلوة وآخره نون) وهي مدينة كبيرة وخارجها صحراء ورمال لا شجر بها الا شجر أم غيلان ولا يزدرع على نهرها شيء ما عدا البطيخ وطعامهم الذرة والجلبان ويسمونه المشنك (بميم وشين معجم مضمومين ونون مسكن) ومنه يصنعون الخبز وهي كثيرة السمك والالبان الجاموسية وأهلها يأكلون السقنقور وهي دويبة شبيهة بأم حبين التي يسميها المغاربة حنيشة الجنة الا انها لا ذنب لها ورأيتهم يحتفرون الرمل ويستخرجونها منه ويشقون بطنها ويرمون بما فيه ويحشونه بالكركم وهم يسمونه زردشوبه ومعناه العود الاصفر وهو عندهم عوض الزعفران ولما رأيت تلك الدويبة وهم يأكلونها استقذرتها فلم آكلها ودخلنا هذه المدينة في احتدام القيظ وحرها شديد فكان أصحابي يقعدون عريانين يجعل أحدهم فوطة على وسطه وفوطة على كتفيه مبلولة بالماء فما يمضي اليسير من الزمان حتى تيبس تلك الفوطة فيبلها مرة أخرى هكذا أبداً ولقيت بهذه المدينة خطيبها المعروف بالشيباني وأراني كتاب أمير المؤمنين الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لجده الاعلى بخطابة هذه المدينة وهم يتوارثونها من ذلك العهد الى الآن

(ونص الكتاب) هذا ما أمر به عبد الله أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لفلان وتاريخه سنة تسع وتسعين وعليه مكتوب بخط أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الحمد لله وحده على ما أخبرني الخطيب المذكور ولقيت بها أيضاً الشيخ المعمر

الق على قبر الشيخ الصالح عثمان المرندي وذكر ان عمره يزيد على مائة وأربعين سنة وانه حضر لقتل المستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس رضى الله عنهم لما قتله الكافر هلاون بن تنكيز التترى وهذا الشيخ على كبر سنه قوي الجثة يتصرف على قدميه (حكاية)

كان يسكن بهذه المدينة الامير ونار السامرى الذى تقدم ذكره والامير قيصر الرومى وهما في خدمة السلطان ومعهما نحو ألف وثمانمائة فارس وكان يسكن بها كافر من الهنود اسمه رتن (بفتح الراء وبفتح التاء المعلوة والنون) وهو من الحذاق بالحساب والكتابة فوفد على ملك الهند مع بعض الامراء فاستحسنه السلطان وسماه عظيم السند وولاه بتلك البلاد واقطعه سيوستان وأعمالها وأعطاه المراتب وهي الاطبال والعلامات كما يعطي كبار الامراء فلما وصل الى تلك البلاد عظم على ونار قيصر وغيرهم تقديم الكافر عليهم فاجمعوا على قتله فلما كان بعد أيام من قدومه أشاروا عليه بالخروج الى احواز المدينة ليتطلع على أمورها فخرج معهم فلما جن الليل أقاموا ضجة بالمحلة وزعموا ان السبع ضرب عليها وقصدوا مضرب الكافر فقتلوه وعادوا الى المدينة فأخذوا ما كان بها من مال السلطان وذلك اثنى عشر لكا واللك مائة ألف دينار وصرف اللك عشرة آلاف دينار من ذهب الهند وصرف الدينار الهندى ديناران ونصف دينار من ذهب المغرب وقدموه على أنفسهم ونار المذكور وسموه ملك فيروز وقسم الاموال على العسكر ثم خاف على نفسه لبعده عن قبيلته فخرج فيمن معه من أقاربه وقصد قبيلته وقدم الباقون من العسكر على أنفسهم قيصر الرومي واتصل خبرهم بعماد الملك سرتيز مملوك السلطان وهو يومئذ أمير أمراء السند وسكناه بملتان فجمع العساكر وتجهز في البر وفى نهر السند وبين ملتان وسيوستان عشرة أيام وخرج اليه قيصر فوقع اللقاء وانهزم قيصر ومن معه أشنع هزيمة وتحصنوا بالمدينة فحصرهم ونصب المجانيق عليهم واشتد عليهم الحصار فطلبوا الامان بعد أربعين يوما من نزوله عليهم فاعطاهم الامان فلما نزلوا اليه غدرهم وأخذ أموالهم وأمر بقتلهم فكان كل يوم يضرب أعناق بعضهم ويوسط بعضهم ويسلخ آخرين منهم ويملأ جلودهم تبنا [...]ر فكان معظمه عليه تلك الجلود مصلوبة ترعب من ينظر اليها وجمع

رؤسهم في وسط المدينة فكانت مثل التل هنالك ونزلت بتلك المدينة اثر هذه الوقيعة بمدرسة فيها كبيرة وكنت أنام على سطحها فاذا استيقظت من الليل أرى تلك الجلود المصلوبة فتشمئز النفس منها ولم تطب نفسي بالسكنى بالمدرسة فانتقلت عنها وكان الفقيه الفاضل العادل علاء الملك الخراساني المعروف بفصيح الدين قاضي هرات في متقدم التاريخ قد وفد على ملك الهند فولاه مدينة لاهري واعمالها من بلاد السند وحضر هذه الحركة مع عماد الملك سرتيز بمن معه من العساكر فعزمت على السفر معه الى مدينة لاهري وكان له خمسة عشر مركبا قدم بها في نهر السند تحمل أثقاله فسافرت

﴿ ذكر السفر في نهر السند وترتيب ذلك ﴾

وكان للفقيه علاء الملك في جملة مراكبه مركب يعرف بالأهورة (بفتح الهمزة والهاء وسكون الواو وفتح الراء) وهي نوع من الطريدة عندنا الا انها أوسع منها وأقصر وعلى نصفها معرش من خشب يصعد له على درج وفوقه مجلس مهيأ لجلوس الامير ويجلس أصحابه بين يديه ويقف المماليك يمنة ويسرة والرجال يقذفون وهم نحو أربعين ويكون مع هذه الأهورة أربعة من المراكب عن يمينها ويسارها اثنان منها فيهما مراتب الامير وهي العلامات والطبول والابواق والانفار والصرنايات وهي الغيطات والآخران فيهما أهل الطرب فتضرب الطبول والابواق نوبة ويغني المغنون نوبة ولا يزالون كذلك من أول النهار الى وقت الغداء فاذا كان وقت الغداء انضمت المراكب ووصل بعضها ببعض ووضعت بينهما الاصقالات وأتى أهل الطرب الى أهورة الامير فيغنون الى أن يفرغ من أكله ثم يأكلون واذا انقضى الاكل عادوا الى مركبهم وشرعوا أيضا في السير على ترتيبهم الى الليل فاذا كان الليل ضربت المحلة على شاطئ النهر ونزل الامير الى مضاربه ومد السماط وحضر الطعام معظم العسكر فاذا صلوا العشاء الاخيرة سهر السمار بالليل نوبا فاذا أتم أهل النوبة منهم نوبتهم نادى مناد منهم بصوت عال ياخوند ملك قد مضى من الليل كذا من الساعات ثم يسهر أهل النوبة الاخرى فاذا أتموها نادى مناديهم أيضا معلما بما مر من الساعات فاذا كان الصبح ضربت الابواق والطبول وصليت صلاة الصبح وأتى

فاذا فرغ الاكل أخذوا في المسير فان أراد الامير ركوب النهر ركب على ماذكرناه من الترتيب وان أراد المسير في البر ضربت الاطبال والابواق وتقدم حجابه ثم تلاهم المشاؤون بين يديه ويكون بين أيدي الحجاب ستة من الفرسان عند ثلاثة منهم أطبال قد تقلدوها وعند ثلاثة صرنايات فاذا أقبلوا على قرية أو ما هو من الارض مرتفع ضربوا تلك الاطبال والصرنايات ثم تضرب أطبال العسكر وأبواقه ويكون عن يمين الحجاب ويسارهم المغنون يغنون نوبا فاذا كان وقت الغداء نزلوا وسافرت مع علاء الملك خمسة أيام ووصلنا الى موضع ولايته وهو مدينة لاهرى (وضبط اسمها بفتح الهاء وكسر الراء) مدينة حسنة على ساحل البحر الكبير وبها يصب نهر السند في البحر فيلتقي بها بحران ولها مرسى عظيم يأتي اليه أهل اليمن وأهل فارس وغيرهم وبذلك عظمت جباياتها وكثرت أموالها أخبرني الامير علاء الملك المذكور ان مجبى هذه المدينة ستون لكا في السنة وقد ذكرنا مقدار اللك وللامير من ذلك نيم (نيم) ده يك ومعناه نصف العشر وعلى ذلك يعطي السلطان البلاد لعماله يأخذون منها لانفسهم نصف العشر

﴿ ذكر غريبة رأيتها بخارج هذه المدينة ﴾

وركبت يوما مع علاء الملك فانتهينا الى بسيط من الارض على مسافة سبعة أميال منها يعرف بتارنا فرأيت هنالك مالا يحصره العد من الحجارة على مثل صور الآدميين والبهائم وقد تغير كثير منها ودثرت أشكاله فبقي منه صورة رأس أو رجل أو سواهما ومن الحجارة أيضا على صور الحبوب من البر والحمص والفول والعدس وهنالك آثار سور وجدرات دور ثم رأينا رسم دار فيها بيت من حجارة منحوتة وفي وسطه دكانة حجارة منحوتة كأنها حجر واحد عليها صورة آدمي الا ان رأسه طويل وفمه في جانب من وجهه ويداه خلف ظهره كالمكتوف وهنالك مياه شديدة النتن وكتابة على بعض الجدرات بالهندي وأخبرني علاء الملك ان أهل التاريخ يزعمون ان هذا الموضع كانت فيه مدينة عظيمة أكثر أهلها الفساد فمسخوا حجارة وان ملكهم هو الذى على الدكانة في الدار التي ذكرناها وهي ... دار الملك وان الكتابة التي في بعض الحيطان هنالك بالهندي هي تاريخ

أهل تلك المدينة وكان ذلك منذ ألف سنة أو نحوها وأقمت بهذه المدينة مع علاء الملك خمسة أيام ثم أحسن في الزاد وانصرفت عنه الى مدينة بكار (بفتح الباء الموحدة) وهي مدينة حسنة يشقها خليج من نهر السند وفي وسط ذلك الخليج زاوية حسنة فيها الطعام للوارد والصادر عمرها كشلوخان أيام ولايته على بلاد السند وسيقع ذكره ولقيت بهذه المدينة الفقيه الامام صدر الدين الحنفي ولقيت بها قاضيها المسمى بأبي حنيفة ولقيت بها الشيخ العابد الزاهد شمس الدين محمد الشيرازي وهو من المعمرين ذكر لي ان سنه يزيد على مائة وعشرين عاما ثم سافرت من مدينة بكار فوصلت الى مدينة أوجه (وضبط اسمها بضم الهمزة وفتح الجيم) وهي مدينة كبيرة على نهر السند لها أسواق حسنة وعمارة جيدة وكان الامير بها اذ ذاك الملك الفاضل الشريف جلال الدين الكيجي أحد الشجعان الكرماء وبهذه المدينة توفي بعد سقطة سقطها عن فرسه

﴿ مكرمة لهذا الملك ﴾

ونشأت بيني وبين هذا الملك الشريف جلال الدين مودة وتأكدت بيننا الصحبة والمحبة واجتمعنا بحضرة دهلي فلما سافر السلطان الى دولة أباد كما سنذكره وأمرني بالاقامة بالحضرة قال لي جلال الدين انك تحتاج الى نفقة كبيرة والسلطان تطول غيبته فخذ قريتي واستغلها حتى أعود ففعلت ذلك واستغللت منها نحو خمسة آلاف دينار جزاه الله أحسن جزائه ولقيت بمدينة أوجه الشيخ العابد الزاهد الشريف قطب الدين حيدر العلوي وألبسني الخرقة وهو من كبار الصالحين ولم يزل الثوب الذي ألبسنيه معي الى أن سلبني كفار الهنود في البحر ثم سافرت من أوجه الى مدينة ملتان (وضبط اسمها بضم الميم وتاء مملوة) وهي قاعدة بلاد السند ومسكن أمير أمرائه وفي الطريق اليها على مسافة عشرة أميال منها الوادي المعروف بخسرو آباد وهو من الاودية الكبار لا يجاز الا في المراكب وبه يبحث عن أمتعة المجتازين أشد البحث وتفتش رحالهم وكانت عادتهم في حين وصولنا اليها أن يأخذوا الربع من كل ما يجلبه التجار ويأخذوا على كل فرس سبعة دنانير مغرما ثم بعد وصولنا للهند بسنتين رفع السلطان تلك المغارم وأمر ان لا يؤخذ من الناس الا الزكاة

بايع للخليفة أبي العباس العباسي ولما أخذنا في اجازة هذا الوادي وفتشت الرحال عظم على تفتيش رحلي لانه لم يكن فيه طائل وكان يظهر في أعين الناس كبيرا فكنت اكره ان يطلع عليه ومن لطف الله تعالى ان وصل أحد كبار الاجناد من جهة قطب الملك صاحب ملتان فأمر ان لا يعرض لي بحث ولا تفتيش فكان كذلك فحمدت الله على ما هيأه لي من لطائفه وبتنا تلك الليلة على شاطئ الوادي وقدم علينا في صبيحتها ملك البريد واسمه دهقان وهو سمرقندي الاصل وهو الذي يكتب للسلطان بأخبار تلك المدينة وعمالتها وما يحدث بها ومن يصل اليها فتعرفت به ودخلت في صحبته الى أمير ملتان

﴿ ذكر أمير ملتان وترتيب حاله ﴾

وأمير ملتان هو قطب الملك من كبار الامراء وفضلائهم لما دخلت اليه قام الي وصافحني وأجلسني الى جانبه وأهديت له مملوكا وفرسا وشيا من الزبيب واللوز وهو من أعظم ما يهدي اليهم لانه ليس ببلادهم وانما يجلب من خراسان وكان جلوس هذا الامير على دكانة كبيرة عليها البسط وعلى مقربة منه القاضي ويسمى سالار والخطيب ولا أذكر اسمه وعن يمينه ويساره أمراء الاجناد وأهل السلاح وقوف على رأسه والعساكر تعرض بين يديه وهنالك قسي كثيرة فاذا أتي من يريد ان يثبت في العسكر راميا أعطي قوسا من تلك القسي ينزع فيها وهي متفاوتة في الشدة فعلى قدر نزعه يكون مرتبه ومن أراد أن يثبت فارسا فهنالك طبلة منصوبة فيجري فرسه ويرميها برمحه وهنالك أيضا خاتم معلق من حائط صغير فيجري فرسه حتى يحاذيه فان رفعه برمحه فهو الجيد عندهم ومن أراد أن يثبت راميا فارسا فهنالك كرة موضوعة في الارض فيجري فرسه ويرميها وعلى قدر ما يظهر من الانسان في ذلك من الاصابة يكون مرتبه ولما دخلنا على هذا الامير وسلمنا عليه كما ذكرناه أمر بانزالنا في دار خارج المدينة هي لاصحاب الشيخ العابد ركن الدين الذي تقدم ذكره وعادتهم أن لا يضيفوا أحدا حتى يأتي أمر السلطان بتضييفه

﴿ ذكر من اجتمعت به في هذه المدينة من الغرباء الوافدين على حضرة ملك الهند ﴾

فمنهم خداوند زاده قوام الدين قاضي ترمذ قدم بأهله وولده ثم ورد عليه بها اخوته عماد

الدين وضياء الدين وبرهان الدين ومنهم مبارك شاه أحد كبار سمرقند ومنهم أرن بغا أحد كبار بخارى ومنهم ملك زاده ابن أخت خداوندزاده ومنهم بدر الدين الفصال وكل واحد من هؤلاء معه أصحابه وخدامه وأتباعه ولما مضي الي وصولنا الى ملتان شهران وصل أحد حجاب السلطان وهو شمس الدين البوشنجي والملك محمد الهروى الكتوال بعثهما السلطان لاستقبال خداوندزاده وقدم معهم ثلاثة من الفتيان بعثتهم المخدومة جهان وهي أم السلطان لاستقبال زوجة خداوندزاده المذكور وأتوا بالخلع لهما ولاولادهما ولتجهيز من قدم من الوفود وأتوا جميعا الي وسألوني لماذا قدمت فاخبرتهم انى قدمت للاقامة في خدمة خوندعالم وهو السلطان وبهذا يدعي في بلاده وكان أمر أن لا يترك أحد ممن يأتي من خراسان يدخل بلاد الهند الا ان كان برسم الاقامة فلما أعلمتهم اني قدمت للاقامة استدعوا القاضى والعدول وكتبوا عقدا على وعلى من أراد الاقامة من أصحابي وأبى بعضهم من ذلك وتجهزنا للسفر الى الحضرة وبين ملتان وبينها مسيرة أربعين يوما في عمارة متصلة واخرج الحاجب وصاحبه الذى بعث معه ما يحتاج اليه في ضيافة قوام الدين واستصحبوا من ملتان نحو عشرين طباخا وكان الحاجب يتقدم ليلا الى كل منزل فيجهز الطعام وسواه فما يصل خداوندزاده حتى يكون الطعام متيسرا وينزل كل واحد ممن ذكرناهم من الوفود على حدة بمضاربه واصحابه وربما حضروا الطعام الذى يصنع لخداوندزاده ولم أحضره انا الا مرة واحدة وترتيب ذلك الطعام انهم يجعلون الخبز وخبزهم الرقاق وهو شبه الجراديق ويقطعون اللحم المشوى قطعا كبارا بحيث تكون الشاة أربع قطع أو ستا ويجعلون امام كل رجل قطعة ويجعلون أقراصا مصنوعة بالسمن تشبه الخبز المشرك ببلادنا ويجعلون في وسطها الحلواء الصابونية ويغطون كل قرص منها برغيف حلواء يسمونه الخشتي ومعناه الاجرى مصنوع من الدقيق والسكر والسمن ثم يجعلون اللحم المطبوخ بالسمن والبصل والزنجبيل الاخضر فى صحاف صينية ثم يجعلون شيأ يسمونه سموسك وهو لحم مهروس مطبوخ باللوز والجوز والفستق والبصل والابازير موضوع فى جوف رقاقة مقلوة بالسمن يضعون امام كل انسان

ذلك أو أربعا ثم يجعلون الارز المطبوخ بالسمن وعليه الدجاج ثم يجعلون لقيمات القاضي ويسمونها الهاشمي ثم يجعلون القاهرية ويقف الحاجب على السماط قبل الاكل ويخدم الى الجهة التي فيها السلطان ويخدم جميع من حضر لخدمته والخدمة عندهم حط الرأس نحو الركوع فاذا فعلوا ذلك جلسوا للأكل ويؤتى بأقداح الذهب والفضة والزجاج مملوءة بماء النبات وهو الجلاب محلولا في الماء ويسمون ذلك الشربة ويشربونه قبل الطعام ثم يقول الحاجب باسم الله فعند ذلك يشرعون في الاكل فاذا أكلوا أتوا بأكواز الفقاع فاذا شربوه أتوا بالتنبول والفوفل وقد تقدم ذكرهما فاذا أخذوا التنبول والفوفل قال الحاجب باسم الله فيقومون ويخدمون مثل خدمتهم أولا وينصرفون وسافرنا من مدينة ملتان وهم يجرون هذا الترتيب على حسب ما سطرناه الى ان وصلنا الى بلاد الهند وكان أول بلد دخلناه مدينة أبوهر (بفتح الهاء) وهي أول تلك البلاد الهندية صغيرة حسنة كثيرة العمارة ذات أنهار وأشجار وليس هنالك من أشجار بلادنا شيء ما عدا النبق لكنه عندهم عظيم الجرم تكون الحبة منه بمقدار حبة العفص شديد الحلاوة ولهم أشجار كثيرة ليس يوجد منها شيء ببلادنا ولا بسواها

﴿ ذكر أشجار بلاد الهند وفواكهها ﴾

فمنها العنبة (بفتح العين وسكون النون وفتح الباء الموحدة) وهي شجرة تشبه أشجار النارنج الا أنها أعظم اجراما وأكثر أوراقا وظلها أكثر الظلال غير انه ثقيل فمن نام تحته وعك وثمرها على قدر الاجاص الكبير فاذا كان أخضر قبل تمام نضجه أخذوا ما سقط منه وجعلوا عليه الملح وصيروه كما يصير الليم والليمون ببلادنا وكذلك يصيرون أيضاً الزنجبيل الاخضر وعناقيد الفلفل ويأكلون ذلك مع الطعام يأخذون بأثر كل لقمة يسيرا من هذه المملوحات فاذا نضجت العنبة في أوان الخريف أصفرت حباتها فأكلوها كالتفاح فبعضهم يقطعها بالسكين وبعضهم يمصها مصاً وهي حلوة يمازج حلاوتها يسير حموضة ولها نواة كبيرة يزرعونها فتنبت منها الاشجار كما تزرع نوى النارنج وغيرها ومنها الشكي ... الشين المعجم وكسر الكاف وفتح الباء الموحدة وكسر الكاف أيضاً) وهي

أشجار عادية أوراقها كأوراق الجوز وثمرها يخرج من أصل الشجرة فما اتصل منه بالارض فهو البركي وحلاوته أشد ومطعمه أطيب وما كان فوق ذلك فهو الشكي وثمره يشبه القرع الكبار وجلوده تشبه جلود البقر فاذا اصفر في أوان الخريف قطعوه وشقوه فيكون في داخل كل حبة المائة والمائتان فما بين ذلك من حبات تشبه الخيار بين كل حبة وحبة صفاق أصفر اللون ولكل حبة نواة تشبه الفول الكبير واذا شويت تلك النواة أو طبخت يكون طعمها كطعم الفول اذ ليس يوجد هنالك ويدخرون هذه النوى في التراب الاحمر فتبقى الى سنة أخرى وهذا الشكي والبركي هو خير فاكهة ببلاد الهند ومنها التندو (بفتح التاء المثناة وسكون النون وضم الدال) وهو ثمر شجر الابنوس وحباته في قدر حبات المشمش ولونها شديد الحلاوة ومنها الجون (بضم الجيم المعقودة) وأشجاره عادية ويشبه ثمرة الزيتون وهو أسود اللون ونواه واحدة كالزيتون ومنها النارنج الحلو وهو عندهم كثير وأما النارنج الحامض فعزيز الوجود ومنه صنف ثالث يكون بين الحلو والحامض وثمره على قدر الليم وهو طيب جدا وكنت يعجبني أكله ومنها المهوا (بفتح الميم والواو) وأشجاره عادية وأوراقه كأوراق الجوز الا أن فيها حمرة وصفرة وثمره مثل الاجاص الصغير شديد الحلاوة وفي أعلى كل حبة منه حبة صغيرة بمقدار حبة العنب مجوفة وطعمها كطعم العنب الا أن الاكثار من أكلها يحدث في الرأس صداعا ومن العجب ان هذه الحبوب اذا يبست في الشمس كان مطعمها كطعم التين وكنت آكلها عوضا من التين اذ لا يوجد ببلاد الهند وهم يسمون هذه الحبة الانكور (بفتح الهمزة وسكون النون وضم الكاف المعقودة والواو والراء) وتفسيره بلسانهم العنب والعنب بأرض الهند عزيز جدا ولا يكون بها الا في مواضع بحضرة دهلي وببلاد أخر ويثمر مرتين في السنة ونوى هذا الثمر يصنعون منه الزيت ويستصبحون به ومن فواكههم فاكهة يسمونها كسيرا (بفتح الكاف وكسر السين المهمل وياء مد وراء) يحفرون عليها الارض وهي شديدة الحلاوة تشبه القسطل وببلاد الهند من فواكه بلادنا الرمان ويثمر مرتين في السنة ورأيته بجزائر ذيبة المهمل لا ينقطع له ثمر وهم يسمونه أنار (بفتح الهمـ

فذلك هو الاصل في تسمية الجلنار فان جل بالفارسية الزهر ونار الرمان

﴿ ذكر الحبوب التي يزرعها أهل الهند ويقتاتون بها ﴾

وأهل الهند يزرعون مرتين في السنة فاذا نزل المطر عندهم في أوان القيظ زرعوا الزرع الخريفي وحصدوه بعد ستين يوما من زراعته ومن هذه الحبوب الخريفية عندهم الكذرو (بضم الكاف وسكون الذال المعجم وضم الراء وبعدها واو) وهو نوع من الدخن وهذا الكذرو هو أكثر الحبوب عندهم ومنها القال (بالقاف) وهو شبه انلي ومنها الشاماخ (بالشين والخاء المعجمين) وهو أصغر حبا من القال وربما نبت هذا الشاماخ من غير زراعة وهو طعام الصالحين وأهل الورع والفقراء والمساكين يخرجون لجمع ما نبت منه من غير زراعة فيمسك أحدهم قفة كبيرة بيساره وتكون بيمناه مقرعة يضرب بها الزرع فيسقط في القفة فيجمعون منه ما يقتاتون به جميع السنة وحب هذا الشاماخ صغير جداً واذا جمع جعل في الشمس ثم يدق في مهاريس الخشب فيطير قشره ويبقى لبه أبيض ويصنعون منها عصيدة يطبخونها بحليب الجواميس وهي أطيب من خبزه وكنت آكلها كثيراً ببلاد الهند وتعجبني ومنها الماش وهو نوع من الجلبان ومنها المنج (بميم مضموم ونون وجيم وهو نوع من الماش الا أن حبوبه مستطيلة ولونه صافي الخضرة ويطبخون المنج مع الارز ويأكلونه بالسمن ويسمونه كشرى (بالكاف والشين المعجم والراء) وعليه يفطرون في كل يوم وهو عندهم كالحريرة ببلاد المغرب ومنها اللوبيا وهي نوع من الفول ومنها الموت (بضم الميم) وهو مثل الكذرو الا أن حبوبه أصغر وهو من علف الدواب عندهم وتسمن الدواب بأكله والشعير عندهم لا قوة له وانما علف الدواب من هذا الموت أو الحمص يجرشونه ويبلونه بالماء ويطعمونه الدواب ويطعمونها عوضا من القصيل أوراق الماش بعد أن تسقى الدابة السمن عشرة أيام في كل يوم مقدار ثلاثة أرطال أو أربعة ولا تركب في تلك الايام وبعد ذلك يطعمونها أوراق الماش كما ذكرنا شهرا أو نحوه وهذه الحبوب التي ذكرناها هي الخريفية واذا حصدوها بعد ستين يوما من زراعتها الحب الربيعية وهي القمح والشعير والحمص والعدس وتكون زراعتها في

الارض التي كانت الحبوب الخريفية مزدرعة فيها وبلادهم كريمة طيبة التربة وأما الأرز فانهم يزدرعونه ثلاث مرات في السنة وهو من أكبر الحبوب عندهم ويزدرعون السمسم وقصب السكر مع الحبوب الخريفية التي تقدم ذكرها * ولنعد الى ما كنا بسبيله فاقول سافرنا من مدينة أبوهر في صحراء مسيرة يوم في أطرافها جبال منيعة يسكنها كفار الهنود وربما قطعوا الطريق وأهل بلاد الهند أكثرهم كفار فمنهم رعية تحت ذمة المسلمين يسكنون القرى ويكون عليهم حاكم من المسلمين يقدمه العامل أو الخديم الذي تكون القرية في اقطاعه ومنهم عصاة محاربون يمتنعون بالجبال ويقطعون الطريق

﴿ ذكر غزوة لنا بهذا الطريق وهي أول غزوة شهدتها ببلاد الهند ﴾

ولما أردنا السفر من مدينة أبوهر خرج الناس منها أول النهار وأقمت بها الى نصف النهار في لمة من أصحابي ثم خرجنا ونحن اثنان وعشرون فارسا منهم عرب ومنهم أعاجم فخرج علينا في تلك الصحراء ثمانون رجلا من الكفار وفارسان وكان أصحابي ذوي نجدة وعناء فقاتلناهم أشد القتال فقتلنا أحد الفارسين منهم وغنمنا فرسه وقتلنا من رجالهم نحو اثني عشر رجلا وأصابتني نشابة وأصابت فرسي نشابة ثانية ومن الله بالسلامة منه لان نشابهم لاقوة لها وجرح لاحد أصحابنا فرس عوضناه له بفرس الكافر وذبحنا فرسه المجروح فأكله الترك من أصحابنا وأوصلنا تلك الرؤس الى حصن أبي بكهر فعلقناها على سوره وكان وصولنا في نصف الليل الى حصن أبي بكهر المذكور (وضبط اسمه بفتح الباء الموحدة وسكون الكاف وفتح الهاء وآخره راء) وسافرنا منه فوصلنا بعد يومين الى مدينة أجودهن (وضبط اسمها بفتح الهمزة وضم الجيم وفتح الدال المهمل والهاء وآخره نون) مدينة صغيرة هي للشيخ الصالح فريد الدين البذاوني الذي أخبرني الشيخ الصالح الولي برهان الدين الاعرج بالاسكندرية اني سألقاه فلقيته والحمد لله وهو شيخ ملك الهند وأنعم عليه بهذه المدينة وهذا الشيخ مبتلى بالوسواس والعياذ بالله فلا يصافح أحدا ولا يدنو منه واذا ألصق ثوبه بثوب أحد غسل ثوبه دخلت زاويته ولقيته وأبلغته سلام الشيخ برهان الدين فعجب وقال أنا دون ذلك ولقيت ولديه الفاضلين معز الد-

وهو أكبرهما ولما مات أبوه تولى الشياخة بعده وعلم الدين وزرت قبر جده القطب الصالح فريد الدين البذاوني منسوبا الى مدينة بذاون بلد السنبل (وهي بفتح الباء الموحدة والذال المعجم وضم الواو وآخرها نون) ولما أردت الانصراف عن هذه المدينة قال لي علم الدين لا بد لك من رؤية والدي فرأيته وهو في أعلى سطح له وعليه ثياب بيض وعمامة كبيرة لها ذؤابة وهي مائلة الى جانب ودعا لي وبعث الي بسكر ونبات

﴿ ذكر أهل الهند الذين يحرقون أنفسهم بالنار ﴾

ولما انصرفت عن هذا الشيخ رأيت الناس يهرعون من عسكرنا ومعهم بعض أصحابنا فسألتهم ما الخبر فأخبروني ان كافرا من الهنود مات وأججت النار لحرقه وامرأته تحرق نفسها معه ولما احترقا جاء أصحابي وأخبروا انها عانقت الميت حتى احترقت معه وبعد ذلك كنت في تلك البلاد أرى المرأة من كفار الهنود متزينة راكبة والناس يتبعونها من مسلم وكافر والاطبال والابواق بين يديها ومعها البراهمة وهم كبراء الهنود واذا كان ذلك ببلاد السلطان استأذنوا السلطان في إحراقها فيأذن لهم فيحرقونها ثم اتفق بعد مدة اني كنت بمدينة أكثر سكانها الكفار تعرف بأبجرى وأميرها مسلم من سامرة السند وعلى مقربة منها الكفار العصاة فقطعوا الطريق يوما وخرج الامير المسلم لقتالهم وخرجت معه رعية من المسلمين والكفار ووقع بينهم قتال شديد مات فيه من رعية الكفار سبعة نفر وكان لثلاثة منهم ثلاث زوجات فاتفقن على احراق أنفسهن واحراق المرأة بعد زوجها عندهم أمر مندوب اليه غير واجب لكن من أحرقت نفسها بعد زوجها احرز أهل بيتها شرفا بذلك ونسبوا الى الوفاء ومن لم تحرق نفسها لبست خشن الثياب وأقامت عند أهلها بائسة ممتهنة لعدم وفائها ولكنها لا تكره على احراق نفسها ولما تعاهدت النسوة الثلاث اللاتي ذكرناهن على احراق أنفسهن أقمن قبل ذلك ثلاثة أيام في غناء وطرب وأكل وشرب كأنهن يودعن الدنيا ويأتي اليهن النساء من كل جهة وفي صبيحة اليوم الرابع أتيت كل واحدة منهن بفرس فركبته وهي متزينة متعطرة وفي يمناها جوزة نارجيل تلعب بها وفي يسراها مرآة تنظر فيها وجهها والبراهمة يحفون بها وأقاربها معها وبين

يديها الاطبال والابواق والانفار وكل انسان من الكفار يقول لها ابلغي السلام الى أبي أو أخي او أمي أو صاحبي وهي تقول نعم وتضحك اليهم وركبت مع أصحابي لأرى كيفية صنعهن في الاحتراق فسرنا معهن نحو ثلاثة أميال وانتهينا الى موضع مظلم كثير المياه والاشجار متكاثف الظلال وبين أشجاره أربع قباب في كل قبة صنم من الحجارة وبين القباب صهريج ماء قد تكاثفت عليه الظلال وتزاحمت الاشجار فلا تتخللها الشمس فكان ذلك الموضع بقعة من بقع جهنم أعاذنا الله منها ولما وصلنا الى تلك القباب نزلن الى الصهريج وانغمسن فيه وجردن ما عليهن من ثياب وحلي فتصدقن به وأتيت كل واحدة منهن بثوب قطن خشن غير مخيط فربط بعضه على وسطها وبعضه على رأسها وكتفيها والنيران قد أضرمت على قرب من ذلك الصهريج في موضع منخفض وصب عليها روغن كنجت (كنجد) وهو زيت الجلجلان فزاد في اشتعالها وهنالك نحو خمسة عشر رجلا بأيديهم حزم من الحطب الرقيق ومعهم نحو عشرة بأيديهم خشب كبار وأهل الاطبال والابواق وقوف ينتظرون مجيء المرأة وقد حجبت النار بملحفة يمسكها الرجال بأيديهم لئلا يدهشها النظر اليها فرأيت احداهن لما وصلت الى تلك الملحفة نزعتها من أيدي الرجال بعنف وقالت لهم مارا ميترساني از اطش (آتش) من ميدانم أو أطش است رها كني مارا وهي تضحك ومعنى هذا الكلام أبالنار تخوفونني أنا أعلم انها نار محرقة ثم جمعت يديها على رأسها خدمة للنار ورمت بنفسها فيها وعند ذلك ضربت الاطبال والانفار والابواق ورمى الرجال ما بأيديهم من الحطب عليها وجعل الآخرون تلك الخشب من فوقها لئلا تتحرك وارتفعت الاصوات وكثر الضجيج ولما رأيت ذلك كدت أسقط عن فرسي لولا أصحابي تداركوني بالماء فغسلوا وجهي وانصرفت وكذلك يفعل أهل الهند أيضاً في الغرق يغرق كثير منهم أنفسهم في نهر الكنك وهو الذي اليه يحجون وفيه يرمى برماد هؤلاء المحرقين وهم يقولون انه من الجنة واذا أتى أحدهم ليغرق نفسه يقول لمن حضره لا تظنوا اني أغرق نفسي لاجل شيء من أمور الدنيا أو لقلة مال انما قصدي التقرب الى كساي وكساي

(بضم الكاف والسين المهمل) اسم الله عز وجل بلسانهم ثم يغرق نفسه فاذا مات أخرجوه وأحرقوه ورموا برماده في البحر المذكور * ولنعد الى كلامنا الاول فنقول سافرنا من مدينة أجودهن فوصلنا بعد مسيرة أربعة أيام منها الى مدينة سرستي (وضبط اسمها بسينين مفتوحين بينهما راء ساكنة ثم تاء مثناة مكسورة وياء) مدينة كبيرة كثيرة الارز وأرزها طيب ومنها يحمل الى حضرة دهلي ولها مجبى كثير جداً أخبرني الحاجب شمس الدين البوشنجي بمقداره وأنسيته ثم سافرنا منها الى مدينة حانسي (وضبط اسمها بفتح الحاء المهملة وألف ونون ساكن وسين مهمل مكسور وياء) وهي من أحسن المدن وأتقنها وأكثرها عمارة ولها سور عظيم ذكروا ان بانيه رجل من كبار سلاطين الكفار يسمى تورة (بضم التاء المعلوة وفتح الراء) وله عندهم حكايات وأخبار ومن هذه المدينة هو كمال الدين صدر الجهان قاضي قضاة الهند وأخوه قطلوخان معلم السلطان واخواهما نظام الدين وشمس الدين الذي انقطع الي الله وجاور بمكة حتى مات ثم سافرنا من حانسي فوصلنا بعد يومين الى مسعود آباد وهي على عشرة أميال من حضرة دهلي وأقمنا بها ثلاثة أيام وحانسي ومسعود آباد هما للملك المعظم هوشنج (بضم الهاء وفتح الشين المعجم وسكون النون وبعدها جيم) ابن الملك كمال كرك وكرك (بكافين معقودين أولاهما مضمومة) ومعناه الذئب وسيأتي ذكره وكان سلطان الهند الذي قصدنا حضرته غائباً عنها بناحية مدينة قنوج وبينها وبين حضرة دهلي عشرة أيام وكانت بالحضرة والدته وتدعي المخدومة جهان وجهان اسم الدنيا وكان بها أيضاً وزيره خواجه جهان المسمي بأحمد بن اياس الرومي الاصل فبعث الوزير الينا أصحابه ليتلقونا وعين لتلقاء كل واحد منا من كان من صنفه فكان من الذين عينهم للقائي الشيخ البسطامي والشريف المازندراني وهو حاجب الغرباء والفقيه علاء الدين الملتاني المعروف بقنره (بضم القاف وفتح النون وتشديدها) وكتب الى السلطان بخبرنا وبعث الكتاب مع الداوة وهي بريد الرجالة حسبما ذكرناه فوصل الى السلطان وأتاه الجواب في تلك الايام الثلاثة التي أقمناها بمسعود آباد وفي تلك الايام خرج الي لقائنا القضاة والفقهاء والمشايخ وبعض الامراء وهم يسمون

الامراء ملوكاً حيث يقول أهل ديار مصر وغيرها الامير يقولون هم الملك وخرج الى لقائنا الشيخ ظهير الدين الزنجاني وهو كبير المنزلة عند السلطان ثم رحلنا من مسعود آباد فنزلنا بقربة من قرية تسمى پالم (بفتح الباء المعقودة وفتح اللام) وهي للسيد الشريف ناصر الدين مطهر الأوهري أحد ندماء السلطان وممن له عنده الحظوة التامة وفي غد ذلك اليوم وصلنا الى حضرة دهلى قاعدة بلاد الهند (وضبط اسمها بكسر الدال المهملة وسكون الهاء وكسر اللام) وهي المدينة العظيمة الشان الضخمة الجامعة بين الحسن والحصانة وعليها السور الذي لا يعلم له في بلاد الدنيا نظير وهي أعظم مدن الهند بل مدن الاسلام كلها بالمشرق

﴿ ذكر وصفها ﴾

ومدينة دهلى كبيرة الساحة كثيرة العمارة وهي الآن اربع مدن متجاورات متصلات احداها المسماة بهذا الاسم دهلي وهي القديمة من بناء الكفار وكان افتتاحها سنة أربع وثمانين وخمسمائة والثانية تسمى سيرى (بكسر السين المهمل والراء وبينهما ياء مد) وتسمى أيضاً دار الخلافة وهي التي أعطاها السلطان لغياث الدين حفيد الخليفة المستنصر العباسي لما قدم عليه وبها كان سكنى السلطان علاء الدين وابنه قطب الدين وسنذكرهما والثالثة تسمى تغلق أباد باسم بانيها السلطان تغلق والد سلطان الهند الذي قدمنا عليه وكان سبب بنائه لها انه وقف يوما بين يدي السلطان قطب الدين فقال له يا خوند عالم كان ينبغي أن تبنى هنا مدينة فقال له السلطان متهكما اذا كنت سلطانا فابنها فكان من قدر الله ان كان سلطانا فبناها وسماها باسمه والرابعة تسمى جهان پناه وهي مختصة بسكنى السلطان محمد شاه ملك الهند الآن الذي قدمنا عليه وهو الذي بناها وكان أراد ان يضم هذه المدن الاربع تحت سور واحد فبنى منه بعضاً وترك بناء باقيه لعظم ما يلزم في بنائه

﴿ ذكر سور دهلى وأبوابها ﴾

والسور المحيط بمدينة دهلى لا يوجد له نظير عرض حائطه احدى عشرة ذراعاً وفيه بيوت يسكنها السمار وحفاظ الابواب وفيها مخازن للطعام ويسمونها الانبارات ومخازن

ومخازن للمجانيق والرعادات ويبقى الزرع بها مدة طائلة لا يتغير ولا تطرقه آفة ولقد شاهدت الارز يخرج من بعض تلك المخازن ولونه قد اسود ولكن طعمه طيب ورأيت أيضاً الكذر ويخرج منها وكل ذلك من اختزان السلطان بلبن منذ تسعين سنة ويمشى في داخل السور الفرسان والرجال من أول المدينة الى آخرها وفيه طيقات مفتحة الي جهة المدينة يدخل منها الضوء وأسفل هذا السور مبني بالحجارة وأعلاه بالآجر وأبراجه كثيرة متقاربة ولهذه المدينة ثمانية وعشرون باباً وهم يسمون الباب دروازة فمنها دروازة بذاون وهي الكبرى ودروازة المندوي وبها رحبة الزرع ودروازة جل (بضم الجيم) وهي موضع البساتين ودروازة شاه اسم رجل ودروازة بالم اسم قرية قد ذكرناها ودروازة نجيب اسم رجل ودروازة كمال كذلك ودروازة غزنة نسبة الي مدينة غزنة التي في طرف خراسان وبخارجها مصلى العيد وبعض المقابر ودروازة البجالصة (بفتح الباء والجيم والصاد المهمل) وبخارج هذه الدروازة مقابر دهلي وهي مقبرة حسنة يبنون بها القباب ولا بد عند كل قبر من محراب وان كان لا قبة له ويزرعون بها الاشجار المزهرة مثل قل شنبه (كل شنبو) وريبول (راي بيل) والنسرين وسواها والازاهير هنالك لا تنقطع في فصل من الفصول

﴿ ذكر جامع دهلي ﴾

وجامع دهلي كبير الساحة حيطانه وسقفه وفرشه كل ذلك من الحجارة البيض المنحوتة أبدع نحت ملصقة بالرصاص أتقن الصاق ولا خشبة به أصلاً وفيه ثلاث عشرة قبة من حجارة ومنبره أيضاً من الحجر وله أربعة من الصحون وفي وسط الجامع العمود الهائل الذي لا يدري من أي المعادن هو وذكر لي بعض حكمائهم انه يسمى هفت جوش (بفتح الهاء وسكون الفاء وتاء مملوة وجيم مضموم وآخره شين معجم) ومعنى ذلك سبعة معادن وانه مؤلف منها وقد جلي من هذا العمود مقدار السبابة ولذلك المجلو منه بريق عظيم ولا يؤثر فيه الحديد وطوله ثلاثون ذراعاً وأدرنا به عمامة فكان الذي أحاط بدائرته ثماني أذرع وعند الباب الشرقي من أبواب المسجد صنمان كبيران جداً من النحاس

مطروحان بالارض قد الصقا بالحجارة ويطأ عليهما كل داخل الى المسجد او خارج منه وكان موضع هذا المسجد بد خانة وهو بيت الاصنام فلما افتتحت جعل مسجداً وفي الصحن الشمالي من المسجد الصومعة التي لا نظير لها في بلاد الاسلام وهي مبنية بالحجارة الحمر خلافاً لحجارة سائر المسجد فانها بيض وحجارة الصومعة منقوشة وهي سامية الارتفاع وهلالها من الرخام الابيض الناصع وتفافيحها من الذهب الخالص وسعة ممرها بحيث تصعد فيه الفيلة حدثني من أثق به انه رأى الفيل حين بنيت يصعد بالحجارة الى أعلاها وهي من بناء السلطان معز الدين بن ناصر الدين ابن السلطان غياث الدين بلبن وأراد السلطان قطب الدين أن يبني بالصحن الغربي صومعة أعظم منها فبنى مقدار الثلث منها واخترم دون تمامها وأراد السلطان محمد اتمامها ثم ترك ذلك تشاؤماً وهذه الصومعة من عجائب الدنيا في ضخامتها وسعة ممرها بحيث تصعده ثلاثة من الفيلة متقارنة وهذا الثلث المبني منها مساو لارتفاع جميع الصومعة التي ذكرنا انها بالصحن الشمالي وصعدتها مرة فرأيت معظم دور المدينة وعاينت الاسوار على ارتفاعها وسموها منحطة وظهر لي الناس في أسفلها كأنهم الصبيان الصغار ويظهر لناظرها من أسفلها ان ارتفاعها ليس بذلك لعظم جرمها وسعتها وكان السلطان قطب الدين أراد أن يبني أيضاً مسجداً جامعاً بسيرى المسماة دار الخلافة فلم يتم منه غير الحائط القبلي والمحراب وبناؤه بالحجارة البيض والسود والحمر والخضر ولو كمل لم يكن له مثل في البلاد وأراد السلطان محمد اتمامه وبعث عرفاء البناء ليقدروا النفقة فيه فزعموا انه ينفق في اتمامه خمسة وثلاثون لكا فترك ذلك استكثاراً له وأخبرني بعض خواصه انه لم يتركه استكثاراً لكنه تشاءم به لما كان السلطان قطب الدين قد قتل قبل تمامه

﴿ ذكر الحوضين العظيمين بخارجها ﴾

وبخارج دهلى الحوض العظيم المنسوب الى السلطان شمس الدين للمش ومنه يشرب أهل المدينة وهو بالقرب من مصلاها وماؤه يجتمع من ماء المطر وطوله نحو ميلين وعرضه على النصف من طوله والجهة الغربية منه من ناحية المصلى مبنية بالحجارة مصنوعة أمثال

الدكاكين بعضها أعلى من بعض وتحت كل دكان درج ينزل عليها الى الماء وبجانب كل دكان قبة حجارة فيها مجالس للمتنزهين والمتفرجين وفي وسط الحوض قبة عظيمة من الحجارة المنقوشة مجمولة طبقتين فاذا كثر الماء في الحوض لم يكن سبيل اليها الا في القوارب فاذا قل الماء دخل اليها الناس وداخلها مسجد وفي أكثر الاوقات يقيم بها الفقراء المنقطعون الى الله المتوكلون عليه واذا جف الماء في جوانب هذا الحوض زرع فيها قصب السكر والخيار والقثاء والبطيخ الاخضر والاصفر وهو شديد الحلاوة صغير الجرم وفيما بين دهلي ودار الخلافة حوض الخاص وهو أكبر من حوض السلطان شمس الدين وعلى جوانبه نحو أربعين قبة ويسكن حوله أهل الطرب وموضعهم يسمى طرب آباد ولهم سوق هنالك من أعظم الاسواق ومسجد جامع ومساجد سواه كثيرة وأخبرت ان النساء المغنيات التي كانت هنالك يصلين التراويح في شهر رمضان بتلك المساجد مجتمعات ويؤم بهن الائمة وعددهن كثير وكذلك الرجال المغنون ولقد شاهدت الرجال أهل الطرب في عرس الامير سيف الدين غدا بن مهنى لكل واحد منهم مصلى تحت ركبته فاذا سمع الاذان قام فتوضأ وصلى

﴿ ذكر بعض مزاراتها ﴾

فمنها قبر الشيخ الصالح قطب الدين بختيار الكعكي وهو ظاهر البركة كثير التعظيم وسبب تسمية هذا الشيخ بالكعكي انه كان اذا أتاه المدينون الذين عليهم الدين شاكين من الفقر أو القلة أو الذين لهم البنات ولا يجدون ما يجهزونهن به الى أزواجهن يعطي من أتاه منهم كعكة من الذهب أو من الفضة حتى عرف من أجل ذلك بالكعكي رحمه الله ومنها قبر الفقيه الفاضل نور الدين الكرلاني (بضم الكاف وسكون الراء والنون) ومنها قبر الفقيه علاء الدين الكرماني نسبة الى كرمان وهو ظاهر البركة ساطع النور ومكانه بظاهر قبلة المصلى وبذلك الموضع قبور رجال صالحين كثير نفع الله تعالى بهم

﴿ ذكر بعض علمائها وصلحائها ﴾

فمنهم الشيخ الصالح العالم محمود الكبا (بالباء الموحدة) وهو من كبار الصالحين والناس

يزعمون انه ينفق من الكون لانه لا مال له ظاهراً وهو يطعم الوارد والصادر ويعطي الذهب والدراهم والاثواب وظهرت له كرامات كثيرة واشتهر بها رأيته مرات كثيرة وحصلت لي بركته ومنهم الشيخ الصالح العالم علاء الدين النيلي كأنه منسوب الى نيل مصر والله أعلم كان من أصحاب الشيخ العالم الصالح نظام الدين البزواني وهو يعظ الناس في كل يوم جمعة فيتوب كثير منهم بين يديه ويحلقون رؤسهم ويتواجدون ويغشى على بعضهم (حكاية) شاهدته في بعض الايام وهو يعظ فقرأ القارئ بين يديه (يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) ثم كررها الفقيه علاء الدين فصاح أحد الفقراء من ناحية المسجد صيحة عظيمة فاعاد الشيخ الآية فصاح الفقير ثانية ووقع ميتا وكنت فيمن صلى عليه وحضر جنازته ومنهم الشيخ الصالح العابد صدر الدين الكهراني (بضم الكاف وسكون الهاء وراء ونون) وكان يصوم الدهر ويقوم الليل وتجرد عن الدنيا جميعاً ونبذها ولباسه عباءة ويزوره السلطان وأهل الدولة وربما احتجب عنهم فرغب السلطان منه ان يقطعه قرى يطعم منها الفقراء والواردين فأبى ذلك وزاره يوما وأتى اليه بعشرة آلاف دينار فلم يقبلها وذكروا انه لا يفطر الا بعد ثلاث وانه قيل له في ذلك فقال لا أفطر حتى أضطر فتحل لي الميتة ومنهم الامام الصالح العالم العابد الورع الخاشع فريد دهره ووحيد عصره كمال الدين عبد الله الغاري (بالغين المعجم والراء) نسبة الى غار كان يسكنه خارج دهلي بمقربة من زاوية الشيخ نظام الدين البذاوني زرته بهذا الغار ثلاث مرات

﴿كرامة له﴾

كان لي غلام فأبق مني وألفيته بيد رجل من الترك فذهبت الى انتزاعه من يده فقال لي الشيخ ان هذا الغلام لا يصلح لك فلا تأخذه وكان التركي راغبا في المصالحة فصالحته بمائة دينار أخذتها منه وتركته له فلما كان بعد ستة أشهر قتل سيده وأتي به السلطان فامر بتسليمه لاولاد سيده فقتلوه ولما شاهدت لهذا الشيخ هذه الكرامة انقطعت اليه ولازمته

وتركت الدنيا ووهبت جميع ما كان عندي للفقراء والمساكين وأقمت عنده مدة فكنت أراه يواصل عشرة أيام وعشرين يوما ويقوم أكثر الليل ولم أزل معه حتى بعث عني السلطان ونشبت في الدنيا ثانية والله تعالى يختم بالخير وسأذكر ذلك فيما بعد ان شاء الله تعالى وكيفية رجوعي الى الدنيا

﴿ ذكر فتح دهلي ومن تداولها من الملوك ﴾

حدثني الفقيه الامام العلامة قاضي القضاة بالهند والسند كمال الدين محمد بن البرهان الغزنوي الملقب بصدر الجهان ان مدينة دهلي افتتحت من أيدي الكفار في سنة اربع وثمانين وخمسمائة وقد قرأت أنا ذلك مكتوبا على محراب الجامع الاعظم بها وأخبرني أيضاً انها افتتحت على يد الامير قطب الدين ايبك واسمه (بفتح الهمزة وسكون الياء آخر الحروف وفتح الباء الموحدة) وكان يلقب (سياه) سالار ومعناه مقدم الجيوش وهو أحد مماليك السلطان المعظم شهاب الدين محمد بن سام الغوري ملك غزنة وخراسان المتغلب على ملك ابراهيم بن السلطان الغازي محمود بن سبكتكين الذي ابتدأ فتح الهند وكان السلطان شهاب الدين المذكور بعث الامير قطب الدين بعسكر عظيم ففتح الله عليه مدينة لاهور وسكنها وعظم شأنه وسعي به الى السلطان وألقى اليه جلساؤه انه يريد الانفراد بملك الهند وانه قد عصى وخالف وبلغ هذا الخبر الى قطب الدين فبادر بنفسه وقدم على غزنة ليلا ودخل على السلطان ولا علم عند الذين وشوا به اليه فلما كان بالغد قعد السلطان على سريره وأقعد ايبك تحت السرير بحيث لا يظهر وجاء الندماء والخواص الذين سعوا به فلما استقر بهم الجلوس سألهم السلطان عن شأن ايبك فذكروا له انه عصى وخالف وقالوا قد صح عندنا انه ادعي الملك لنفسه فضرب السلطان سريره برجله فصفق بيديه وقال يا ايبك قال لبيك وخرج عليهم فسقط في أيديهم وفزعوا الى تقبيل الارض فقال لهم السلطان قد غفرت لكم هذه الزلة واياكم والعودة الى الكلام في ايبك وأمره ان يعود الى بلاد الهند فعاد اليها وفتح مدينة دهلي وسواها واستقر بها الاسلام الى هذا العهد وأقام قطب الدين بها الى أن توفي

﴿ ذكر السلطان شمس الدين للمش ﴾

وضبط اسمه (بفتح اللام الاولى وسكون الثانية وكسر الميم وشين معجم) وهو أول من ولي الملك بمدينة دهلي مستقلا به وكان قبل تملكه مملوكا للأمير قطب الدين أيبك وصاحب عسكره ونائباً عنه فلما مات قطب الدين استبد بالملك وأخذ الناس بالبيعة فأتاه الفقهاء يقدمهم قاضي القضاة اذذاك وجيه الدين الكاساني فدخلوا عليه وقعدوا بين يديه وقعد القاضي الى جانبه على العادة وفهم السلطان عنهم ما أرادوا أن يكلموه به فرفع طرف البساط الذي هو قاعد عليه وأخرج لهم عقداً يتضمن عتقه فقرأه القاضي والفقهاء وبايعوه جميعاً واستقل بالملك وكانت مدته عشرين سنة وكان عادلا صالحاً فاضلا ومن مآثره انه اشتد في رد المظالم وانصاف المظلومين وأمر أن يلبس كل مظلوم ثوبا مصبوغا وأهل الهند جميعاً يلبسون البياض فكان متى قعد للناس أو ركب فرأى أحداً عليه ثوب مصبوغ نظر في قضيته وانصافه ممن ظلمه ثم انه أعيي في ذلك فقال ان بعض الناس تجري عليهم المظالم بالليل وأريد تعجيل انصافهم فجعل على باب قصره أسدين مصورين من الرخام موضوعين على برجين هنالك وفي أعناقهما سلسلتان من الحديد فيهما جرس كبير فكان المظلوم يأتي ليلا فيحرك الجرس فيسمعه السلطان وينظر في أمره للحين وينصفه ولما توفي السلطان شمس الدين خلف من الاولاد الذكور ثلاثة وهم ركن الدين الوالي بعده ومعز الدين وناصر الدين وبنتا تسمى رضية هي شقيقة معز الدين منهم فولي بعده ركن الدين كما ذكرناه

﴿ ذكر السلطان ركن الدين ابن السلطان شمس الدين ﴾

ولما بويع ركن الدين بعد موت أبيه افتتح أمره بالتعدي على أخيه معز الدين فقتله وكانت رضية شقيقته فأنكرت ذلك عليه فأراد قتلها فلما كان في بعض أيام الجمع خرج ركن الدين الى الصلاة فصعدت رضية على سطح القصر القديم المجاور للجامع الاعظم وهو يسمى دولة خانة ولبست عليها ثياب المظلومين وتعرضت للناس وكلمتهم من أعلى السطح وقالت لهم ان أخي قتل أخاه وهو يريد قتلي معه وذكرتهم أيام أبيها وفعله الخير واحسانه اليهم فثاروا عند

ذلك الي السلطان ركن الدين وهو في المسجد فقبضوا عليه وأتوا به اليها فقالت لهم القاتل يقتل فقتلوه قصاصا باخيه وكان أخوهما ناصر الدين صغيراً فاتفق الناس على تولية رضية

﴿ ذكر السلطانة رضية ﴾

ولما قتل ركن الدين اجتمعت العساكر على تولية أخته رضية الملك فولوها واستقلت بالملك أربع سنين وكانت تركب بالقوس والتركش والقرباز كما يركب الرجال ولا تستر وجهها ثم انها اتهمت بعبد لها من الحبشة فاتفق الناس على خلعها وتزويجها فخلعت وزوجت من بعض أقاربها وولي الملك أخوها ناصر الدين

﴿ ذكر السلطان ناصر الدين ابن السلطان شمس الدين ﴾

ولما خلعت رضية ولي ناصر الدين أخوها الاصغر واستقل بالملك مدة ثم ان رضية وزوجها خالفا عليه وركبا في مماليكهما ومن تبعهما من أهل الفساد وتهيأ لقتاله وخرج ناصر الدين ومعه مملوكه النائب عنه غياث الدين بلبن متولي الملك بعده فوقع اللقاء وانهزم عسكر رضية وفرت بنفسها فادركها الجوع وأجهدها الاعياء فقصدت حراثا رأته يحرث الارض فطلبت منه ما تأكله فأعطاها كسرة خبز فأكلتها وغلب عليها النوم وكانت في زي الرجال فلما نامت نظر اليها الحراث وهي نائمة فرأى تحت ثيابها قباء مرصعاً فعلم انها امرأة فقتلها وسلبها وطرد فرسها ودفنها في فدانه وأخذ بعض ثيابها فذهب الي السوق يبيعها فانكر أهل السوق شأنه وأتوا به الشحنة وهو الحاكم فضربه فأقر بقتلها ودلهم على مدفنها فاستخرجوها وغسلوها وكفنوها ودفنت هنالك وبني عليها قبة وقبرها الآن يزار ويتبرك به وهو على شاطئ النهر الكبير المعروف بنهر الجون على مسافة فرسخ واحد من المدينة واستقل ناصر الدين بالملك بعدها واستقام له الامر عشرين سنة وكان ملكا صالحاً ينسخ نسخاً من الكتاب العزيز ويبيعها فيقتات بثمنها وقد وقفني القاضي كمال الدين على مصحف بخطه متقن محكم الكتابة ثم ان نائبه غياث الدين بلبن قتله وملك بعده ولبلبن هذا خبر ظريف نذكره

﴿ ذكر السلطان غياث الدين بلبن ﴾

وضبط اسمه (ببائين موحدتين بينهما لام والجميع مفتوحات وآخره نون) ولما قتل بلبن مولاه السلطان ناصر الدين استقل بالملك بعده عشرين سنة وقد كان قبلها نائباً له عشرين سنة أخرى وكان من خيار السلاطين عادلاً حليماً فاضلاً ومن مكارمه انه بنى داراً وسماها دار الأمن فمن دخلها من أهل الديون قضي دينه ومن دخلها خائفاً أمن ومن دخلها وقد قتل أحداً أرضى عنه أولياء المقتول ومن دخلها من ذوي الجنايات أرضى أيضاً من يطلبه وبتلك الدار دفن لما مات وقد زرت قبره ﴿ حكايته الغريبة ﴾

يذكر ان أحد الفقراء ببخارى رأى بها بلبن هذا وكان قصيراً حقيراً ذميماً فقال له يا تركك وهي لفظة تعرب عن الاحتقار فقال له لبيك يا خوند فأعجبه كلامه فقال له اشتر لي من هذا الرمان وأشار الى رمان يباع بالسوق فقال نعم وأخرج فليسات لم يكن عنده سواها واشترى له من ذلك الرمان فلما أخذها الفقير قال له وهبناك ملك الهند فقبل بلبن يد نفسه وقال قبلت ورضيت واستقر ذلك في ضميره واتفق ان بعث السلطان شمس الدين للمش تاجراً يشتري له المماليك بسمرقند وبخارى وترمذ فاشترى مائة مملوك كان من جملتهم بلبن فلما دخل بالمماليك على السلطان أعجبه جميعهم الا بلبن لما ذكرناه من دمامته فقال لا أقبل هذا فقال له بلبن يا خوند عالم لمن اشتريت هؤلاء المماليك فضحك منه وقال اشتريتهم لنفسي فقال له اشترني أنا لله عز وجل فقال نعم وقبله وجعله في جملة المماليك فاحتقر شأنه وجعل في السقائين وكان أهل المعرفة بعلم النجوم يقولون للسلطان شمس الدين ان أحد مماليكك يأخذ الملك من يد ابنك ويستولي عليه ولا يزالون يقولون له ذلك وهو لا يلتفت الى أقوالهم لصلاحه وعدله الى أن ذكروا ذلك للخاتون الكبرى أم أولاده فذكرت له ذلك وأثر في نفسه وبعث على المنجمين فقال أتعرفون المملوك الذي يأخذ ملك ابني اذا رأيتموه فقالوا له نعم عندنا علامة نعرفه بها فأمر السلطان بعرض مماليكه وجلس لذلك فعرضوا بين يديه طبقة طبقة والمنجمون ينظرون اليهم ويقولون لم نره بعد وحان وقت الزوال فقال السقاؤون بعضهم لبعض انا قد جعنا فلنجمع شيئاً من الدراهم ونبعث أحدنا الى السوق ليشترى لنا ما نأكله فجمعوا الدراهم وبعثوا بها بلبن اذ لم يكن فيهم أحقر منه فلم يجد بالسوق

مالأرادوه فتوجه الى سوق أخرى وأبطأ وجاءت نوبة السقائين في العرض وهو لم يأت بعد فأخذوا زقه وماعونه وجعلوه على كاهل صبي وعرضوه على انه بلبن فلما نودي باسمه جاز الصبي بين أيديهم وانقضى العرض ولم ير المنجمون الصورة التي تطلبوها وجاء بلبن بعد تمام العرض لما أراد الله من انفاذ قضائه ثم انه ظهرت نجابته فجعل أمير السقائين ثم صار من جملة الاجناد ثم من الامراء ثم تزوج السلطان ناصر الدين بنته قبل ان يلي الملك فلما ولي الملك جعله نائباً عنه مدة عشرين سنة ثم قتله بلبن واستولى على ملكه عشرين سنة أخرى كما تقدم ذكر ذلك وكان للسلطان بلبن ولدان أحدهما الخان الشهيد ولي عهده وكان والياً لابيه ببلاد السند ساكنا بمدينة ملتان وقتل في حرب له مع التتر وترك ولدين كي قباد وكي خسرو وولد السلطان بلبن الثاني فسمي ناصر الدين وكان واليا لابيه ببلاد اللكنوتي وبنجالة فلما استشهد الخان الشهيد جعل السلطان بلبن العهد الى ولده كي خسرو وعدل به عن ابن نفسه ناصر الدين وكان لناصر الدين أيضاً ولد ساكن بحضرة دهلي مع جده يسمى معز الدين وهو الذى تولي الملك بعد جده في خبر عجيب نذكره وأبوه اذ ذاك حي كما ذكرناه

﴿ ذكر السلطان معز الدين بن ناصر الدين ابن السلطان غياث الدين بلبن ﴾

ولما توفي السلطان غياث الدين ليلا وابنه ناصر الدين غائب ببلاد اللكنوتي وجعل العهد لابن ابنه الشهيد كي خسرو حسبما قصصناه كان ملك الامراء نائب السلطان غياث الدين عدوا لكي خسرو فأدار عليه حيلة تمت له وهي انه كتب بيعة دلس فيها على خطوط الامراء الكبار بانهم بايعوا معز الدين حفيد السلطان بلبن ودخل على كي خسرو كالمتنصح له فقال له ان الامراء قد بايعوا ابن عمك وأخاف عليك منهم فقال له كي خسرو فما الحيلة قال انج بنفسك هاربا الى بلاد السند فقال وكيف الخروج والابواب مسدودة فقال له ان المفاتيح بيدى وأنا أفتح لك فشكره على ذلك وقبل يده فقال اركب الآن فركب في خاصته ومماليكه وفتح له الباب وأخرجه وسد في أثره واستأذن على معز الدين فبايعه فقال كيف لي بذلك وولاية العهد لابن عمي فأعلمه بما أدار عليه من الحيلة وباخراجة فشكره

على ذلك ومضي بها الى دار الملك وبعث عن الامراء والخواص فبايعوا ليلا فلما أصبح بايعه سائر الناس واستقام له الملك وكان أبوه حيا ببلاد بنجالة واللكنوتي فاتصل به الخبر فقال أنا وارث الملك وكيف يلي ابني الملك ويستقل به وأنا بقيد الحياة فتجهز في جيوشه قاصدا حضرة دهلي وتجهز ولده في جيوشه أيضاً قاصد المدافعة عنها فتوافيا معا بمدينة كرا وهي على ساحل نهر الكنك الذي تحج الهنود اليه فنزل ناصر الدين على شاطئه مما يلي كرا ونزل ولده السلطان معز الدين مما يلي الجهة الاخرى والنهر بينهما وعزما على القتال ثم ان الله تعالي أراد حقن دماء المسلمين فالقى في قلب ناصر الدين الرحمة لابنه وقال اذا ملك والدي فذلك شرف وأنا أحق ان أرغب في ذلك وألقى في قلب السلطان معز الدين الضراعة لابيه فركب كل واحد منهما في مركب منفردا عن جيوشه والتقيا في وسط النهر فقبل السلطان رجل أبيه واعتذر له فقال له أبوه قد وهبتك ملكي ووليتك وبايعه وأراد الرجوع لبلاده فقال له ابنه لابد لك من الوصول الي بلادي فمضي معه الى دهلي ودخل القصر وأقعده أبوه على سرير الملك ووقف بين يديه وسمي ذلك اللقاء الذي كان بينهما بالنهر لقاء السعدين لما كان فيه من حقن الدماء وتواهب الملك والتجافي عن المنازعة وأكثرت الشعراء في ذلك وعاد ناصر الدين الى بلاده فمات بها بعد سنين وترك بها ذرية منهم غياث الدين بهادور الذي أسره السلطان تغلق وأطلقه ابنه محمد بعد وفاته واستقام الملك لمعز الدين أربعة أعوام بعد ذلك كانت كالأعياد رأيت بعض من أدركها يصف خيراتها ورخص أسعارها وجود معز الدين وكرمه وهو الذي بنى الصومعة بالصحن الشمالي من جامع دهلي ولا نظير لها في البلاد وحكى لي بعض أهل الهند ان معز الدين كان يكثر النكاح والشرب فاعترته علة أعجز الاطباء دواؤها ويبس أحد شقيه فقام عليه نائبه جلال الدين فيروز شاه الخلجي (بفتح الخاء المعجم واللام والجيم)

﴿ ذكر السلطان جلال الدين ﴾

ولما اعتري السلطان معز الدين ما ذكرناه من يبس أحد شقيه خالف عليه نائبه جلال الدين وخرج الى ظاهر المدينة فوقف على تل هنالك بجانب قبة تعرف بقبة الجيشاني

فبعث معز الدين الامراء لقتاله فكان كل من يبعثه منهم يبايع جلال الدين ويدخل في جملته ثم دخل المدينة وحصره في القصر ثلاثة أيام وحدثني من شاهد ذلك ان السلطان معز الدين أصابه الجوع في تلك الايام فلم يجد ما يأكله فبعث اليه أحد الشرفاء من جيرانه ما أقام أوده ودخل عليه القصر فقتل وولي بعده جلال الدين وكان حليما فاضلا وحلمه أداه الى القتل كما سنذكره واستقام له الملك سنين وبنى القصر المعروف باسمه وهو الذي أعطاه السلطان محمد لصهره الامير غدا بن مهنى لما زوجه باخته وسيذكر ذلك فكان للسلطان جلال الدين ولد اسمه ركن الدين وابن أخ اسمه علاء الدين زوجه بابنته وولاه مدينة كرا ومانكبور ونواحيها وهي من اخصب بلاد الهند كثيرة القمح والارز والسكر وتصنع بها الثياب الرفيعة ومنها تجلب الى دهلي وبينهما مسيرة ثمانية عشر يوما وكانت زوجة علاء الدين تؤذيه فلا يزال يشكوها الى عمه السلطان جلال الدين حتى وقعت الوحشة بينهما بسببها وكان علاء الدين شهما شجاعا مظفرا منصورا وحب الملك ثابت في نفسه الا انه لم يكن له مال الا ما يستفيده بسيفه من غنائم الكفار فاتفق انه ذهب مرة الى الغزو ببلاد الدويقير وتسمى بلاد الكتكة أيضا وسنذكرها وهي كرسي بلاد المالوة والمرهتة وكان سلطانها أكبر سلاطين الكفار فعثرت بعلاء الدين في تلك الغزوة دابة له عند حجر فسمع له طنينا فأمر بالحفر هنالك فوجد تحته كنزا عظيما ففرقه في اصحابه ووصل الى الدويقير فأذعن له سلطانها بالطاعة ومكنه من المدينة من غير حرب وأهدى له هدايا عظيمة فرجع الى مدينة كرا ولم يبعث الى عمه شيئا من الغنائم فاغرى الناس عمه به فبعث عنه فامتنع من الوصول اليه فقال السلطان جلال الدين أنا اذهب اليه وآتي به فانه محل ولدي فتجهز في عساكره وطوي المراحل حتى حل بساحل مدينة كرا حيث نزل السلطان معز الدين لما خرج الى لقاء أبيه ناصر الدين وركب النهر برسم الوصول الى ابن أخيه وركب ابن أخيه أيضا في مركب ثان عازما على الفتك به وقال لاصحابه اذا أنا عانقته فاقتلوه فلما التقيا وسط النهر عانقه ابن أخيه وقتله أصحابه كما وعدهم واحتوى على ملكه وعساكره

﴿ ذكر السلطان علاء الدين محمد شاه الخلجي ﴾

ولما قتل عمه استقل بالملك وفر اليه أكثر عساكر عمه وعاد بعضهم الى دهلي واجتمعوا على ركن الدين وخرج الى دفاعه فهرب واجيماً الى السلطان علاء الدين وفر ركن الدين الي السند ودخل علاء الدين دار الملك واستقام له الامر عشرين سنة وكان من خيار السلاطين وأهل الهند يثنون عليه كثيراً وكان يتفقد أمور الرعية بنفسه ويسأل عن أسعارهم ويحضر المحتسب وهم يسمونه الرئيس في كل يوم برسم ذلك ويذكر انه سأله يوماً عن سبب غلاء اللحم فأخبره أن ذلك لكثرة المغرم على البقر في الرتب فأمر برفع ذلك وأمر باحضار التجار وأعطاهم الاموال وقال لهم اشتروا بها البقر والغنم وبيعوها ويرتفع ثمنها لبيت المال ويكون لكم أجرة على بيعها ففعلوا ذلك وفعل مثل هذا في الاثواب التي يؤتي بها من دولة أباد وكان اذا غلا ثمن الزرع فتح المخازن وباع الزرع حتى يرخص السعر ويذكر ان السعر ارتفع ذات مرة فأمر ببيع الزرع بثمن عينه فامتنع الناس من بيعه بذلك الثمن فأمر أن لا يبيع أحد زرعاً غير زرع المخزن وباع للناس ستة أشهر فخاف المحتكرون فساد زرعهم بالسوس فرغبوا أن يؤذن لهم في البيع فأذن لهم على أن يبيعوه بأقل من القيمة الاولى التي امتنعوا من بيعه بها وكان لا يركب لجمعة ولا لعيد ولا سواهما وسبب ذلك انه كان له ابن أخ يسمى سليمان شاه وكان يحبه ويعظمه فركب يوماً الى الصيد وهو معه وأضمر في نفسه ان يفعل به مافعل هو بعمه جلال الدين من الفتك فلما نزل للغداء رماه بنشابة فصرعه وغطاه بعض عبيده بترس وأتي ابن أخيه ليجهز عليه فقال له العبيد انه قد مات فصدقهم وركب فدخل القصر على الحرم وأفاق السلطان علاء الدين من غشيته وركب واجتمعت العساكر عليه وفر ابن أخيه فأدرك وأتي به اليه فقتله وكان بعد ذلك لا يركب وكان له من الاولاد خضر خان وشادي خان وأبو بكر خان ومبارك خان وهو قطب الدين الذي ولي الملك وشهاب الدين وكان قطب الدين مهتضماً عنده ناقص الحظ قليل الحظوة وأعطى جميع اخوته المراتب وهي الاعلام والاطبال ولم يعطه شيئاً وقال له يوماً لابد ان اعطيك مثل ما اعطيت اخوتك فقال له الله هو الذي يعطيني فهاله ما بادهه هذا الكلام وفزع منه ثم ان

السلطان أصابه المرض الذي مات منه وكانت زوجته أم ولده خضر خان وتسمي ماه حق والماء القمر بلسانهم لها أخ يسمي سنجر فعاهدت أخاها على تمليك ولدها خضر خان وعلم بذلك ملك نائب أكبر أمراء السلطان وكان يسمي الالفي لان السلطان اشتراه بألف تنكة وهي ألفان وخمسمائة من دنانير المغرب فوشي الى السلطان بما اتفقوا عليه فقال لخواصه اذا دخل على سنجر فاني معطيه ثوبا فاذا لبسه فامسكوا باكمامه واضربوا به الارض واذبحوه فلما دخل عليه فعلوا ذلك وقتلوه وكان خضر خان غائباً بموضع يقال له سندبت على مسيرة يوم من دهلي توجه لزيارة شهداء مدفونين به انذر كان عليه أن يمشي تلك المسافة راجلا ويدعو لوالده بالراحة فلما بلغه ان أباه قتل خاله حزن عليه حزناً شديداً ومزق جيبه وتلك عادة لاهل الهند يفعلونها اذا مات لهم من يعز عليهم فبلغ والده مافعله فكره ذلك فلما دخل عليه عنفه ولامه وأمر به فقيدت يداه ورجلاه وسلمه لملك نائب المذكور وأمره أن يذهب به الى حصن كاليور وضبطه (بفتح الكاف المعقودة وكسر اللام وضم الياء آخر الحروف وآخره راء) ويقال له أيضاً كيالير بزيادة ياء ثانية وهو حصن منقطع بين كفار الهنود منيع على مسيرة عشر من دهلي وقد سكنته أنا مدة فلما أوصله الى هذا الحصن سلمه للكتوال وهو أمير الحصن وللمفردين وهم الزماميون وقال لهم لا تقولوا هذا ابن السلطان فتكرموه انما هو اعدى عدو له فاحفظوه كما يحفظ العدو ثم ان المرض اشتد بالسلطان فقال لملك نائب ابعث من يأتي بابني خضر خان لاوليه العهد فقال له نعم وماطله بذلك فتي سأله عنه قال هو ذا يصل الى أن توفي السلطان رحمه الله

﴿ ذكر ابنه السلطان شهاب الدين ﴾

ولما توفي السلطان علاء الدين اقعد ملك نائب ابنه الاصغر شهاب الدين على سرير الملك وبايعه الناس وتغلب ملك نائب عليه وسمل أعين أبي بكر خان وشادي خان وبعث بهما الى كاليور وأمر بسمل عيني أخيهما خضر خان المسجون هنالك وسجنوا وسجن قطب الدين لكنه لم يسمل عينيه وكان للسلطان علاء الدين مملوكان من خواصه يسمى أحدهما بشير والآخر مبشر فبعثت عنهما الخاتون الكبري زوجة علاء الدين وهي بنت

السلطان معز الدين فذكرتهما بنعمة مولاهما وقالت ان هذا الفتى نائب ملك قد فعل في أولادي ما تعلمانه وانه يريد أن يقتل قطب الدين فقالا لها سترين ما نفعل وكانت عادتهما أن يبيتا عند نائب ملك ويدخلا عليه بالسلاح فدخلا عليه تلك الليلة وهو في بيت من الخشب مكسو بالملف يسمونه الخرمقة ينام فيه أيام المطر فوق سطح القصر فاتفق انه أخذ السيف من يد أحدهما فقلبه ورده اليه فضربه به المملوك وثني عليه صاحبه واحتزا رأسه واتيا به الى محبس قطب الدين فرمياه بين يديه وأخرجاه فدخل على أخيه شهاب الدين وأقام بين يديه أياما كأنه نائب له ثم عزم على خلعه فخلعه

﴿ ذكر السلطان قطب الدين ابن السلطان علاء الدين ﴾

وخلع قطب الدين أخاه شهاب الدين وقطع اصبعه وبعث به الي كاليور فحبس مع اخوته واستقام الملك لقطب الدين ثم انه بعد ذلك خرج من حضرة دهلي الى دولة اباد وهي على مسيرة أربعين يوما منها والطريق بينهما تكتنفه الاشجار من الصفصاف وسواه فكأن الماشي به في بستان وفي كل ميل منه ثلاث داوات وهي البريد وقد ذكرنا ترتيبه وفي كل داوة جميع ما يحتاج المسافر اليه فكأنه يمشي في سوق مسيرة الاربعين يوما وكذلك يتصل الطريق الى بلاد تلنك والمعبر مسيرة ستة أشهر وفي كل منزلة قصر للسلطان وزاوية للوارد والصادر فلا يفتقر الفقير الى حمل زاد في ذلك الطريق ولما خرج السلطان قطب الدين في هذه الحركة اتفق بعض الامراء على الخلاف عليه وتولية ولد أخيه خضر خان المسجون وسنه نحو عشرة أعوام وكان مع السلطان فبلغ السلطان ذلك فأخذ ابن أخيه المذكور وأمسك برجليه وضرب برأسه الى الحجارة حتى نثر دماغه وبعث أحد الامراء ويسمى ملك شاه الى كاليور حيث أبو هذا الولد وأعمامه وامره بقتلهم جميعا فحدثني القاضي زين الدين مبارك قاضي هذا الحصن قال قدم علينا ملك شاه ضحوة يوم وكنت عند خضر خان بمحبسه فلما سمع بقدومه خاف وتغير لونه ودخل عليه الامير فقال له فيما جئت قال في حاجة خوند عالم فقال له نفسي سالمة فقال نعم وخرج عنه واستحضر الكتوال وهو صاحب

الحصن والمفردين وهم الزماميون وكانوا ثلاثمائة رجل وبعث عني وعن العدول واستظهر بأمر السلطان فقرؤه وأتوا الي شهاب الدين المخلوع فضربوا عنقه وهو متثبت غير جزع ثم ضربوا عنق أبي بكر خان وشادي خان ولما أتوا ليضربوا عنق خضر خان فزع وذهل وكانت أمه معه فسدوا الباب دونها وقتلوه وسحبوهم جميعاً في حفرة دون تكفين ولا غسل وأخرجوا بعد سنين فدفنوا بمقابر آبائهم وعاشت أم خضر خان مدة ورأيتها بمكة سنة ثمان وعشرين وحصن كاليور هذا في رأس شاهق كأنه منحوت من الصخر لا يحاذيه جبل وبداخله جباب الماء ونحو عشرين بئراً عليها الاسوار مضافة الى حصن منصوباً عليها المجانيق والرعادات ويصعد الي الحصن في طريق متسعة يصعدها الفيل والفرس وعند باب الحصن صورة فيل منحوت من الحجر وعليه صورة فيال واذا رآه الانسان على البعد لم يشك انه فيل حقيقة وأسفل الحصن مدينة حسنة مبنية كلها بالحجارة البيض المنحوتة مساجدها ودورها ولا خشب فيها ماعدا الابواب وكذلك دار الملك بها والقباب والمجالس وأكثر سوقتها كفار وفيها ستمائة فارس من جيش السلطان لا يزالون في جهاد لانها بين الكفار ولما قتل قطب الدين اخوته واستقل بالملك فلم يبق من ينازعه ولا من يخالف عليه بعث الله تعالي عليه خاصته الحظي لديه أكبر أمرائه وأعظمهم منزلة عنده ناصر الدين خسرو خان ففتك به وقتله واستقل بملكه الا ان مدته لم تطل في الملك فبعث الله عليه أيضاً من قتله بعد خلعه وهو السلطان تغلق حسبما يشرح ذلك كله مستوفي ان شاء الله تعالي اثر هذا ونسطره

﴿ ذكر السلطان خسرو خان ناصر الدين ﴾

وكان خسرو خان من أكبر أمراء قطب الدين وهو شجاع حسن الصورة وكان فتح بلاد جنديري وبلاد المعبر وهي من أخصب بلاد الهند وبينهما وبين دهلي مسيرة ستة أشهر وكان قطب الدين يحبه حباً شديداً ويؤثره فجر ذلك حتفه على يديه وكان لقطب الدين معلم يسمي قاضي خان صدر الجهان وهو أكبر أمرائه وكليت (كليد) دار وهو صاحب مفاتيح القصر وعادته أن يبيت كل ليلة على باب السلطان ومعه أهل النوبة وهم ألف رجل

يبيتون مناوبة بين أربع ليال ويكونون صفين فيما بين أبواب القصر وسلاح كل واحد منهم بين يديه فلا يدخل أحد الا فيما بين سماطيهم واذا تم الليل أتى أهل نوبة النهار ولاهل النوبة امراء وكتاب يتطوفون عليهم ويكتبون من غاب منهم أو حضر وكان معلم السلطان قاضي خان يكره أفعال خسرو خان ويسوءه ما يراه من ايثاره لكفار الهنود وميله اليهم وأصله منهم ولا يزال يلقي ذلك الى السلطان فلا يسمع منه ويقول له دعه وما يريد لما أراد الله من قتله على يديه فلما كان في بعض الايام قال خسرو خان للسلطان ان جماعة من الهنود يريدون ان يسلموا ومن عادتهم بتلك البلاد ان الهندي اذا أراد الاسلام أدخل الى السلطان فيكسوه كسوة حسنة ويعطيه قلادة وأساور من ذهب على قدره فقال له السلطان ائتني بهم فقال انهم يستحيون ان يدخلوا اليك نهار الاجل اقربائهم وأهل ملتهم فقال له ائتني بهم ليلا فجمع خسرو خان جماعة من شجعان الهنود وكبرائهم فيهم أخوه خان خانان وذلك أوان الحر والسلطان ينام فوق سطح القصر ولا يكون عنده في ذلك الوقت الا بعض الفتيان فلما دخلوا الابواب الاربعة وهم شاكون في السلاح ووصلوا الى الباب الخامس وعليه قاضي خان أنكر شأنهم وأحس بالشر فمنعهم من الدخول وقال لابد أن أسمع من خوند عالم بنفسي الاذن في دخولهم وحينئذ يدخلون فلما منعهم من الدخول هجموا عليه فقتلوه وعلت الضجة بالباب فقال السلطان ما هذا فقال خسرو خان هم الهنود الذين أتوا ليسلموا فمنعهم قاضي خان من الدخول وزاد الضجيج فخاف السلطان وقام يريد الدخول الى القصر وكان بابه مسدودا والفتيان عنده فقرع الباب واحتضنه خسرو خان من خلفه وكان السلطان أقوى منه فصرعه ودخل الهنود فقال لهم خسرو خان هو ذا فوقي فاقتلوه فقتلوه وقطعوا رأسه ورموا به من سطح القصر الى صحنه وبعث خسرو خان من حينه عن الامراء والملوك وهم لا يعلمون بما اتفق فكلما دخلت طائفة وجدوه على سرير الملك فبايعوه ولما أصبح أعلن بأمره وكتب المراسم وهي الاوامر الى جميع البلاد وبعث لكل أمير خلعة فطاعوا له جميعاً وأذعنوا الا تغلق شاه والد السلطان محمد شاه وكان اذذاك أميرا بديبالبور من بلاد السند فلما وصلته خلعة خسرو خان طرحها

بالارض وجلس فوقها وبعث اليه أخاه خان خانان فهزمه ثم آل أمره الى ان قتله كما سنشرحه في أخبار تغلق ولما ملك خسرو خان آثر الهنود وأظهر أمورا منكرة منها النهي عن ذبح البقر على قاعدة كفار الهنود فانهم لايجيزون ذبحها وجزاء من ذبحها عندهم ان يخاط في جلدها ويحرق وهم يعظمون البقر ويشربون أبوالها للبركة وللاستشفاء اذا مرضوا ويلطخون بيوتهم وحيطانهم بأرواثها وكان ذلك مما بغض خسرو خان الى المسلمين وأمالهم عنه الى تغلق فلم تطل مدة ولايته ولا امتدت أيام ملكه كما سنذكره

﴿ ذكر السلطان غياث الدين تغلق شاه ﴾

(وضبط اسمه بضم التاء المثلوة وسكون الغين المعجم وضم اللام وآخره قاف) حدثني الشيخ الامام الصالح العالم العامل العابد ركن الدين بن الشيخ الصالح شمس الدين أبي عبد الله ابن الولي الامام العالم العابد بهاء الدين زكريا القرشي الملتاني بزاويته منها ان السلطان تغلق كان من الاتراك المعروفين بالقرونة (بفتح القاف والراء وسكون الواو وفتح النون) وهم قاطنون بالجبال التي بين بلاد السند والترك وكان ضعيف الحال فقدم بلاد السند في خدمة بعض التجار وكان كلوانيا له والكلواني (بضم الكاف المعقودة) هو راعي الخيل (جلوبان) وذلك على أيام السلطان علاء الدين وأمير السند اذذاك أخوه أولوخان (بضم الهمزة واللام) فخدمه تغلق وتعلق بجانبه فرتبه في البيادة (بكسر الباء الموحدة وفتح الياء آخر الحروف) وهم الرجالة ثم ظهرت نجابته فأثبت في الفرسان ثم كان من الامراء الصغار وجعله أولوخان أمير خيله ثم كان بعد من الامراء الكبار وسمي بالملك الغازي ورأيت مكتوبا على مقصورة الجامع بملتان وهو الذي أمر بعملها اني قاتلت التتر تسعا وعشرين مرة فهزمتهم فحينئذ سميت بالملك الغازي ولما ولي قطب الدين ولاه مدينة ديالبور وعمالتها (وهي بكسر الدال المهمل وفتح الباء الموحدة) وجعل ولده الذي هو الآن سلطان الهند أمير خيله وكان يسمى جونة (بفتح الجيم والنون) ولما ملك تسمى بمحمد شاه ثم لما قتل قطب الدين وولي خسرو خان أبقاه على امارة الخيل فلما أراد تغلق الخلاف كان له ثلاثمائة من أصحابه الذين يعتمد عليهم في القتال وكتب

الي كشلوخان وهو يومئذ بملتان وبينها وبين ديبالبور ثلاثة أيام يطلب منه القيام بنصرته ويذكره نعمة قطب الدين ويحرضه على طلب ثاره وكان ولد كشلوخان بدهلي فكتب الى تغلق انه لو كان ولدي عندي لاعنتك علي ماتريد فكتب تغلق الى ولده محمد شاه يعلمه بما عزم عليه ويأمره أن يفر اليه ويستصحب معه ولد كشلوخان فادار ولده الحيلة على خسرو خان وتمت له كما اراد فقال له ان الخيل قد سمنت وتبدنت وهي تحتاج البراق وهو التضمير فأذن له في تضميرها فكان يركب كل يوم في أصحابه فيسير بها الساعة والساعتين والثلاث واستمر الي أربع ساعات الى أن غاب يوما الى وقت الزوال وذلك وقت طعامهم فأمر السلطان بالركوب في طلبه فلم يوجد له خبر ولحق بأبيه واستصحب معه ولد كشلوخان وحينئذ أظهر تغلق الخلاف وجمع العساكر وخرج معه كشلوخان في أصحابه وبعث السلطان أخاه خان خانان لقتالهما فهزماه شرهزيمة وفرعسكره اليهما ورجع خان خانان الى أخيه وقتل أصحابه وأخذت خزائنه وأمواله وقصد تغلق حضرة دهلي وخرج اليه خسرو خان في عساكره ونزل بخارج دهلي بموضع يعرف باصيا أباد (آسياباد) ومعنى ذلك رحي الريح وأمر بالخزائن ففتحت وأعطي الاموال بالبدر لا بوزن ولا عدد ووقع اللقاء بينه وبين تغلق وقاتلت الهنود أشد قتال وانهزمت عساكر تغلق ونهبت محلته وانفرد في أصحابه الاقدمين الثلاثمائة فقال لهم الي أين الفرار حيثما أدركنا قتلنا واشتغلت عساكر خسرو خان بالنهب وتفرقوا عنه ولم يبق معه الا قليل فقصد تغلق وأصحابه موقفه والسلطان هنالك يعرف بالشطر (جتر) الذي يرفع فوق رأسه وهو الذي يسمي بديار مصر القبة والطير ويرفع بها في الاعياد وأما بالهند والصين فلا يفارق السلطان في سفر ولا حضر فلما قصده تغلق وأصحابه حمي القتال بينهم وبين الهنود وانهزم أصحاب السلطان ولم يبق معه أحد وهرب فنزل عن فرسه ورمي بثيابه وسلاحه وبقي في قميص واحد وأرسل شعره بين كتفيه كما يفعل فقراء الهند ودخل بستانا هنالك واجتمع الناس على تغلق وقصد المدينة فأتاه الكتوال بالمفاتيح ودخل القصر ونزل بناحية منه وقال لكشلوخان أنت تكون السلطان فقال كشلوخان بل

أنت تكون السلطان وتنازعا فقال له كشلوخان فان أبيت أن تكون سلطانا فيتولى ولدك فكره هذا أو قبل حينئذ وقعد على سرير الملك وبايعه الخاص والعام ولما كان بعد ثلاث اشتد الجوع بخسرو خان وهو مختف بالبستان فخرج وطاف به فوجد القيم فسأله طعاما فلم يكن عنده فأعطاه خاتمه وقال اذهب فارهنه في طعام فلما ذهب بالخاتم الي السوق أنكر الناس أمره ورفعوه الي الشحنة وهو الحاكم فأدخله على السلطان تغلق فاعلمه بمن دفع اليه الخاتم فبعث ولده محمدا اليأتي به فقبض عليه وأتاه به راكبا على تتو (بتائين مثناتين أولاهما مفتوحة والثانية مضمومه) وهو البرذون فلما مثل بين يديه قال له اني جائع فأتني بالطعام فأمر له بالشربة ثم بالطعام ثم بالقفاع ثم بالتنبول فلما أكل قام قائما وقال يا تغلق افعل معي فعل الملوك ولا تفضحني فقال له لك ذلك وأمر به فضربت رقبته وذلك في الموضع الذي قتل هو به قطب الدين ورمي برأسه وجسده من أعلى السطح كما فعل هو برأس قطب الدين وبعد ذلك أمر بغسله وتكفينه ودفن في مقبرته واستقام الملك لتغلق أربعة أعوام وكان عادلا فاضلا

﴿ ذكر ما رامه ولده من القيام عليه فلم يتم له ذلك ﴾

ولما استقر تغلق بدار الملك بعث ولده محمدا اليفتح بلاد التلنك (وضبطها بكسر التاء المعلوة واللام وسكون النون وكاف معقود) وهي على مسيرة ثلاثة أشهر من مدينة دهلي وبعث معه عسكرا عظيما فيه كبار الامراء مثل الملك تمور (بفتح التاء المعلوة وضم الميم وآخره راء) ومثل الملك تكين (بكسر التاء المعلوة والكاف وآخره نون) ومثل ملك كافور المهردار (بضم الميم) ومثل ملك بيرم (بالباء الموحدة مفتوحة والياء آخر الحروف والراء مفتوحة) وسواهم فلما بلغ الى أرض التلنك أراد المخالفة وكان له نديم من الفقهاء الشعراء يعرف بعبيد فأمره أن يلقي الى الناس ان السلطان تغلق توفي وظنه ان الناس يبايعونه مسرعين اذا سمعوا ذلك فلما ألقى ذلك الى الناس أنكره الامراء وضرب كل واحد منهم طبله وخالف فلم يبق معه من أحد وأرادوا قتله فمنعهم منه ملك تمور وقام دونه ففر الي أبيه في عشرة من الفرسان سماهم ياران موافق معناه الاصحاب الموافقون فأعطاه أبوه الاموال

والعساكر وأمره بالعود الى التلنك فعاد اليها وعلم أبوه بما كان أراده فقتل الفقيه عبيدا وأمر بملك كافور المهردار فضرب له عمود في الارض محدود الطرف وركز في عنقه حتى خرج من جنبه طرفه ورأسه الى أسفل وترك على تلك الحال وفر من بقي من الامراء الى السلطان شمس الدين ابن السلطان ناصر الدين ابن السلطان غياث الدين بلبن واستقروا عنده

﴿ ذكر مسير تغلق الى بلاد اللكنوتي وما اتصل بذلك الى وفاته ﴾

وأقام الامراء الهاربون عند السلطان شمس الدين ثم ان شمس الدين توفي وعهد لولده شهاب الدين فجلس مجلس أبيه ثم غلب عليه أخوه الاصغر غياث الدين بهادور بوره ومعناه بالهندية الاسود واستولى على الملك وقتل أخاه قطلوخان وسائر اخوته وفر شهاب الدين وناصر الدين منهم الى تغلق فتجهز معهما بنفسه لقتال أخيهما وخلف ولده محمداً نائبا عنه في ملكه وجد السير الى بلاد اللكنوتي فتغلب عليها وأسر سلطانها غياث الدين بهادور وقدم به أسيرا الى حضرته وكان بمدينة دهلي الولي نظام الدين البذاوني ولا يزال محمد شاه ابن السلطان يتردد اليه ويعظم خدامه ويسأله الدعاء وكان يأخذ الشيخ حال تغلب عليه فقال ابن السلطان لخدامه اذا كان الشيخ في حاله التي تغلب عليه فاعلموني بذلك فلما أخذته الحال أعلموه فدخل عليه فلما رآه الشيخ قال وهبناك الملك ثم توفي الشيخ في أيام غيبة السلطان فحمل ابنه محمد نعشه على كاهله فبلغ ذلك أباه فانكره وتوعده وكان قد رابته منه أمور ونقم عليه استكثاره من شراء المماليك واجزال العطايا واستجلابه قلوب الناس فزاد حنقه عليه وبلغه ان المنجمين زعموا انه لا يدخل مدينة دهلي بعد سفره ذلك فيتوعدهم ولما عاد من سفره وقرب من الحضرة أمر ولده أن يبني له قصرا وهم يسمونه الكشك (بضم الكاف وشين معجم مسكن) على واد هنالك يسمي أفغان بور فبناه في ثلاثة أيام وجعل أكثر بنائه بالخشب مرتفعا على الارض قائما على سواري خشب وأحكمه بهندسة تولى النظر فيها الملك زاده المعروف بعد ذلك بخواجة جهان واسمه أحمد ابن اياس كبير وزراء السلطان محمد وكان اذ ذاك شحنة العمارة وكانت الحكمة التي اخترعوها فيه انه متى وطئت الفيلة جهة منه وقع ذلك القصر وسقط ونزل السلطان

بالقصر وأطعم الناس وتفرقوا واستأذنه ولده في أن يعرض الفيلة بين يديه وهي مزينة فأذن له وحدثني الشيخ ركن الدين انه كان يومئذ مع السلطان ومعهما ولد السلطان المؤثر لديه محمود فجاء محمد ابن السلطان فقال للشيخ باخوند هذا وقت العصر انزل فصل قال لي الشيخ فنزلت وأتي بالافيال من جهة واحدة حسبما دبروه فلما وطئتها سقط الكشك على السلطان وولده محمود قال الشيخ فسمعت الضجة فعدت ولم أصل فوجدت الكشك قد سقط فأمر ابنه أن يؤتى بالفوس والمساحي للحفر عنه وأشار بالابطاء فلم يؤت بهما الا وقد غربت الشمس فحفروا ووجدوا السلطان قد حنا ظهره على ولده ليقيه الموت فزعم بعضهم انه أخرج ميتا وزعم بعضهم انه أخرج حياً فأجهز عليه وحمل ليلا الى مقبرته التي بناها بخارج البلدة المسماة باسمه تغلق أباد فدفن بها وقد ذكرنا السبب في بنائه لهذه المدينة وبها كانت خزائن تغلق وقصوره وبها القصر الاعظم الذي جعل قراميده مذهبة فاذا طلعت الشمس كان لها نور عظيم وبصيص يمنع البصر من ادامة النظر اليها واختزن بها الاموال الكثيرة ويذكر انه بنى صهريجا وأفرغ فيه الذهب افراغا فكان قطعة واحدة فصرف جميع ذلك ولده محمد شاه لما ولي وبسبب ماذكرناه من هندسة الوزير خواجه جهان في بناء الكشك الذي سقط على تغلق كان حظوته عند ولده محمد شاه وإيثاره لديه فلم يكن أحد يدانيه في المنزلة لديه ولا يبلغ مرتبته عنده من الوزراء ولا غيرهم

﴿ ذكر السلطان أبي المجاهد محمد شاه ابن السلطان غياث الدين تغلق شاه ملك الهند والسند الذي قدمنا عليه ﴾

ولما مات السلطان تغلق استولى ابنه محمد على الملك من غير منازع له ولا مخالف عليه وقد قدمنا انه كان اسمه جونة فلما ملك تسمي بمحمد واكتنى بأبي المجاهد وكل ماذكرت من شأن سلاطين الهند فهو مما أخبرت به وتلقيته أو معظمه من الشيخ كمال الدين بن البرهان الغزنوي قاضي القضاة وأما أخبار هذا الملك فمعظمها مما شاهدته أيام كوني ببلاده

﴿ ذكر وصفه ﴾

وهذا الملك أحب الناس في إسداء العطايا وإراقة الدماء فلا يخلو بابه عن فقير يغنى أو حي

بقتل وقد شهرت فى الناس حكاياته في الكرم والشجاعة وحكاياته في الفتك والبطش بذوي الجنايات وهو أشد الناس مع ذلك تواضعا وأكثرهم اظهارا للعدل والحق وشعائر الدين عنده محفوظة وله اشتداد فى أمر الصلاة والعقوبة علي تركها وهو من الملوك الذين اطردت سعادتهم وخرق المعتادين نقيبتهم ولكن الاغلب عليه الكرم وسنذكر من أخباره في عجائب لم يسمع بمثلها عمن تقدمه وأنا أشهد بالله وملائكته ورسله ان جميع ما أنقله عنه من الكرم الخارق للعادة حق يقين وكفى بالله شهيدا واعلم ان بعض ما أذكره من ذلك لا يسع فى عقل كثير من الناس ويعدونه من قبيل المستحيل عادة ولكنه شيئا عاينته وعرفت صحته وأخذت بحظ وافر منه لا يسعنى الا قول الحق فيه وأكثر ذلك ثابت بالتواتر في بلاد المشرق

﴿ ذكر أبوابه ومشوره وترتيب ذلك ﴾

ودار السلطان بدهلي تسمى دار سرا (بفتح السين المهمل والراء) ولها أبواب كثيرة فأما الباب الاول فعليه جملة من الرجال موكلون به ويقعد به أهل الانفار والابواق والصرنايات فاذا جاء أمير أو كبير ضربوها ويقولون في ضربهم جاء فلان جاء فلان وكذلك أيضاً في البابين الثاني والثالث وبخارج الباب الاول دكاكين يقعد عليها الجلادون وهم الذين يقتلون الناس فان العادة عندهم انه متي أمر السلطان بقتل أحد قتل على باب المشور ويبقى هنالك ثلاثا وبين البابين الاول والثاني دهليز كبير فيه دكاكين مبنية من جهتيه يقعد عليها أهل النوبة من حفاظ الابواب وأما الباب الثاني فيقعد عليه البوابون الموكلون به وبينه وبين الباب الثالث دكانة كبيرة يقعد عليها نقيب النقباء وبين يديه عمود ذهب يمسكه بيده وعلى رأسه كلاه من الذهب مجوهرة فى أعلاها ريش الطواويس والنقباء بين يديه على رأس كل واحد منهم شاشية مذهبة وفي وسطه منطقة وبيده سوط نصابه من ذهب أو فضة ويفضى هذا الباب الثاني الى مشور كبير متسع يقعد به الناس وأما الباب الثالث فعليه دكاكين يقعد فيها كتاب الباب ومن عوائدهم أن لا يدخل على هذا الباب أحد الا من عينه السلطان لذلك ويعين لكل انسان عددا من أصحابه وناسه يدخلون

معه وكل من يأتي الي هذا الباب يكتب الكتاب ان فلانا جاء في الساعة الاولى أو الثانية أو ما بعدها من الساعات الى آخر النهار ويطالع السلطان بذلك بعد العشاء الآخرة ويكتبون أيضاً بكل ما يحدث بالباب من الامور وقد عين من أبناء الملوك من يوصل كل ما يكتبونه الى السلطان ومن عوائدهم أيضاً انه من غاب عن دار السلطان ثلاثة أيام فصاعدا لعذر أو لغير عذر فلا يدخل هذا الباب بعدها الا باذن من السلطان فان كان له عذر من مرض أو غيره قدم بين يديه هدية مما يناسب اهداؤها الى السلطان وكذلك أيضاً القادمون من الاسفار فالفقيه يهدي المصحف والكتاب وشبهه والفقير يهدي المصلي والسبحة والمسواك ونحوها والامراء ومن أشبههم يهدون الخيل والجمال والسلاح وهذا الباب الثالث يفضي الى المشور الهائل الفسيح الساحة المسمي هزار اسطون (بفتح الهاء والزاى وألف وراء) ومعنى ذلك ألف سارية وهو سوارى من خشب مدهونة عليها سقف خشب منقوشة أبدع نقش يجلس الناس تحتها وبهذا المشور يجلس السلطان الجلوس العام

﴿ ذكر ترتيب جلوسه للناس ﴾

وأكثر جلوسه بعد العصر وربما جلس أول النهار وجلوسه على مسطبة مفروشة بالبياض فوقها مرتبة ويجعل خلف ظهره مخدة كبيرة وعن يمينه متكأ وعن يساره مثل ذلك وقعوده كجلوس الانسان للتشهد في الصلاة وهو جلوس أهل الهند كلهم فاذا جلس وقف أمامه الوزير ووقف الكتاب خلف الوزير وخلفهم الحجاب وكبير الحجاب هو فيروز ملك ابن عم السلطان ونائبه وهو أدنى الحجاب من السلطان ثم يتلوه خاص حاجب ثم يتلوه نائب خاص حاجب ووكيل الدار ونائبه وشرف الحجاب وسيد الحجاب وجماعة تحت أيديهم ثم يتلو الحجاب النقباء وهم نحو مائة وعند جلوس السلطان ينادى الحجاب والنقباء بأعلى أصواتهم باسم الله ثم يقف على رأس السلطان الملك الكبير قبوله وبيده المذبة يشرد بها الذباب ويقف مائة من السلحدارية عن يمين السلطان ومثلهم عن يساره بأيديهم الدرق والسيوف والقسي ويقف في الميمنة والميسرة بطول المشور قاضى

القضاة ويليه خطيب الخطباء ثم سائر القضاة ثم كبار الفقهاء ثم كبار الشرفاء ثم المشايخ ثم اخوة السلطان واصهاره ثم الامراء الكبار ثم كبار الاعزة وهم الغرباء ثم القواد ثم يؤتى بستين فرسا مسرجة ملجمة بجهازات سلطانية فمنها ماهو بشعار الخلافة وهي التي لجمها ودوائرها من الحرير الاسود المذهب ومنها مايكون ذلك من الحرير الابيض المذهب ولا يركب بذلك غير السلطان فيوقف النصف من هذه الخيل عن اليمين والنصف عن الشمال بحيث يراها السلطان ثم يؤتى بخمسين فيلا مزينة بثياب الحرير والذهب مكسوة أنيابها بالحديد اعدادا لقتل أهل الجرائم وعلى عنق كل فيل فياله وبيده شبه الطبرزين من الحديد يؤدبه به ويقومه لما يراد منه وعلى ظهر كل فيل شبه الصندوق العظيم يسع عشرين من المقاتلة وأكثر من ذلك ودونه على حسب ضخامة الفيل وعظم جرمه ويكون في اركان ذلك الصندوق أربعة أعلام مركوزة وتلك الفيلة معلمة ان تخدم السلطان وتحط رؤسها فاذا خدمت قال الحجاب بسم الله باصوات عالية ويوقف ايضا نصفها عن اليمين ونصفها عن الشمال خلف الرجال الواقفين وكل من يأتي من الناس المعينين للوقوف في الميمنة أو الميسرة يخدم عند موقف الحجاب ويقول الحجاب بسم الله ويكون ارتفاع أصواتهم بقدر ارتفاع صوت الذي يخدم فاذا خدم انصرف الى موقفه من الميمنة أو الميسرة لا يتعداه أبدا ومن كان من كفار الهنود يخدم ويقول له الحجاب والنقباء هداك الله ويقف عبيد السلطان من وراء الناس كلهم بأيديهم الترسة والسيوف فلا يمكن أحد الدخول بينهم الا بين يدي الحجاب القائمين بين يدي السلطان

﴿ ذكر دخول الغرباء وأصحاب الهدايا اليه ﴾

وان كان بالباب أحد ممن قدم على السلطان بهدية دخل الحجاب الى السلطان على ترتيبهم يقدمهم أمير حاجب ونائبه خلفه ثم خاص حاجب ونائبه خلفه ثم وكيل الدار ونائبه خلفه ثم سيد الحجاب وشرف الحجاب ويخدمون في ثلاثة مواضع ويعلمون السلطان بمن في الباب فاذا أمرهم ان يأتوا به جعلوا الهدية التي ساقها بأيدي الرجال يقومون بها امام الناس بحيث يراها السلطان ويستدعي صاحبها فيخدم قبل الوصول الى السلطان

ثلاث مرات ثم يخدم عند موقف الحجاب فان كان رجلا كبيرا وقف في صف أمير حاجب والا وقف خلفه ويخاطبه السلطان بنفسه ألطف خطاب ويرحب به وان كان ممن يستحق التعظيم فانه يصافحه أو يعانقه ويطلب بعض هديته فتحضر بين يديه فان كانت من السلاح أو الثياب قلبها بيده وأظهر استحسانها جبرا لخاطر مهديها وايناسا له ورفقا به وخلع عليه وأمر له بمال لغسل رأسه على عادتهم في ذلك بمقدار ما يستحقه المهدى

﴿ ذكر دخول هدايا عماله اليه ﴾

واذا أتي العمال بالهدايا والاموال المجتمعة من مجابي البلاد صنعوا الاواني من الذهب والفضة مثل الطسوت والاباريق وسواها وصنعوا من الذهب والفضة قطعا شبه الآجر يسمونها الخشت (بكسر الخاء المعجمة وسكون الشين المعجم وتاء معلوة) ويقف الفراشون وهم عبيد السلطان صفا والهدية بأيديهم كل واحد منهم يمسك قطعة ثم يقدم الفيلة ان كان في الهدية شيء منها ثم الخيل المسرجة الملجمة ثم البغال ثم الجمال عليها الاموال ولقد رأيت الوزير خواجه جهان قدم هديته ذات يوم حين قدم السلطان من دولة آباد ولقيه بها في ظاهر مدينة بيانة فأدخلت الهدية اليه على هذا الترتيب ورأيت في جملتها صينية مملوءة باحجار الياقوت وصينية مملوءة باحجار الزمرد وصينية مملوءة باللؤلؤ الفاخر وكان حاجي كاون ابن عم السلطان أبي سعيد ملك العراق حاضرا عنده حين ذلك فأعطاه حظا منها وسيذكر ذلك فيما بعد ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر خروجه للعيدين وما يتصل بذلك ﴾

واذا كانت ليلة العيد بعث السلطان الى الملوك والخواص وأرباب الدولة والاعزة والكتاب والحجاب والنقباء والقواد والعبيد وأهل الاخبار الخلع التي تعمهم جميعاً فاذا كانت صبيحة العيد زينت الفيلة كلها بالحرير والذهب والجواهر ويكون منها ستة عشر فيلا لا يركبها أحد انما هي مختصة بركوب السلطان ويرفع عليها ستة عشر شطرا (جترا) من الحرير مرصعة بالجوهر قائمة كل شطر منها ذهب خالص وعلى كل فيل مرتبة حرير مرصعة بالجواهر ويركب السلطان فيلا منها وترفع امامه الغاشية وهي ستارة سرجه

وتكون مرصعة بأنفس الجواهر ويمشي بين يديه عبيده ومماليكه وكل واحد منهم تكون على رأسه شاشية ذهب وعلى وسطه منطقة ذهب وبعضهم يرصعها بالجوهر ويمشي بين يديه أيضاً النقباء وهم نحو ثلثمائة وعلى رأس كل واحد منهم اقروف ذهب وعلى وسطه منطقة ذهب وفي يده مقرعة نصابها ذهب ويركب قاضي القضاة صدر الجهان كمال الدين الغزنوي وقاضي القضاة صدر الجهان ناصر الدين الخوارزمي وسائر القضاة وكبار الاعزة من الخراسانيين والعراقيين والشاميين والمصريين والمغاربة كل واحد منهم على فيل وجميع الغرباء عندهم يسمون الخراسانيين ويركب المؤذنون أيضاً على الفيلة وهم يكبرون ويخرج السلطان من باب القصر على هذا الترتيب والعساكر تنتظره كل أمير بفوجه على حدة معه طبوله واعلامه فيتقدم السلطان وأمامه من ذكرناه من المشاة وامامهم القضاة والمؤذنون يذكرون الله تعالى وخلف السلطان مراتبه وهي الاعلام والطبول والابواق والانفار والصرنايات وخلفهم جميع أهل دخلته ثم يتلوهم أخو السلطان مبارك خان بمراتبه وعساكره ثم يليه ابن أخي السلطان بهرام خان بمراتبه وعساكره ثم يليه ابن عمه ملك فيروز بمراتبه وعساكره ثم يليه الوزير بمراتبه وعساكره ثم يليه الملك مجير بن ذي الرجا بمراتبه وعساكره ثم يليه الملك الكبير قبولة بمراتبه وعساكره وهذا الملك كبير القدر عنده عظيم الجاه كثير المال أخبرني صاحب ديوانه ثقة الملك علاء الدين علي المصري المعروف بابن الشرابشي ان نفقته ونفقة عبيده ومرتباتهم ستة وثلاثون لكا في السنة ثم يليه الملك نكبية بمراتبه وعساكره ثم يليه الملك بغرة بمراتبه وعساكره ثم يليه الملك مخلص بمراتبه وعساكره ثم يليه الملك قطب الملك بمراتبه وعساكره وهؤلاء هم الامراء الكبار الذين لا يفارقون السلطان وهم الذين يركبون معه يوم العيد بالمراتب ويركب غيرهم من الامراء دون مراتب وجميع من يركب في ذلك اليوم يكون مدرعاهو وفرسه وأكثرهم مماليك السلطان فاذا وصل السلطان الى باب المصلى وقف على بابه وأمر بدخول القضاة وكبار الامراء وكبار الاعزة ثم نزل السلطان ويصلي الامام ويخطب فان كان عيد الاضحى أتي السلطان بجمل فنحره برمح يسمونه النيزة (بكسر النون وفتح

الزاي) بعد أن يجعل على ثيابه فوطة حرير توقيا من الدم ثم يركب الفيل ويعود الي قصره

﴿ ذكر جلوس يوم العيد وذكر السرير الاعظم والمبخرة العظمى ﴾

ويفرش القصر يوم العيد ويزين بأبدع الزينة وتضرب الباركة على المشور كله وهي شبه خيمة عظيمة تقوم على أعمدة ضخام كثيرة وتحفها القباب من كل ناحية ويصنع شبه أشجار من حرير ملون فيها شبه الازهار ويجعل منها ثلاثة صفوف بالمشور ويجعل بين كل شجرتين كرسي ذهب عليه مرتبة مغطاة وينصب السرير الاعظم في صدر المشور وهو من الذهب الخالص كله مرصع القوائم بالجواهر وطوله ثلاثة وعشرون شبرا وعرضه نحو النصف من ذلك وهو منفصل وتجمع قطعه فتتصل وكل قطعة منها يحملها جملة رجال لثقل الذهب وتجعل فوقه المرتبة ويرفع الشطر المرصع بالجواهر على رأس السلطان وعندما يصعد على السرير ينادي الحجاب والنقباء بأصوات عالية باسم الله ثم يتقدم الناس للسلام فأولهم القضاة والخطباء والعلماء والشرفاء والمشايخ واخوة السلطان وأقاربه واصهاره ثم الاعزة ثم الوزير ثم أمراء العساكر ثم شيوخ المماليك ثم كبار الاجناد يسلم واحد اثر واحد من غير تزاحم ولا تدافع ومن عوائدهم في يوم العيد ان كل من بيده قرية منعم بها عليه يأتي بدنانير ذهب مصرورة في خرقة مكتوب عليها اسمه فيلقيها في طست ذهب هنالك فيجتمع منها مال عظيم يعطيه السلطان لمن شاء فاذا فرغ الناس من السلام وضع لهم الطعام على حسب مراتبهم وينصب في ذلك اليوم المبخرة العظمى وهي شبه برج من خالص الذهب منفصلة فاذا أرادوا اتصالها وصلوها وتحمل القطعة الواحدة منها جملة من الرجال وفي داخلها ثلاثة بيوت يدخل فيها المبخرون يوقدون العود القماري والقاقلي والعنبر الاشهب والجاوي حتى يعم دخانها المشور كله ويكون بأيدي الفتيان رواميل الذهب والفضة مملوءة بماء الورد وماء الزهر يصبونه على الناس صبا وهذا السرير وهذه المبخرة لا يخرجان الا في العيدين خاصة ويجلس السلطان في بقية أيام العيد على سرير ذهب دون ذلك وتنصب باركة بعيدة لها ثلاثة أبواب يجلس السلطان في داخلها ويقف على الباب الاول منها

عماد الملك سرتيز وعلى الباب الثاني الملك نكبية وعلى الباب الثالث يوسف بغرة ويقف على اليمين امراء المماليك السلحدارية وعن اليسار كذلك ويقف الناس على مراتبهم وشحنة الباركة ملك طني بيده عصي ذهب وبيد نائبه عصى فضة يرتبان الناس ويسويان الصفوف ويقف الوزير والكتاب خلفه ويقف الحجاب والنقباء ثم يأتي أهل الطرب فأولهم بنات الملوك الكفار من الهنود المسبيات في تلك السنة فيغنين ويرقصن ويهبهن السلطان للامراء والاعزة ثم يأتي بعد من سائر بنات الكفار فيغنين ويرقصن ويهبهن لاخوانه وأقاربه واصهاره وأبناء الملوك ويكون جلوس السلطان لذلك بعد العصر ثم يجلس في اليوم الذي بعده بعد العصر أيضاً على ذلك الترتيب ويؤتى بالمغنيات فيغنين ويرقصن ويهبهن لامراء المماليك وفي اليوم الثالث يزوج أقاربه وينعم عليهم وفي اليوم الرابع يعتق العبيد وفي اليوم الخامس يعتق الجواري وفي اليوم السادس يزوج العبيد بالجواري وفي اليوم السابع يعطي الصدقات ويكثر منها

﴿ ذكر ترتيبه اذا قدم من سفره ﴾

واذا قدم السلطان من أسفاره زينت الفيلة ورفعت على ستة عشر فيلا منها ستة عشر شطرا منها مزركش ومنها مرصع وحملت امامه الغاشية وهي الستارة المرصعة بالجوهر النفيس وتصنع قباب من الخشب مقسومة على طبقات وتكسى بثياب الحرير ويكون في كل طبقة الجواري المغنيات عليهن أجمل لباس وأحسن حلية ومنهن رواقص ويحصل في وسط كل قبة حوض كبير مصنوع من الجلود مملوء بماء الجلاب محلولا بالماء يشرب منه جميع الناس من وارد وصادر وبلدي أو غريب وكل من يشرب منه يعطي التنبول والفوفل ويكون ما بين القباب مفروشا بثياب الحرير يطأ عليها مركب السلطان وتزين حيطان الشارع الذي يمر به من باب المدينة الى باب القصر بثياب الحرير ويمشي امامه المشاة من عبيده وهم آلاف وتكون الافواج والعساكر خلفه ورأيته في بعض قدماته على الحضرة وقد نصبت ثلاث أو أربع من الرعادات الصغار على الفيلة ترمي بالدنانير والدراهم على الناس فيلتقطونها من حين دخوله الى المدينة حتى وصل الى قصره

﴿ ذكر ترتيب الطعام الخاص ﴾

والطعام بدار السلطان على صنفين طعام الخاص وطعام العام فأما الخاص فهو طعام السلطان الذي يأكل منه وعادته ان يأكل في مجلسه مع الحاضرين ويحضر لذلك الامراء الخواص وأمير حاجب ابن عم السلطان وعماد الملك سرتيز وأمير مجلس ومن شاء السلطان تشريفه أو تكريمه من الاعزة أو كبار الامراء دعاه فأكل معهم وربما أراد أيضاً تشريف أحد من الحاضرين فأخذ احدى الصحاف بيده وجعل عليها خبزة ويعطيه اياها فيأخذها المعطي ويجعلها على كفه اليسرى ويخدم بيده اليمنى الى الارض وربما بعث من ذلك الطعام الى من هو غائب عن المجلس فيخدم كما يصنع الحاضر ويأكله مع من حضره وقد حضرت مرات لهذا الطعام الخاص فرأيت جملة الذين يحضرونه نحو عشرين رجلا

﴿ ذكر ترتيب الطعام العام ﴾

وأما الطعام العام فيؤتى به من المطبخ وامامه النقباء يصيحون باسم الله ونقيب النقباء امامهم بيده عمود ذهب ونائبه معه بيده عمود فضة فاذا دخلوا من الباب الرابع وسمع من بالمشور أصواتهم قاموا قياماً أجمعين ولا يبقى أحد قاعدا الا السلطان وحده فاذا وضع الطعام بالارض اصطف النقباء صفا ووقف أميرهم امامهم وتكلم بكلام يمدح فيه السلطان ويثني عليه ثم يخدم ويخدم النقباء لخدمته ويخدم جميع من بالمشور من كبير وصغير وعادتهم انه من سمع كلام نقيب النقباء حين ذلك وقف ان كان ماشياً ولزم موقفه ان كان واقفا ولا يتحرك أحد ولا يتزحزح عن مقامه حتى يفرغ ذلك الكلام ثم يتكلم أيضاً نائبه كلاما نحو ذلك ويخدم ويخدم النقباء وجميع الناس مرة ثانية وحينئذ يجلسون ويكتب كتاب الباب معرفين بحضور الطعام وان كان السلطان قد علم بحضوره ويعطي المكتوب لصبي من أبناء الملوك موكل بذلك فيأتي به الى السلطان فاذا قرأه عين من شاء من كبار الامراء لترتيب الناس واطعامهم وطعامهم الرقاق والشواء والاقراص ذات الجوانب المملوءة بالحلواء والارز والدجاج والسمك وقد ذكرنا ذلك وفسرنا ترتيبه وعادتهم أن يكون في صدر سماط الطعام القضاة والخطباء والفقهاء والشرفاء والمشايخ ثم أقارب السلطان ثم الامراء الكبار

ثم سائر الناس ولا يقعد أحد الا في موضع معين له فلا يكون بينهم تزاحم البتة فاذا جلسوا أتى الشربدارية وهم السقاة بأيديهم أواني الذهب والفضة والنحاس والزجاج مملوءة بالنبات المحلول بالماء فيشربون ذلك قبل الطعام فاذا شربوا قال الحجاب بسم الله ثم يشرعون في الاكل ويجعل امام كل انسان من جميع ما يحتوي عليه السماط يأكل منه وحده ولا يأكل أحد مع أحد في صحفة واحدة فاذا فرغوا من الاكل أتوا بالفقاع في أكواز القصدير فاذا أخذوه قال الحجاب باسم الله ثم يؤتى باطباق التنبول والفوفل فيعطى كل انسان غرفة من الفوفل المهشوم وخمس عشرة ورقة من التنبول مجموعة مربوطة بخيط حرير أحمر فاذا أخذ الناس التنبول قال الحجاب باسم الله فيقومون جميعاً ويخدم الامير المعين للاطعام ويخدمون لخدمته ثم ينصرفون وطعامهم مرتان في اليوم احداهما قبل الظهر والأخرى بعد العصر

﴿ذكر بعض أخباره في الجود والكرم﴾

وانما أذكر منها ما حضرته وشاهدته وعاينته ويعلم الله تعالى صدق ما أقول وكفى به شهيد مع أن الذي أحكيه مستفيض متواتر والبلاد التي تقرب من أرض الهند كاليمن وخراسان وفارس مملوءة بأخباره يعلمونها حقيقة ولا سيما جوده على الغرباء فانه يفضلهم على أهل الهند ويؤثرهم ويجزل لهم الاحسان ويسبغ عليهم الانعام ويوليهم الخطط الرفيعة ويوليهم المواهب العظيمة ومن احسانه اليهم أن سماهم الاعزة ومنع من أن يدعوا الغرباء وقال ان الانسان اذا دعي غريباً انكسر خاطره وتغير حاله وسأذكر بعضاً مما لا يحصي من عطاياه الجزيلة ومواهبه ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عطائه لشهاب الدين الكازروني التاجر وحكايته﴾

كان شهاب الدين هذا صديقاً لملك التجار الكازروني الملقب بيرويز وكان السلطان قد أقطع ملك التجار مدينة كنباية ووعده أن يوليه الوزارة فبعث الى صديقه شهاب الدين ليقدم عليه فأتاه وأعد هدية للسلطان وهي سراجة من الملف المقطوع المزين بورقة الذهب

وصيوان مما يناسبها وخباء وتابع وخباء راحة كل ذلك من الملف المزين وبغال كثيرة فلما قدم شهاب الدين بهذه الهدية على صاحبه ملك التجار وجده آخذا في القدوم على الحضرة بما اجتمع عنده من مجابي بلاده وبهدية للسلطان وعلم الوزير خواجه جهان بما وعده به السلطان من ولاية الوزارة فغار من ذلك وقلق بسببه وكانت بلاد كنباية والجزرات قبل تلك المدة في ولاية الوزير ولاهلها تعلق بجانبه وانقطاع اليه وتخدم له وأكثرهم كفار وبعضهم عصاة يمتنعون بالجبال فدس الوزير اليهم ان يضربوا على ملك التجار اذا خرج الى الحضرة فلما خرج بالخزائن والاموال ومعه شهاب الدين بهديته نزلوا يوما عند الضحى على عادتهم وتفرقت العساكر ونام أكثرهم فضرب عليهم الكفار في جمع عظيم فقتلوا ملك التجار وسلبوا الاموال والخزائن وهدية شهاب الدين ونجا هو بنفسه وكتب المخبرون الى السلطان بذلك فأمر ان يعطي شهاب الدين من مجبى بلاد نهروالة ثلاثين ألف دينار ويعود الى بلاده فعرض عليه ذلك فأبى من قبوله وقال ماقصدي الا رؤية السلطان وتقبيل الارض بين يديه فكتبوا الى السلطان بذلك فأعجبه قوله وأمر بوصوله الى الحضرة مكرما وصادف يوم دخوله على السلطان يوم دخولنا نحن عليه فخلع علينا جميعا وأمر بانزالنا وأعطي شهاب الدين عطاء جزلا فلما كان بعد ذلك أمر لى السلطان بستة آلاف تنكه كما سنذكره وسأل في ذلك اليوم عن شهاب الدين اين هو فقال له بهاء الدين ابن الفلكي ياخوند عالم نميدانم معناه ماندري ثم قال له شنيدم زحمت داره (دارد) معناه سمعت ان به مرضا فقال له السلطان برو همين زمان درخزانة يك لاك تنكه زر بكري أو بيش أو ببري تادل أو خش (خوش) شود معناه امش الساعة الي الخزانة وخذ منها مائة ألف تنكه من الذهب واحملها اليه حتي يبقى خاطره طيبا ففعل ذلك فأعطاه اياها وأمر السلطان أن يشتري بها ما أحب من السلع الهندية ولا يشتري أحد من الناس شيئا حتي يتجهز هو وأمر له بثلاثة مراكب مجهزة من آلاتها ومن مرتب البحرية وزادهم ليسافر فيها فسافر ونزل بجزيرة هرمز وبنى بها دارا عظيمة رأيتها بعد ذلك ورأيت أيضا شهاب الدين وقد فني جميع ما كان عنده وهو بشيراز يستجدي سلطانها أبا اسحق وهكذا مال هذه البلاد الهندية

قلما يخرج أحد به منها الا النادر واذا خرج به ووصل الى غيرها من البلاد بعث الله عليه آفة تفني ما بيده كمثل ما اتفق لشهاب الدين هذا فانه أخذ له في الفتنة التي كانت بين ملك هرمز وابن أخيه جميع ما عنده وخرج سليباً من ماله

﴿ ذكر عطائه لشيخ الشيوخ ركن الدين ﴾

وكان السلطان قد بعث هدية الى الخليفة بديار مصر أبي العباس وطلب منه أن يبعث له أمر التقدمة على بلاد الهند والسند اعتقاداً منه في الخلافة فبعث اليه الخليفة أبو العباس ما طلبه مع شيخ الشيوخ بديار مصر ركن الدين فلما قدم عليه بالغ في اكرامه وأعطاه عطاء جزلا وكان يقوم له متى دخل عليه ويعظمه ثم صرفه وأعطاه أموالا طائلة وفي جملة ما أعطاه جملة من صفائح الخيل ومساميرها كل ذلك من الذهب الخالص وقال له اذا نزلت من البحر فانعل افراسها بها فتوجه الى كنباية ليركب البحر منها الى بلاد اليمن فوقعت قضية خروج القاضي جلال الدين وأخذه مال ابن الكولمي فأخذ أيضاً ما كان لشيخ الشيوخ وفر بنفسه مع ابن الكولمي الى السلطان فلما رآه السلطان قال له ممازحاً آمدي كزر (كه زر) برى بادكري (دلرباى) صنم خرى زر نبرى وسر نهي معناه جئت لتحمل الذهب تأكله مع الصور الحسان فلا تحمل ذهباً ورأسك تخليه ههنا قال له ذلك على معنى الانبساط ثم قال له اجمع خاطرك فها أنا سائر الى المخالفين وأعطيك أضعاف ما أخذوه لك وبلغني بعد الانفصال عن بلاد الهند انه وفي له بما وعده وأخلف له جميع ما ضاع منه وانه وصل بذلك الى ديار مصر

﴿ ذكر عطائه للواعظ الترمذي ناصر الدين ﴾

وكان هذا الفقيه الواعظ قدم على السلطان وأقام تحت احسانه مدة عام ثم احب الرجوع وطنه فأذن له في ذلك ولم يكن سمع كلامه ووعظه فلما خرج السلطان يقصد بلاد المعبر أحب سماعه قبل انصرافه فأمر أن يهيأ له منبر من الصندل الابيض المقاصري وجعلت مساميره وصفائحه من الذهب وألصق بأعلاه حجر ياقوت عظيم وخلع على ناصر الدين خلعة عباسية سوداء مذهبة مرصعة بالجوهر وعمامة مثلها ونصب له المنبر بداخل السراجة

وهي أفراج وقعد السلطان على سريره والخواص عن يمينه ويساره وأخذ القضاة والفقهاء والأمراء مجالسهم فخطب خطبة بليغة ووعظ وذكر ولم يكن فيما فعله طائل لكن سعادته ساعدته فلما نزل عن المنبر قام السلطان اليه وعانقه واركبه على فيل وأمر جميع من حضر أن يمشوا بين يديه وكنت في جملتهم الى سراجة ضربت له مقابلة سراجة السلطان جميعها من الحرير الملون وصيوانها من الحرير وخباؤها أيضاً كذلك فجلس وجلسنا معه وكان بجانب من السراجة أواني الذهب التي أعطاه السلطان إياها وذلك تنور كبير بحيث يسع في جوفه الرجل القاعد وقدران اثنان وصحاف لا أذكر عددها وجملتها كوازور كوة وتيسندة ومائدة طبا أربعة أرجل ومحمل للكتب كل ذلك من ذهب خالص ورفع عماد الدين السمناني وتدين من أوتاد السراجة أحدهما نحاس والآخر مقصدر يوهم بذلك انهما من ذهب وفضة ولم يكونا الا كما ذكرنا وقد كان أعطاه حين قدومه مائة ألف دينار دراهم ومئتين من العبيد سرح بعضهم وحمل بعضهم

﴿ ذكر عطائه لعبد العزيز الاردويلي ﴾

وكان عبد العزيز هذا فقيها محدثا قرأ بدمشق على تقي الدين ابن تيمية وبرهان الدين بن البركح وجمال الدين المزي وشمس الدين الذهبي وغيرهم ثم قدم على السلطان فاحسن اليه وأكرمه واتفق يوما انه سرد عليه أحاديث في فضل العباس وابنه رضي الله عنهما وشيئاً من مآثر الخلفاء أولادهما فأعجب ذلك السلطان لحبه في بني العباس وقبل قدمي الفقيه وأمر أن يؤتى بصينية ذهب فيها الفا تنكة نصبها عليه بيده وقال هي لك مع الصينية وقد ذكرنا هذه الحكاية فيما تقدم

﴿ ذكر عطائه لشمس الدين الاندكاني ﴾

وكان الفقيه شمس الدين الاندكاني حكيما شاعرا مطبوعا فمدح السلطان بقصيدة باللسان الفارسي وكان عدد أبياتها سبعة وعشرين بيتاً فأعطاه لكل بيت منها ألف دينار دراهم وهذا أعظم مما يحكي عن المتقدمين الذين كانوا يعطون على بيت شعر ألف درهم وهو عشر عطاء السلطان

﴿ ذكر عطائه لعضد الدين الشونكاري ﴾

وكان عضد الدين فقيها اماما فاضلا كبير القدر عظيم الصيت شهير الذكر ببلاده فبلغت السلطان أخباره وسمع بمآثره فبعث اليه الى بلده شونكارة عشرة آلاف دينار دراهم ولم يره قط ولا وفد عليه

﴿ ذكر عطائه للقاضي مجد الدين ﴾

ولما بلغه أيضاً خبر القاضي العالم الصالح ذي الكرامة الشهيرة مجد الدين قاضي شيراز الذي سطرنا أخباره في السفر الأول وسيمر بعض خبره بعد هذا أيضاً بعث اليه الى مدينة شيراز صحبة الشيخ زاده الدمشقي عشرة آلاف دينار دراهم

﴿ ذكر عطائه لبرهان الدين الصاغرجي ﴾

وكان برهان الدين أحد الوعاظ الائمة كثير الايثار باذلا لما يملكه حتى انه كثيرا ما يأخذ الديون ويؤثر على الناس فبلغ خبره الى السلطان فبعث اليه أربعين ألف دينار وطلب منه أن يصل الى حضرته فقبل الدنانير وقضى دينه منها وتوجه الى بلاد الخطا وأبى ان يصل اليه وقال لا أمضي الى سلطان يقف العلماء بين يديه

﴿ ذكر عطائه لحاجي كاون وحكايته ﴾

وكان حاجي كاون ابن عم السلطان أبي سعيد ملك العراق وكان أخوه موسى ملكا ببعض بلاد العراق فوفد حاجي كاون على السلطان فأكرم مثواه وأعطاه العطاء الجزل ورأيته يوما وقد أتى الوزير خواجة جهان بهديته وكان منها ثلاث صينيات أحدها مملوءة يواقيت والاخرى مملوءة زمردا والاخرى مملوءة جوهرا وكان حاجي كاون حاضرا فأعطاه من ذلك حظا جزيلا ثم انه أعطاه أيضاً مالا عريضاً ومضى يريد العراق فوجد أخاه قد توفي وولى مكانه سليمان خان فطلب ارث أخيه وادعى الملك وبايعته العساكر وقصد بلاد فارس ونزل بمدينة شونكارة التي بها الامام عضد الدين الذي تقدم ذكره آنفا فلما نزل بخارجها تأخر شيوخها عن الخروج اليه ساعة ثم خرجوا فقال لهم ما منعكم عن تعجيل الخروج الى مبايعتنا فاعتذروا له فلم يقبل منهم وقال لاهل سلاحه قلتج (چقار) معناه

جردوا السيوف فجردوها وضربوا أعناقهم وكانوا جماعة كبيرة فسمع من يجاور هذه المدينة من الامراء بفعله فغضبوا لذلك وكتبوا الي شمس الدين السمناني وهو من الامراء الفقهاء الكبار فاعلموه بما جري على أهل شونكارة وطلبوا منه الاعانة على قتاله فجرد في عساكره واجتمع أهل البلاد طالبين بثأر من قتله حاجي كاون من المشايخ وضربوا على عسكره ليلا فهزموه وكان هو بقصر المدينة فأحاطوا به فاختفى في بيت الطهارة فعثروا عليه وقطعوا رأسه وبعثوا به الى سليمان خان وفرقوا اعضاءه على البلاد تشفيا منه

﴿ ذكر قدوم ابن الخليفة عليه وأخباره ﴾

وكان الامير غياث الدين محمد بن عبد القاهر بن يوسف بن عبد العزيز بن الخليفة المستنصر بالله العباسي البغدادي قد وفد على السلطان علاء الدين طرمشيرين ملك ماوراء النهر فأكرمه وأعطاه الزاوية التي على قبر قثم بن العباس رضي الله عنهما واستوطن بها أعواما ثم لما سمع بمحبة السلطان في بني العباس وقيامه بدعوتهم أحب القدوم عليه وبعث له برسولين أحدهما صاحبه القديم محمد بن أبي الشرفي الحرباوي والثاني محمد الهمداني الصوفي فقدما على السلطان وكان ناصر الدين الترمذي الذي تقدم ذكره قد لقي غياث الدين ببغداد وشهد لديه البغداديون بصحة نسبه فشهد هو عند السلطان بذلك فلما وصل رسولاه الى السلطان أعطاهما خمسة آلاف دينار وبعث معهما ثلاثين ألف دينار الى غياث الدين ليتزود بها اليه وكتب له كتابا بخط يده يعظمه فيه ويسأل منه القدوم عليه فلما وصله الكتاب رحل اليه فلما وصل الي بلاد السند وكتب المخبرون بقدومه بعث السلطان من يستقبله على العادة ثم لما وصل الى سرستي بعث أيضا لاستقباله صدر الجهان قاضي القضاة كمال الدين الغزنوي وجماعة من الفقهاء ثم بعث الامراء لاستقباله فلما نزل بمسعود آباد خارج الحضرة خرج السلطان بنفسه لاستقباله فلما التقيا ترجل غياث الدين فترجل له السلطان وخدم فخدم له السلطان وكان قد استصحب هدية في جملتها ثياب فأخذ السلطان أحد الاثواب وجعله على كتفه وخدم كما يفعل الناس معه ثم قدمت الخيل فأخذ

السلطان أحدهما بيده وقدمه له وحلف أن يركب وأمسك ركابه حتى ركب ثم ركب السلطان وسائره والشطر يظلهما معا وأخذ التنبول بيده واعطاه اياه وهذا أعظم ما أكرمه به فانه لا يفعله مع أحد وقال له لولا اني بايعت الخليفة أبا العباس لبايعتك فقال له غياث الدين وأنا أيضا على تلك البيعة وقال له غياث الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما من أحيى أرضا مواتا فهي له وانت أحييتنا فجاوبه السلطان بألطف جواب وأبره ولما وصلا الى السراجة المعدة لنزول السلطان أنزله فيها وضرب للسلطان غيرها وباتا تلك الليلة بخارج الحضرة فلما كان بالغد دخلا الى دار الملك وأنزله بالمدينة المعروفة بسيري وبدار الخلافة ايضا في القصر الذى بناه علاء الدين الخلجي وابنه قطب الدين وأمر السلطان جميع الامراء ان يمضوا معه اليه واعدله فيه جميع ما يحتاج اليه من الاواني الذهب والفضة حتى كان من جملتها مغتسل يغتسل فيه من ذهب وبعث له اربعمائة الف دينار لغسل رأسه على العادة وبعث له جملة من الفتيان والخدم والجوارى وعين له عن نفقته في كل يوم ثلاثمائة دينار وبعث له زيادة اليها عددا من الموائد بالطعام الخاص واعطاه جميع مدينة سيرى اقطاعا وجميع ما احتوت عليه من الدور وما يتصل بها من بساتين المخزن وأرضه واعطاه مائة قرية واعطاه حكم البلاد الشرقية المضافة لدهلى واعطاه ثلاثين بغلة بالسروج المذهبة ويكون علفها من المخزن وامره ان لا ينزل عن دابته اذا أتى دار السلطان الا في موضع خاص لا يدخله احد راكبا سوى السلطان وامر الناس جميعا من كبير وصغير ان يخدموا له كما يخدمون للسلطان واذا دخل على السلطان ينزل له عن سريره وان كان على الكرسي قام قائما وخدم كل واحد منهما لصاحبه ويجلس مع السلطان على بساط واحد واذا قام قام السلطان لقيامه وخدم كل واحد منهما لصاحبه واذا انصرف الي خارج المجلس جعل له بساط يقعد عليه ما شاء ثم ينصرف يفعل هذا مرتين في اليوم

﴿ حكاية من تعظيمه اياه ﴾

وفي اثناء مقامه بدهلى قدم الوزير من بلاد بنجالة فأمر السلطان كبار الامراء ان يخرجوا الى استقباله ثم خرج بنفسه الى استقباله وعظمه تعظيما كثيرا وصنعت القباب بالمدينة كما

تصنع للسلطان اذا قدم وخرج ابن الخليفة للقائه ايضاً والفقهاء والقضاة والاعيان فلما عاد السلطان لقصره قال للوزير امض الى دار المخدوم زاده وبذلك يدعونه ومعنى ذلك ابن المخدوم فسار الوزير اليه واهدي له انى تنكه من الذهب وأثوابا كثيرة وحضر الامير قبولة وغيره من كبار الامراء وحضرت انا كذلك

﴿ حكاية نحوها ﴾

وفد على السلطان ملك غزنة المسمي بهرام وكان بينه وبين ابن الخليفة عداوة قديمة فأمر السلطان بانزاله ببعض دور مدينة سيري التى لابن الخليفة وأمر أن يبنى له بها دار فبلغ ذلك بن الخليفة فغضب منه ومضي الى دار السلطان فجلس على البساط الذى عادته الجلوس عليه وبعث عن الوزير فقال له سلم على خوند عالم وقل له ان جميع ما أعطانيه هو بمنزلي لم أتصرف في شيء منه بل زاد عندي ونما وأنا لا أقيم معكم وقام وانصرف فسأل الوزير بعض أصحابه عن سبب هذا فأعلمه ان سببه أمر السلطان ببناء الدار لملك غزنة فى مدينة سيرى فدخل الوزير على السلطان فاعلمه بذلك فركب من حينه في عشرة من ناسه وأتي منزل ابن الخليفة فاستأذن له ونزل عن فرسه خارج القصر حيث نزل الناس فتلقاه واعتذر له فقبل عذره وقال له السلطان والله ما أعلم انك راض عنى حتي تضع قدمك على عنقي فقال له هذا مالا أفعله ولو قتلت فقال له السلطان وحق رأسي لابد لك من ذلك ثم وضع رأسه في الارض وأخذ الملك الكبير قبولة رجل ابن الخليفة بيده فوضعها على عنق السلطان ثم قام وقال الآن علمت أنك راض عنى وطاب قلبي وهذه حكاية غريبة لم يسمع بمثلها عن ملك ولقد حضرته يوم عيد وقد جاءه الملك الكبير بثلاث خلع من عند السلطان مفرجة قد جعل مكان عقد الحرير التي تغلق بها حبات جوهر قدر البندق الكبير وأقام الملك الكبير ببابه حتي نزل من قصره فكساه اياها والذى أعطاه هو مالا يحصره العد ولا يحيط به الحد وابن الخليفة مع ذلك كله أبخل خلق الله تعالى وله في البخل أخبار عجيبة يعجب منها سامعها وكأنه كان من البخل بمنزلة السلطان من الكرم ولنذكر بعض أخباره في ذلك

﴿ حكاية من بخل ابن الخليفة ﴾

وكانت بيني وبينه مودة وكنت كثير التردد الى منزله وعنده تركت ولدا لي سميته أحمد لما

سافرت ولا أدري مافعل الله بهما فقلت له يوما لم تأكل وحدك ولا تجمع أصحابك على الطعام فقال لي لا أستطيع أن أنظر اليهم على كثرتهم وهم يأكلون طعامي فكان يأكل وحده ويعطي صاحبه محمد بن أبي الشرفي من الطعام لمن أحب ويتصرف في باقيه وكنت أتردد اليه فأرى دهليز قصره الذي يسكن به مظلما لا سراج به ورأيته مرارا يجمع الاعواد الصغار من الحطب بداخل بستانه وقد ملأ منها مخازن فكلمته في ذلك فقال لي يحتاج اليها وكان يخدم أصحابه ومماليكه وفتيانه في خدمة البستان وبنائه ويقول لا أرضي ان يأكلوا طعامي وهم لا يخدمون وكان على مرة دين فطلبت به فقال لي في بعض الايام والله لقد هممت ان أأدى عنك دينك فلم تسمح نفسي بذلك ولا ساعدتني عليه

❀ حكاية ❀

حدثني مرة قال خرجت عن بغداد وانا رابع اربعة أحدهم محمد بن أبي الشرفي صاحبه ونحن على أقدامنا ولا زاد عندنا فنزلنا على عين ماء ببعض القرى فوجد أحدنا في العين درهما فقلنا وما نصنع بدرهم فاتفقنا على ان نشترى به خبزا فبعثنا احدنا لشرائه فأبى الخباز بتلك القرية ان يبيع الخبز وحده وانما يبيع خبزا بقيراط وتبنا بقيراط فاشترى منه الخبز والتبن فطرحنا التبن اذ لا دابة لنا تأكله وقسمنا الخبز لقمة لقمة وقد انتهي حالي اليوم الى ماتراه فقلت له ينبغي لك أن تحمد الله على ماأولاك وتؤثر على الفقراء والمساكين وتتصدق فقال لا استطيع ذلك ولم أره قط يجود بشئ ولا يفعل معروفا ونعوذ بالله من الشح

❀ حكاية ❀

كنت يوما ببغداد بعد عودتي من بلاد الهند وانا قاعد على باب المدرسة المستنصرية التي بناها جده أمير المؤمنين المستنصر رضي الله عنه فرأيت شابا ضعيف الحال يشتد خلف رجل خارج عن المدرسة فقال لي بعض الطلبة هذا الشاب الذي تراه هو ابن الامير محمد حفيد الخليفة المستنصر الذي ببلاد الهند فدعوته فقلت له اني قدمت من بلاد الهند واني أعرفك بخبر أبيك فقال قد جاءني خبره في هذه الايام ومضي يشتد خلف الرجل فسألت عن الرجل فقيل لي هو الناظر في الحبس وهذا الشاب هو امام ببعض المساجد وله على ذلك أجرة درهم واحد في اليوم وهو يطلب اجرته من الرجل فطال عجبي منه والله لو بعث اليه

جوهرة من الجواهر التي في الخاتم الواصلة اليه من السلطان لأغناه بها ونعوذ بالله من مثل هذه الحال

﴿ ذكر ما أعطاه السلطان للامير سيف الدين غدا بن هبة الله بن مهنى أمير عرب الشام ﴾

ولما قدم هذا الامير على السلطان أكرم مثواه وأنزله بقصر السلطان جلال الدين داخل مدينة دهلي ويعرف بكشك لعل معناه القصر الاحمر وهو قصر عظيم فيه مشور كبير جداً ودهليز هائل على بابه قبة تشرف على هذا المشور وعلى المشور الثاني الذي يدخل منه الى القصر وكان السلطان جلال الدين يقعد بها وتلعب الكرة بين يديه في هذا المشور وقد دخلت هذا القصر عند نزوله به فرأيته مملوأ أثاثا وفرشا وبسطا وغيرها وذلك كله متمزق لا منتفع فيه فان عادتهم بالهند ان يتركوا قصر السلطان اذا مات بجميع ما فيه لا يتعرضون له ويبني المتولى بعده قصرا لنفسه ولما دخلته طفت به وصعدت الى أعلاه فكانت لي فيه عبرة نشأت عنها عبرة وكان معي الفقيه الطبيب الأديب جمال الدين المغربي الغرناطي الاصل البجائي المولد مستوطن بلاد الهند قدمها مع أبيه وله بها أولاد فأنشدني عند ما عايناه

(خفيف) وسلاطينهم سل الطين عنهم * فالرؤس العظام صارت عظاما

وبهذا القصر كانت وليمة عرسه كما نذكره وكان السلطان شديد المحبة في العرب مؤثرا لهم معترفا بفضائلهم فلما وصله هذا الامير أجزل له العطاء واحسن اليه احسانا عظيما وأعطاه مرة وقد قدمت عليه هدية أعظم ملك البايزيدي من بلاد منكبور أحد عشر فرسا من عتاق الخيل وأعطاه مرة أخرى عشرة من الخيل مسرجة بالسروج المذهبة عليها اللجم المذهبة ثم زوجه بعد ذلك بأخته فيروز خوندة

﴿ ذكر تزوج الامير سيف الدين بأخت السلطان ﴾

ولما أمر السلطان بتزويج أخته للامير غدا عين للقيام بشأن الوليمة ونفقاتها الملك فتح الله المعروف بشونويس (بشين معجم مفتوح وواوين أولهما مسكن والآخر مكسور بينهما نون وآخره سين مهمل) وعينني لملازمة الامير غدا والكون معه في تلك الايام فأتى الملك فتح الله بالصيوانات فظلل بها المشورين بالقصر الاحمر المذكور وضرب في كل واحد

منهما قبة ضخمة جداً وفرش ذلك بالفرش الحسان وأتى شمس الدين التبريزي أمير المطربين ومعه الرجال المغنون والنساء المغنيات والرواقص وكلهن مماليك السلطان وأحضر الطباخين والخبازين والشوائين والحلوانيين والشربدارية والتنبول داران وذبحت الانعام والطيور وأقاموا يطعمون الناس خمسة عشر يوماً ويحضر الامراء الكبار والاعزة ليلاً ونهاراً فلما كان قبل ليلة الزفاف بليلتين جاء الخواتين من دار السلطان ليلاً الى هذا القصر فزينه وفرشنه بأحسن الفرش واستحضرن الامير سيف الدين وكان عربيا غريباً لا قرابة له فحففن به واجلسنه على مرتبة معينة له وكان السلطان قد أمر ان تكون ربيبته أم أخيه مبارك خان مقام أم الامير غداً وان تكون امرأة أخرى من الخواتين مقام أخته وأخرى مقام عمته وأخرى مقام خالته حتى يكون كأنه بين أهله ولما أجلسنه على المرتبة جعلن له الحناء في يديه ورجليه وأقام باقيهن على رأسه يغنين ويرقصن وانصرفن الي قصر الزفاف وأقام هو مع خواص أصحابه وعين السلطان جماعة من الامراء يكونون من جهته وجماعة يكونون من جهة الزوجة وعادتهم ان تقف الجماعة التي من جهة الزوجة على باب الموضع الذى تكون به جلوتها على زوجها ويأتي الزوج بجماعته فلا يدخلون الا ان غلبوا أصحاب الزوجة أو يعطونهم الآلاف من الدنانير ان لم يقدروا عليهم ولما كان بعد المغرب أتى اليه بخلعة حرير زرقاء مزركشة مرصعة قد غلبت الجواهر عليها فلا يظهر لونها مما عليها من الجوهر وبشاشية مثل ذلك ولم أر قط خلعة اجمل من هذه الخلعة وقد رأيت ما خلعه السلطان على سائر اصهاره مثل ابن ملك الملوك عماد الدين السمناني وابن ملك العلماء وابن شيخ الاسلام وابن صدر جهان البخاري فلم يكن فيها مثل هذه ثم ركب الامير سيف الدين في أصحابه وعبيده وفي يد كل واحد منهم عصى قد أعدها وصنعوا اشبه ما كليل من الياسمين والنسرين وريبول وله رفرف يغطي وجه المتكلل به وصدره وأتوا به الامير ليجعله على رأسه فأبى من ذلك وكان من عرب البادية لا عهد له بأمور الملك والحضر فحاولته وحلفت عليه حتى جعله على رأسه وأتى باب الصرف ويسمونه باب الحرم وعليه جماعة الزوجة فحمل عليهم بأصحابه حملة عربية وصرعوا

كل من عارضهم فغابوا عليهم ولم يكن لجماعة الزوجة من ثياب وبلغ ذلك السلطان فأعجبه فعله ودخل الى المشور وقد جعلت العروس فوق منبر عال مزين بالديباج مرصع بالجوهر والمشور ملآن بالنساء والمطربات قد أحضرن أنواع الآلات المطربة وكلهن وقوف على قدم إجلالا له وتعظيما فدخل بفرسه حتى قرب من المنبر فنزل وخدم عند أول درجة منه وقامت العروس قائمة حتى صعد فأعطته التنبول بيدها فأخذه وجلس تحت الدرجة التي وقفت بها ونثرت دنانير الذهب على رؤس الحاضرين من أصحابه ولقطتها النساء والمغنيات يغنين حينئذ والاطبال والابواق والانفار تضرب خارج الباب ثم قام الامير وأخذ بيد زوجته ونزل وهي تتبعه فركب فرسه يطأ به الفرش والبسط ونثرت الدنانير عليه وعلى أصحابه وجعلت العروس في محفة وحملها العبيد على أعناقهم الى قصره والخواتين بين يديها راكبات وغيرهن من النساء ماشيات واذا مر وا بدار أمير أو كبير خرج اليهم ونثر عليهم الدنانير والدراهم على قدر همته حتى أوصلوها الى قصره ولما كان بالغد بعثت العروس الى جميع أصحاب زوجها الثياب والدنانير والدراهم واعطي السلطان لكل واحد منهم فرسا مسرجا ملجما وبدرة دراهم من ألف دينار الى مائتي دينار وأعطي الملك فتح الله للخواتين ثياب الحرير المنوعة والبدر وكذلك لاهل الطرب وعادتهم ببلاد الهند أن لا يعطي أحد شيئاً لاهل الطرب انما يعطيهم صاحب العرس وأطعم الناس جميعاً ذلك اليوم وانقضي العرس وأمر السلطان أن يعطي للامير غدا بلاد المالوة والجزات وكنباية ونهر والة وجعل فتح الله المذكور نائباً عنه عليها وعظمه تعظيما شديداً وكان عربياً جافياً فلم يقدر قدر ذلك وغلب عليه جفاء البادية فأداه ذلك الى النكبة بعد عشرين ليلة من زفافه

﴿ ذكر سجن الامير غدا ﴾

ولما كان بعد عشرين يوما من زفافه اتفق انه وصل الى دار السلطان فأراد الدخول فمنعه أمير البرد (البرده) دارية وهم الخواص من البوابين فلم يسمع منه وأراد التقحم فأمسك البواب بدبوقته وهي الضفيرة ورده فضربه الامير بعصي كانت هنالك حتى أدماه وكان هذا المضروب من كبار الامراء يعرف أبوه بقاضي غزنة وهو من ذرية السلطان

محمود بن سبكتكين والسلطان يخاطبه بالادب ويخاطب ابنه هذا بالاخ فدخل على السلطان والدم على ثيابه فأخبره بما صنع الامير غدا ففكر السلطان هنيهة ثم قال له القاضي يفصل بينكما وتلك جريمة لا يغفرها السلطان لاحد من ناسه ولا بد من الموت عليها وانما احتمله لغربته وكان القاضي كمال الدين بالمشور فأمر السلطان الملك تتر أن يقف معهما عند القاضي وكان تتر حاجا مجاورا يحسن العربية فحضر معهما وقال للامير أنت ضربته أو قل لا فقصد ان يلقنه الحجة وكان سيف الدين جاهلا مغترا فقال نعم أنا ضربته وأتى والد المضروب فرام الاصلاح بينهما فلم يقبل سيف الدين فأمر القاضي بسجنه تلك الليلة فوالله ما بعثت له زوجته فراشا ينام عليه ولا سألت عنه خوفا من السلطان وخاف أصحابه فودعوا أموالهم وأردت زيارته بالسجن فلقيني بعض الامراء وفهم عني اني أريد زيارته فقال لي أو نسيت وذكرني بقضية اتفقت لي في زيارة الشيخ شهاب الدين ابن شيخ الجام وكيف أراد السلطان قتلي على ذلك حسبما يقع ذكره فرجعت ولم أزره وتخلص الامير غدا عند الظهر من سجنه فأظهر السلطان اهماله واضرب عما كان أمر له بولايته وأراد نفيه وكان للسلطان صهر يسمى بغنث ابن ملك الملوك وكانت أخت السلطان تشكوه لاخيها الى ان ماتت فذكر جواريها انها ماتت بسبب قهره لها وكان في نسبه مغمز فكتب السلطان بخطه يجلى اللقيط يعنيه ثم كتب ويجلى موش خوار معناه آكل الفيران يعني بذلك الامير غدا لان عرب البادية يأكلون اليربوع وهو شبه الفار وأمر باخراجهما فجاء النقباء ليخرجوه فأراد دخول داره ووداع أهله فترادف النقباء في طلبه فخرج باكيا وتوجهت حين ذلك الى دار السلطان فبت بها فسألني عن مبيتي بعض الامراء فقلت له جئت لأتكلم في الامير سيف الدين حتى يردو لا ينفى فقال لا يكون ذلك فقلت له والله لأبيتن بدار السلطان ولو بلغ مبيتي مائة ليلة حتى يرد فبلغ ذلك السلطان فأمر برده وأمر ان يكون في خدمة الامير ملك قبولة اللاهوري فأقام أربعة أعوام في خدمته يركب لركوبه ويسافر لسفره حتى تأدب وتهذب ثم أعاده السلطان الى ما كان اليه أولا وأقطعه البلاد وقدمه على العساكر ورفع قدره

﴿ ذكر تزويج السلطان بنتي وزيره لابني خداوندزاده قوام الدين الذي قدم معنا عليه ﴾

ولما قدم خداوندزاده أعطاه السلطان عطاء جزلا وأحسن اليه احسانا عظيما وبالغ في اكرامه ثم زوج ولديه في بنتي الوزير خواجه جهان وكان الوزير اذذاك غائباً فأتي السلطان الى داره ليلا وحضر عقد النكاح كانه نائب عن الوزير ووقف حتي قرأ قاضي القضاة الصداق والقضاة والامراء والمشايخ قعود وأخذ السلطان بيده الأثواب والبدر فجعلها بين يدي القاضي وولدي خداوندزاده وقام الامراء وأبوا أن يجعل السلطان ذلك بين أيديهم بنفسه فأمرهم بالجلوس وأمر بعض كبار الامراء ان يقوم مقامه وانصرف

﴿ حكاية في تواضع السلطان وانصافه ﴾

ادعي عليه رجل من كبار الهنود انه قتل أخاه من غير موجب ودعاه الى القاضي فمضي على قدميه ولا سلاح معه الى مجلس القاضي فسلم وخدم وكان قد أمر القاضي قبل ذلك انه اذا جاءه الى مجلسه فلا يقوم له ولا يتحرك تصعد الى المجلس ووقف بين يدي القاضي فحكم عليه ان يرضي خصمه من دم أخيه فأرضاه

﴿ حكاية مثلها ﴾

وادعى على السلطان مرة رجل من المسلمين انه له قبله حقاً ماليا فتخاصما في ذلك عند القاضي فتوجه الحكم على السلطان باعطاء المال فأعطاه

﴿ حكاية مثلها ﴾

وادعي عليه صبي من أبناء الملوك انه ضربه من غير موجب ورفعه الى القاضي فتوجه الحكم عليه أن يرضيه بالمال ان قبل ذلك والا أمكنه من القصاص فشاهدته يومئذ وقد عاد لمجلسه واستحضر الصبي وأعطاه عصي وقال له وحق رأسي لتضربني كما ضربتك فأخذ الصبي العصي وضربه بها احدي وعشرين ضربة حتي رأيت الكلاه (الكلاه) قد طارت عن رأسه

﴿ ذكر اشتداده في اقامة الصلاة ﴾

وكان السلطان شديداً في اقامة الصلاة آمراً بملازمتها في الجماعات يعاقب على تركها أشد العقاب ولقد قتل في يوم واحد تسعة نفر على تركها كان أحدهم مغنياً وكان يبعث الرجال الموكلين بذلك الى الاسواق فمن وجد بها عند اقامة الصلاة عوقب حتي انتهي الى عقاب الستائريين الذين يمسكون دواب الخدام على باب المشور اذا ضيعوا الصلاة وأمر أن

يطلب الناس بعلم فرائض الوضوء والصلاة وشروط الاسلام فكانوا يسألون عن ذلك فمن لم يحسنه عوقب وصار الناس يتدارسون ذلك بالمشور والاسواق ويكتبونه

﴿ ذكر اشتداده في اقامة أحكام الشرع ﴾

وكان شديداً في اقامة الشرع ومما فعل في ذلك ان أمر أخاه مبارك خان ان يكون قعوده بالمشور مع قاضي القضاة كمال الدين في قبة مرتفعة هنالك مفروشة بالبسط وللقاضي بها مرتبة تحف بها المخاد كمرتبة السلطان ويقعد أخو السلطان عن يمينه فمن كان عليه حق من كبار الامراء وامتنع من ادائه لصاحبه يحضره رجال أخي السلطان عند القاضي لينصف منه

(ذكر رفعه للمغارم والمظالم وقعوده لانصاف المظلومين)

ولما كان في سنة احدى واربعين أمر السلطان برفع المكوس عن بلاده وأن لا يؤخذ من الناس الا الزكاة والعشر خاصة وصار يجلس بنفسه للنظر في المظالم في كل يوم اثنين وخميس برحبة امام المشور ولا يقف بين يديه في ذلك اليوم الا أمير حاجب وخاص حاجب وسيد الحجاب وشرف الحجاب لا غير ولا يمنع أحد ممن أراد الشكوى من الوقوف بين يديه وعين أربعة من كبار الامراء يجلسون في الابواب الاربعة من المشور لاخذ القصص من المشتكين والرابع منهم هو ابن عمه ملك فيروز فان أخذ صاحب الباب الاول الرقع من الشاكي فحسن والا أخذه الثاني أو الثالث أو الرابع وان لم يأخذوه منه مضى به الى صدر الجهان قاضي المماليك فان أخذه منه والا اشتكي الى السلطان فان صح عنده انه مضى به الى أحد منهم فلم يأخذه منه أدبه وكل ما يجتمع من القصص في سائر الايام يطالع به السلطان بعد العشاء الآخرة

(ذكر اطعامه في الغلاء)

ولما استولى القحط على بلاد الهند والسند واشتد الغلاء حتى بلغ من القمح الى ستة دنانير أمر السلطان أن يعطي لجميع أهل دهلى نفقة ستة أشهر من المخزن بحساب رطل ونصف من أرطال المغرب لكل انسان في اليوم صغير أو كبير حرا أو عبدا وخرج الفقهاء

والقضاة يكتبون الازمة بأهل الحارات ويحضرون الناس ويعطي لكل واحد عولة ستة أشهر يقتات بها

(ذكر فتكات هذا السلطان وما نقم من أفعاله)

وكان على ما قدمنا من تواضعه وانصافه ورفقه بالمساكين وكرمه الخارق للعادة كثير التجاسر على اراقة الدماء لا يخلو بابه عن مقتول الا في النادر وكنت كثيراً ما أرى الناس يقتلون على بابه ويطرحون هنالك ولقد جئت يوماً فنفر بي الفرس ونظرت الى قطعة بيضاء في الارض فقلت ما هذه فقال بعض أصحابي هي صدر رجل قطع ثلاث قطع وكان يعاقب على الصغيرة والكبيرة ولا يحترم أحداً من أهل العلم والصلاح والشرف وفي كل يوم يرد على المشور من المسلسلين والمغلولين والمقيدين مؤون فمن كان للقتل قتل أو للعذاب عذب أو للضرب ضرب وعادته أن يؤتى كل يوم بجميع من في سجنه من الناس الى المشور ماعدا يوم الجمعة فانهم لا يخرجون فيه وهو يوم راحتهم يتنظفون فيه ويستريحون أعاذنا الله من البلاء

(ذكر قتله لاخيه)

وكان له أخ اسمه مسعود خان وأمه بنت السلطان علاء الدين وكان من أجمل صورة رأيتها في الدنيا فاتهمه بالقيام عليه وسأله عن ذلك فأقر خوفاً من العذاب فانه من أنكر ما يدعيه عليه السلطان من مثل ذلك يعذب فيرى الناس ان القتل أهون عليهم من العذاب فأمر به فضربت عنقه في وسط السوق وبقي مطروحاً هنالك ثلاثة أيام على عادتهم وكانت أم هذا المقتول قد رجمت في ذلك الموضع قبل ذلك بسنتين لاعترافها بالزنا فرجمها القاضي كمال الدين

(ذكر قتله لثلاثمائة وخمسين رجلاً في ساعة واحدة)

وكان مرة عين حصة من العسكر تتوجه مع الملك يوسف بغرة الى قتال الكفار ببعض الجبال المتصلة بحوز دهلي فخرج يوسف وخرج معه معظم العسكر وتخلف قوم منهم فكتب يوسف الى السلطان يعلمه بذلك فأمر ان يطاف بالمدينة ويقبض على من وجد

من أولئك المتخلفين ففعل ذلك وقبض على ثلاثمائة وخمسين منهم فأمر بقتلهم أجمعين فقتلوا

﴿ ذكر تعذيبه للشيخ شهاب الدين وقتله ﴾

وكان الشيخ شهاب الدين ابن شيخ الجام الخراساني الذى تنسب مدينة الجام بخراسان الى جده حسبما قصصنا ذلك من كبار المشايخ الصلحاء الفضلاء وكان يواصل أربعة عشر يوما وكان السلطانان قطب الدين وتغلق يعظمانه ويزورانه ويتبركان به فلما ولي السلطان محمد أراد أن يخدم الشيخ في بعض خدمته فان عادته أن يخدم الفقهاء والمشايخ والصلحاء محتجا ان الصدر الاول رضي الله عنهم لم يكونوا يستعملون الا أهل العلم والصلاح فامتنع الشيخ شهاب الدين من الخدمة وشافهه السلطان بذلك في مجلسه العام فاظهر الاباية والامتناع فغضب السلطان من ذلك وأمر الشيخ الفقيه المعظم ضياء الدين السمناني أن ينتف لحيته فأبي ضياء الدين من ذلك وقال لا أفعل هذا فأمر السلطان بنتف لحية كل واحد منهما فنتفت ونفي ضياء الدين الى بلاد التلنك ثم ولاه بعد مدة قضاء ورنكل فمات بها ونفى شهاب الدين الى دولة آباد فأقام بها سبعة أعوام ثم بعث عنه فأكرمه وعظمه وجعله على ديوان المستخرج وهو ديوان بقايا العمال يستخرجها منهم بالضرب والتنكيل ثم زاد في تعظيمه وأمر الامراء ان يأتوا للسلام عليه ويمتثلوا أقواله ولم يكن أحد في دار السلطان فوقه ولما انتقل السلطان الى السكنى على نهر الكنك وبني هنالك القصر المعروف بسرك دوار معناه شبه الجنة وأمر الناس بالبناء هنالك طلب منه الشيخ شهاب الدين أن يأذن له في الاقامة بالحضرة فأذن له الى أرض موات على مسافة ستة أميال من دهلي فحفر بها كهفا كبيرا صنع في جوفه البيوت والمخازن والفرن والحمام وجلب الماء من نهر جون وعمر تلك الارض وجمع مالا كثيرا من مستغلها لانها كانت السنون قاحطة وأقام هنالك عامين ونصف عام مدة مغيب السلطان وكان عبيده يخدمون تلك الارض نهارا ويدخلون الغار ليلا ويسدونه على أنفسهم وانعامهم خوف سراق الكفار لانهم في جبل منيع هنالك ولما عاد السلطان الى حضرته استقبله الشيخ ولقيه على سبعة أميال منها فعظمه السلطان وعانقه

عنـــد لقايه وعاد الى غاره ثم بعث عنه بعـــد أيام فامتنع من اتيانه فبعث اليـــه مخلص الملك النذرباري وكان من كبراء الملوك فتلطف له في القول وحـــذره بطش السلطان فقال له لا أخدم ظالمـــا أبدا فعاد مخلص الملك الى السلطان فأخـــبره بذلك فأمر ان يأتي به فأتي به فقال له انت القائل اني ظالم فقـــال نعم انت ظالم ومن ظلمك كذا وكذا وعـــدد أمورا منها تخريبه لمدينة دهلي واخراجه أهلها فأخذ السلطان سيفه ودفعه لصدر الجهان وقال يثبت هذا انى ظالم واقطع عنقي بهـــذا السيف فقال له شهاب الدين ومن يريد ان يشهد بذلك فيقتل ولكن أنت تعرف ظلم نفسك وأمر بتسليمه للملك نكبية رأس الدويدارية فقيـــده بأربعة قيود وغل يديه وأقام كذلك أربعة عشر يوما مواصلا لا يأكل ولا يشرب وفي كل يوم منها يؤتي به الى المشور ويجمع الفقهاء والمشايخ ويقولون له ارجـــع عن قولك فيقول لا أرجع عنه وأريد أن أكون في زمرة الشهداء فلما كان اليـــوم الرابع عشر بعث اليـــه السلطان بطـــعام مع مخلص الملك فأبى ان يأكل وقال قد رفع رزقي من الارض ارجع بطعامك اليه فلما أخبر بذلك السلطان أمر عند ذلك ان يطعم الشيخ خمسة استار (أساتير) من العذرة وهي رطلان ونصف من أرطال المغرب فأخذ ذلك الموكلون بمثل هذه الامور وهم طائفة من كفار الهنود فمدوه على ظهره وفتحوا فمه بالكلبتين وحلوا العذرة بالمـــاء وسقوه ذلك وفي اليوم بعده أتي به الى دار القاضي صدر الجهان وجمع الفـــقهاء والمشايخ ووجوه الاعزة فوعظوه وطلبوا منه ان يرجع عن قوله فأبي ذلك فضربت عنقه رحمـــه الله تعـــالى

﴿ ذكر قتله للفقيه المدرسي عفيف الدين الكاساني وفقيهين معه ﴾

وكان السلطان في ســـني القحط قد أمر بحفر آبار خارج دار الملك وأن يزرع هنالك زرع وأعطي الناس البذر وما يلزم على الزراعة من النفقة وكلفهم زرع ذلك للمخزن فبلغ ذلك الفقيه عفيف الدين فقـــال هـــذا الزرع لا يحصل المراد منه فوشي به الى السلطان فسجنه وقال له لاي شيء تدخل نفسك في أمور الملك ثم انه سرحه بعد مدة فذهب الى داره ولقيه في طريقه اليها صاحبان له من الفقهاء فقالا له الحمد لله على خلاصك فقال الفقيه الحمـــد لله

الذى نجانا من القوم الظالمين و تفرقوا فلم يصلوا الى دورهم حتي بلغ ذلك السلطان فأمر بهم فأحضر ثلاثتهم بين يديه فقال اذهبوا بهذا يعني عفيف الدين فاضربوا عنقه حمائله وهو ان يقطع الرأس مع الذراع و بعض الصدر واضربوا أعناق الآخرين فقالا له أما هو فيستحق العقاب بقوله وأما نحن فبأى جريمة تقتلنا فقال لهما انكما سمعتما كلامه فلم تنكراه فكأنكما وافقتما عليه فقتلوا جميعا رحمهم الله تعالى

﴿ ذكر قتله أيضا الفقيهين من أهل السند كانا في خدمته ﴾

وأمر السلطان هذين الفقيهين السنديين ان يمضيا مع أمير عينه الي بعض البلاد وقال لهما انما سلمت أحوال البلاد والرعية لكما ويكون هذا الامير معكما يتصرف بما تأمرانه به فقالا له انما نكون كالشاهدين عليه و نبين له وجه الحق ليتبعه فقال لهما انما قصدكما أن تأكلا أموالي و تضيعاها و تنسبا ذلك الى هذا التركي الذي لا معرفة له فقالا له حاشا لله ياخوند عالم ماقصدنا هذا فقال لهما لم تقصدا غير هذا اذهبوا بهما الى الشيخ زاده النهاوندي وهو الموكل بالعذاب فذهب بهما اليه فقال لهما السلطان يريد قتلكما فأقرا بما قولكما اياه ولا تعذبا أنفسكما فقالا والله ماقصدنا الا ماذكرنا فقال لزبانيته ذوقوهما بعض شيء يعني من العذاب فبطحا على أقفائهما وجعل على صدر كل واحد منهما صفيحة حديد محماة ثم قلعت بعد هنيهة فذهب بلحم صدورهما ثم أخذ البول والرماد فجعل على تلك الجراحات فأقرا على أنفسهما أنهما لم يقصدا الا ماقاله السلطان وانهما مجرمان مستحقان للقتل فلا حق لهما ولا دعوى في دمائهما دنيا ولا أخرى وكتبا خطهما بذلك واعترفا به عند القاضي فسجل على العقد وكتب فيه ان اعترافهما كان من غير اكراه ولا اجبار ولو قالا اكرهنا لعذبا أشد العذاب ورأيا ان تعجيل ضرب العنق خير لهما من الموت بالعذاب الاليم فقتلا رحمهما الله تعالى

﴿ ذكر قتله للشيخ هود ﴾

وكان الشيخ زاده المسمي بهود حفيد الشيخ الصالح الولي ركن الدين بن بهاء الدين بن أبي زكرياء الملتاني وجده الشيخ ركن الدين معظما عند السلطان وكذلك أخوه عماد الدين

الذى كان شبيها بالسلطان وقتل يوم وقيعة كشلوخان وسند كره ولما قتل عماد الدين اعطي السلطان لاخيه ركن الدين مائة قرية ليأكل منها ويطعم الصادر والوارد بزاويته فتوفى الشيخ ركن الدين وأوصى بمكانه من الزاوية لحفيده الشيخ هود ونازعه في ذلك ابن أخي الشيخ ركن الدين وقال أنا أحق بميراث عمي فقدما على السلطان وهو بدولة آباد وبينها وبين ملتان ثمانون يوما فاعطي السلطان المشيخة لهود حسبما أوصي له الشيخ وكان كهلا وكان ابن أخي الشيخ فتى وأكرمه السلطان وأمر بتضيفه في كل منزل يحله وان يخرج الى لقائه أهل كل بلد يمر به الى ملتان وتصنع له فيه دعوة فلما وصل الامر للحضرة خرج الفقهاء والقضاة والمشايخ والاعيان للقائه وكنت فيمن خرج اليه فلقيناه وهو راكب في دولة يحملها الرجال وخيله مجنوبة فسلمنا عليه وأنكرت أنا ما كان من فعله في ركوبه الدولة وقلت انما كان ينبغي له ان يركب الفرس ويساير من خرج للقائه من القضاة والمشايخ فبلغه كلامي فركب الفرس واعتذر بان فعله أولا كان بسبب ألم منعه عن ركوب الفرس ودخل الحضرة وصنعت له بها دعوة أنفق فيها من مال السلطان عدد كثير وحضر القضاة والمشايخ والفقهاء والاعزة ومد السماط وأتوا بالطعام على العادة ثم أعطيت الدراهم لكل من حضر على قدر استحقاقه فأعطي قاضي القضاة خمسمائة دينار وأعطيت أنا مائتين وخمسين دينارا وهذه عادة لهم في الدعوة السلطانية ثم انصرف الشيخ هود الى بلده ومعه الشيخ نور الدين الشيرازي بعثه السلطان ليجلسه على سجادة جده بزاويته ويصنع له الدعوة من مال السلطان هنالك واستقر بزاويته وأقام بها أعواما ثم ان عماد الملك أمير بلاد السند كتب الى السلطان يذكر ان الشيخ وقرابته يشتغلون بجمع الاموال وانفاقها في الشهوات ولا يطعمون أحدا بالزاوية فنفذ الامر بمطالبتهم بالاموال فطلبهم عماد الملك بها وسجن بعضهم وضرب بعضا وصار يأخذ منهم كل يوم عشرين ألف دينار مدة أيام حتى استخلص ما كان عندهم ووجد لهم كثير من الاموال والذخائر من جملتها نعلان مرصعان بالجوهر والياقوت بيعا بسبعة آلاف دينار قيل انهما كانا لبنت الشيخ هود وقيل لسرية له فلما اشتد الحال على الشيخ هرب يريد بلاد الاتراك فقبض عليه وكتب عماد الملك بذلك الى السلطان

فأمر ان يبعثه ويبعث الذي قبض عليه كلاهما في حكم الثقاف فلما وصلا اليه سرح الذي قبض عليه وقال للشيخ هو داين أردت ان تفر فاعتذر بعذر فقال له السلطان انما أردت ان تذهب الي الاتراك فتقول انا ابن الشيخ بهاء الدين زكرياء وقد فعل السلطان معي كذا وتأتي بهم لقتالي اضربوا عنقه فضربت عنقه رحمه الله تعالى

﴿ ذكر سجنه لابن تاج العارفين وقتله لاولاده ﴾

وكان الشيخ الصالح شمس الدين ابن تاج العارفين ساكنا بمدينة كول منقطعا للعبادة كبير القدر ودخل السلطان الى مدينة كول فبعث عنه فلم يأته فذهب السلطان اليه ثم لما قارب منزله انصرف ولم يره واتفق بعد ذلك أن أميرا من الامراء خالف على السلطان ببعض الجهات وبايعه الناس فنقل للسلطان انه وقع ذكر هذا الامير بمجلس الشيخ شمس الدين فأثني عليه وقال انه يصلح للملك فبعث السلطان بعض الامراء الى الشيخ فقيده وقيد أولاده وقيد قاضي كول ومحتسبها لانه ذكر انهما كانا حاضرين للمجلس الذي وقع فيه ثناء الشيخ على الامير المخالف وأمر بهم فسجنوا جميعاً بعد أن سمل عيني القاضي وعيني المحتسب ومات الشيخ بالسجن وكان القاضي والمحتسب يخرجان مع بعض السجانين فيسألان الناس ثم يردان الى السجن وكان قد بلغ السلطان أن أولاد الشيخ كانوا يخالطون كفار الهنود وعصاتهم ويصحبونهم فلما مات أبوهم أخرجهم من السجن وقال لهم لا تعودوا الى ما كنتم تفعلون فقالوا له وما فعلنا فاغتاظ من ذلك وأمر بقتلهم جميعاً فقتلوا ثم استحضر القاضي المذكور فقال أخبرني بمن كان يرى رأى هؤلاء الذين قتلوا ويفعل مثل أفعالهم فاملى أسماء رجال كثيرين من كفار البلد فلما عرض ما أملاه على السلطان قال هذا يحب أن يخرب البلد اضربوا عنقه فضربت عنقه رحمه الله تعالى

﴿ ذكر قتله للشيخ الحيدري ﴾

وكان الشيخ علي الحيدري ساكنا بمدينة كنباية من ساحل الهند وهو عظيم القدر شهير الذكر بعيد الصيت ينذر له التجار بالبحر النذور الكثيرة واذا قدموا بدؤا بالسلام عليه وكان يكاشف باحوالهم وربما نذر أحدهم النذر وندم عليه فاذا أتي الشيخ للسلام عليه

أعلمه بما نذر له وأمر بالوفاء به واتفق له ذلك مرات واشتهر به فلما خالف القاضي جلال الافغاني وقبيلته بتلك الجهات بلغ السلطان ان الشيخ الحيدري دعا للقاضي جلال وأعطاه شاشيته من رأسه وذكر أيضا انه بايعه فلما خرج السلطان اليهم بنفسه وانهزم القاضي جلال خلف السلطان شرف الملك أمير بخت أحد الوافدين معنا عليه بكنباية وأمره بالبحث عن أهل الخلاف وجعل معه فقهاء يحكم بقولهم فأحضر الشيخ على الحيدرى بين يديه وثبت انه أعطي للقائم شاشيته ودعا له فحكموا بقتله فلما ضربه السياف لم يفعل شيئاً وعجب الناس لذلك وظنوا انه يعفى عنه بسبب ذلك فأمر سيافا آخر بضرب عنقه فضربها رحمه الله تعالى

﴿ ذكر قتله لطوغان وأخيه ﴾

وكان طوغان الفرغاني وأخوه من كبار أهل مدينة فرغانة فوفدا على السلطان فأحسن اليهما وأعطاهما عطاء جزيلا وأقاما عنده مدة فلما طال مقامهما أرادا الرجوع الى بلادهما وحاولا الفرار فوشي بهما أحد أصحابهما الى السلطان فأمر بتوسيطهما فوسطا وأعطي للذي وشى بهما جميع مالهما وكذلك عادتهم بتلك البلاد اذا وشي أحد بأحد وثبت ما وشى به فقتل أعطي ماله

﴿ ذكر قتله لابن ملك التجار ﴾

وكان ابن ملك التجار شابا صغيرا لا نبات بعارضيه فلما وقع خلاف عين الملك وقيامه وقتاله للسلطان كما سنذكره غلب على ابن ملك التجار هذا فكان في جملته مقهورا فلما انهزم عين الملك وقبض عليه وعلى أصحابه كان من جملتهم ابن ملك التجار وصهره ابن قطب الملك فأمر بهما فعلقا من أيديهما في خشب وأمر ابناء الملوك فرموهما بالنشاب حتى ماتا ولما ماتا قال الحاجب خواجه أمير على التبريزى لقاضى القضاة كمال الدين ذلك الشاب لم يجب عليه القتل فبلغ ذلك السلطان فقال هلا قلت هذا قبل موته وأمر به فضرب مائتي مقرعة أو نحوها وسجن وأعطى جميع ماله لامير السيافين فرأيته في ثاني ذلك اليوم وقد لبس ثيابه وجعل قلنسوته على رأسه وركب فرسه فظننت انه هو وأقام بالسجن شهورا ثم سرحه

ورده الي ما كان عليه ثم غضب عليه ثانيـة ونفاه الى خراسان فاستقر بهراة وكتب اليه يستعطفه فوقع له على ظهر كتابه اكر بار آمدى باز (أي) معناه ان كنت تبت فارجع فرجع اليه

﴿ ذكر ضربه لخطيب الخطباء حتى مات ﴾

وكان قد ولي خطيب الخطباء بدهلي النظر في خزانة الجواهر في السفر فاتفق ان جاء سراق الكفار ليلا فضربوا على تلك الخزانة وذهبوا بشيء منها فامر بضرب الخطيب حتى مات رحمه الله تعالى

﴿ ذكر تخريبه لدهلي ونفي أهلها وقتل الاعمى والمقعد ﴾

ومن أعظم ما كان ينقم على السلطان اجلاؤه لاهل دهلي عنها وسبب ذلك انهم كانوا يكتبون بطائق فيها شتمه وسبه ويختمون عليها ويكتبون عليها وحق رأس خوند عالم مايقرؤها غيره ويرمونها بالمشور ليلا فاذا فضها وجد فيها شتمه وسبه فعزم على تخريب دهلي واشترى من أهلها جميعا دورهم ومنازلهم ودفع لهم ثمنها وأمرهم بالانتقال عنها الى دولة آباد فأبوا ذلك فنادى مناديه ان لا يبقى بها أحد بعد ثلاث فانتقل معظمهم واختفى بعضهم في الدور فأمر بالبحث عمن بقي بها فوجد عبيده بازقتها رجلين أحدهما مقعد والآخر أعمى فأتوا بهما فأمر بالمقعد فرمى به في المنجنيق وأمر أن يجر الاعمي من دهلي الى دولة آباد مسيرة أربعين يوما فتمزق في الطريق ووصل منه رجله ولما فعل ذلك خرج أهلها جميعا وتركوا أثقالهم وأمتعتهم وبقيت المدينة خاوية على عروشها فحدثني من أثق به قال صعد السلطان ليلة الى سطح قصره فنظر الي دهلي وليس بها نار ولا دخان ولا سراج فقال الآن طاب قلبي وتهدن خاطري ثم كتب الى أهل البلاد ان ينتقلوا الى دهلي ليعمروها فخربت بلادهم ولم تعمر دهلي لاتساعها وضخامتها وهي من أعظم مدن الدنيا وكذلك وجدناها لما دخلنا اليها خالية ليس بها الا قليل عمارة وقد ذكرنا كثيرا من مآثر هذا السلطان ومما نقم عليه أيضاً فلنذكر جملا من الوقائع والحوادث الكائنة

﴿ ذكر ما افتتح به أمره أول ولايته من منه على بهادور بوره ﴾

ولما ولي السلطان الملك بعد أبيه وبايعه الناس أحضر السلطان غياث الدين بهادور بوره الذي كان أسره السلطان تغلق فمن عليه وفك قيوده وأجزل له العطاء من الاموال والخيل والفيلة وصرفه الى مملكته وبعث معه ابن أخيه ابراهيم خان وعاهده على ان تكون تلك المملكة مشاطرة بينهما وتكتب أسماؤهما معا في السكة ويخطب لهما وعلى أن يصرف غياث الدين ابنه محمدا المعروف ببرباط يكون رهينة عند السلطان فانصرف غياث الدين الى مملكته والتزم ماشرط عليه الا انه لم يبعث ابنه وادعي انه امتنع وأساء الادب في كلامه فبعث السلطان العساكر الى ابن أخيه ابراهيم خان وأميرهم دلجي التتري فقاتلوا غياث الدين فقتلوه وسلخوا جلده وحشي بالتبن وطيف به على البلاد

﴿ ذكر ثورة ابن عمته وما اتصل بذلك ﴾

وكان للسلطان تغلق ابن أخت يسمي بهاء الدين كشت اسب (بضم الكاف وسكون الشين المعجم وتاء معلوة) واسب (بالسين المهمل والباء الموحدة مسكنين) فجعله أميرا ببعض النواحي فلما مات خاله امتنع من بيعة ابنه وكان شجاعا بطلا فبعث السلطان اليه العساكر فيهم الامراء الكبار مثل الملك مجير والوزير خواجه جهان أمير على الجميع فالتقى الفرسان واشتد القتال وصبر كلا العسكرين ثم كانت الكرة لعسكر السلطان ففر بهاء الدين الى ملك من ملوك الكفار يعرف بالراي كنبيلة والراي عندهم كمثل ماهو بلسان الروم عبارة عن السلطان وكنبيلة اسم الاقليم الذي هو به وهو (بفتح الكاف وسكون النون وكسر الباء الموحدة وياء ولام مفتوح) وهذا الراي له بلاد في جبال منيعة وهو من أكابر سلاطين الكفار فلما هرب اليه بهاء الدين اتبعته عساكر السلطان وحصروا تلك البلاد واشتد الامر على الكافر ونفد ماعنده من الزرع وخاف أن يؤخذ باليد فقال لبهاء الدين ان الحال قد بلغت لما تراه وأنا عازم على هلاك نفسي وعيالي ومن تبعني فاذهب أنت الي السلطان فلان السلطان من الكفار سماه له فأقم عنده فانه سيمنعك وبعث معه من أوصله اليه وأمر راى كنبيلة بنار عظيمة فأججت وأحرق فيها أمتعته وقال لنسائه وبناته

اني أريد قتل نفسي فمن أرادت موافقتي فلتفعل فكانت المرأة منهن تغتسل وتدهن بالصندل المقاصري وتقبل الارض بين يديه وترمي بنفسها في النار حتى هلكن جميعا وفعل مثل ذلك نساء أمرائه ووزرائه وأرباب دولته ومن أراد من سائر النساء ثم اغتسل الراي وادهن بالصندل ولبس السلاح ماعدا الدرع وفعل كفعله من أراد الموت معه من ناسه وخرجوا الى عسكر السلطان فقاتلوا حتي قتلوا جميعاً ودخلت المدينة فأسر أهلها وأسر من أولاد راى كنبيلة أحد عشر ولدا فأتى بهم السلطان فأسلموا جميعاً وجعلهم السلطان أمراء وعظمهم لاصالتهم ولفعل أبيهم فرأيت عنده منهم نصرا وبختيار والمهردار وهو صاحب الخاتم الذى يختم به على الماء الذى يشرب السلطان منه وكنيته أبو مسلم وكانت بيني وبينه صحبة ومودة ولما قتل راي كنبيلة توجهت عساكر السلطان الى بلد الكفار الذى لجأ اليه بهاء الدين وأحاطوا به فقال ذلك السلطان أنا لا أقدر على أن أفعل مافعله راى كنبيلة فقبض على بهاء الدين وأسلمه الى عسكر السلطان فقيدوه وغلوه وأتوا به اليه فلما أتي به اليه أمر بادخاله الى قرابته من النساء فشتمنه وبصقن في وجهه وأمر بسلخه وهو بقيد الحياة فسلخ وطبخ لحمه مع الارز وبعث لاولاده وأهله وجعل باقيه في صحفة وطرح للفيلة لتأكله فابت أكله وأمر بجلده فحشي بالتبن وقرن بجلد بهادور بوره وطيف بهما على البلاد فلما وصلا الى بلاد السند وأمير أمرائها يومئذ كشلوخان صاحب السلطان تغلق ومعينه على أخذ الملك وكان السلطان يعظمه ويخاطبه بالعم ويخرج لاستقباله اذا وفد من بلاده أمر كشلوخان بدفن الجلدين فبلغ ذلك السلطان فشق عليه فعله وأراد الفتك به

﴿ ذكر ثورة كشلوخان وقتله ﴾

ولما اتصل بالسلطان ماكان من فعله في دفن الجلدين بعث عنه وعلم كشلوخان أنه يريد عقابه فامتنع وخالف وأعطى الاموال وجمع العساكر وبعث الى الترك والافغان وأهل خراسان فأتاه منهم العدد الجم حتى كافأ عسكره عسكر السلطان أو أربى عليه كثرة وخرج السلطان بنفسه لقتاله فكان اللقاء على مسيرة يومين من ملتان بصحراء أبوهر وأخذ السلطان بالحزم عند لقائه فجعل تحت الشطر عوضاً منه الشيخ عماد الدين شقيق الشيخ

ركن الدين الملتاني وهو حدثني هذا وكان شبيهاً به فلما حمي القتال انفرد السلطان في أربعة آلاف من عسكره وقصد عسكر كشلو خان قصد الشطر معتقدين أن السلطان تحته فقتلوا عماد الدين وشاع في العسكر ان السلطان قتل فاشتغلت عساكر كشلو خان بالنهب وتفرقوا عنه ولم يبق معه الا القليل فقصده السلطان بمن معه فقتله وجز رأسه وعلم بذلك جيشه ففروا ودخل السلطان مدينة ملتان وقبض على قاضيها كريم الدين وأمر بسلخه فسلخ وأمر برأس كشلو خان فعلق على بابه وقد رأيته معلقاً لما وصلت الى ملتان وأعطى السلطان للشيخ ركن الدين أخي عماد الدين ولابنه صدر الدين مائة قرية انعاما عليهم ليأكلوا منها ويطعموا بزاويتهم المنسوبة لجدهم بهاء الدين زكرياء وأمر السلطان وزيره خواجه جهان أن يذهب الى مدينة كال بور وهي مدينة كبيرة على ساحل البحر وكان أهلها قد خالفوا فأخبرني بعض الفقهاء انه حضر دخول الوزير اياها قال واحضر بين يديه القاضي بها والخطيب فأمر بسلخ جلودهما فقالا له اقتلنا بغير ذلك فقال لهما بما استوجبتما القتل فقالا بمخالفتنا أمر السلطان فقال لهما فكيف أخالف أنا أمره وقد أمرني ان أقتلكما بهذه القتلة وقال للمتولين لسلخهما احفروا لهما حفراً تحت وجوههما يتنفسان فيها فانهم اذا سلخوا والعياذ بالله يطرحون على وجوههم ولما فعل ذلك تمهدت بلاد السند وعاد السلطان الى حضرته

﴿ ذكر الوقيعة بجبل قراجيل على جيش السلطان ﴾

(وأول اسمه قاف وجيم معقودة) وجبل قراجيل هذا جبل كبير يتصل مسيرة ثلاثة أشهر وبينه وبين دهلي مسيرة عشر وسلطانه من أكبر سلاطين الكفار وكان السلطان بعث ملك نكبية رأس الدويدارية الى حرب هذا الجبل ومعه مائة ألف فارس ورجالة سواهم كثير فملك مدينة جدية (وضبطها بكسر الجيم وسكون الدال المهمل وفتح الياء آخر الحروف) وهي أسفل الجبل وملك مايليها وسبى وخرب وأحرق وفر الكفار الى أعلى الجبل وتركوا بلادهم وأموالهم وخزائن ملكهم وللجبل طريق واحد وعن أسفله واد وفوقه الجبل فلا يجوز فيه الا فارس منفرد خلفه آخر فصعدت عساكر المسلمين

على ذلك الطريق وتملكوا مدينة ورنكل التي بأعلى الجبل (وضبطها بفتح الواو والراء وسكون النون وفتح الكاف) واحتووا على ما فيها وكتبوا الى السلطان بالفتح فبعث اليهم قاضيا وخطيبا وأمرهم بالاقامة فلما كان وقت نزول المطر غلب المرض على العسكر وضعفوا وماتت الخيل وانحلت القسي فكتب الامراء الى السلطان واستأذنوه في الخروج عن الجبل والنزول الى أسفله بخلال ما ينصرم فصل نزول المطر فيعودون فأذن لهم في ذلك فأخذ الامير نكبية الاموال التي استولى عليها من الخزائن والمعادن وفرقها على الناس ليرفعوها ويوصلوها الى أسفل الجبل فعندما علم الكفار بخروجهم قعدوا لهم بتلك المهاوي وأخذوا عليهم المضيق وصاروا يقطعون الاشجار العادية قطعا ويطرحونها من أعلى الجبل فلا تمر بأحد الا أهلكته فهلك الكثير من الناس وأسر الباقون منهم وأخذ الكفار الاموال والامتعة والخيل والسلاح ولم يفلت من العسكر الا ثلاثة من الامراء كبيرهم نكبية وبدر الدين الملك دولة شاه وثالث لهما لا أذكره وهذه الوقيعة أثرت في جيش الهند أثرا كبيرا وأضعفته ضعفا بينا وصالح السلطان بعدها أهل الجبل على مال يؤدونه اليه لان لهم البلاد أسفل الجبل ولا قدرة لهم على عمارتها الا باذنه

﴿ ذكر ثورة الشريف جلال الدين ببلاد المعبر وما اتصل بذلك من قتل ابن أخت الوزير ﴾

وكان السلطان قد أمر على بلاد المعبر وبينها وبين دهلي مسيرة ستة أشهر الشريف جلال الدين أحسن شاه فخالف وادعى الملك لنفسه وقتل نواب السلطان وعماله وضرب الدنانير والدراهم باسمه وكان يكتب في احدى صفحتي الدينار سلالة طه ويس أبو الفقراء والمساكين جلال الدنيا والدين وفي الصفحة الاخرى الواثق بتأييد الرحمن أحسن شاه السلطان وخرج السلطان لما سمع بثورته يريد قتاله فنزل بموضع يقال له كشك زر معناه قصر الذهب وأقام به ثمانية أيام لقضاء حوائج الناس وفي تلك الايام أتي بابن أخت الوزير خواجه جهان وأربعة من الامراء أو ثلاثة وهم مقيدون مغلولون وكان السلطان قد بعث وزيره المذكور في مقدمته فوصل الى مدينة ظهار وهي على مسيرة أربع وعشرين

من دهلي وأقام بها أياما وكان ابن أخته شجاعا بطلا فاتفق مع الامراء الذين أتي بهم على قتل خاله والهروب بما عنده من الخزائن والاموال الى الشريف القائم ببلاد المعبر وعزموا على الفتك بالوزير عند خروجه الى صلاة الجمعة فوشى بهم أحد من أدخلوه في أمرهم الى الوزير وكان يسمى الملك نصرة الحاجب وأخبر الوزير أن آية ما يرومونه لباسهم الدروع تحت ثيابهم فبعث الوزير عنهم فوجدهم كذلك فبعث بهم الى السلطان وكنت بين يدى السلطان حين وصولهم فرأيت أحدهم وكان طوالا الحى وهو يرعد ويتلو سورة يس فأمر بهم فطرحوا للافيلة المعلمة لقتل الناس وأمر با بن أخت الوزير فرد الي خاله ليقتله فقتله وسنذكر ذلك وتلك الفيلة التي تقتل الناس تكسى انيابها حدائد مسنونة شبه سكك الحرث لها أطراف كالسكاكين ويركب الفيال على الفيل فاذا رمي بالرجل بين يديه لف عليه خرطومه ورمى به الي الهواء ثم يتلقفه بنابيه ويطرحه بعد ذلك بين يديه ويجعل يده على صدره ويفعل به ما يأمره الفيال على حسب ما أمره السلطان فان أمره بتقطيعه قطعه الفيل قطعا بتلك الحدائد وان أمر بتركه تركه مطروحا فسلخ وكذلك فعل بهؤلاء وخرجت من دار السلطان بعد المغرب فرأيت الكلاب تأكل لحومهم وقد ملئت جلودهم بالتبن والعياذ بالله ولما تجهز السلطان لهذه الحركة أمرني بالاقامة بالحضرة كما سنذكره ومضى في سفره الى أن بلغ دولة آباد فثار الامير هلاجون ببلاده وخرج ذلك وكان الوزير خواجه جهان قد بقي أيضاً بالحضرة لحشد الحشود وجمع العساكر

﴿ ذكر ثورة هلاجون ﴾

ولما بلغ السلطان الى دولة آباد وبعد عن بلاده ثار الامير هلاجون بمدينة الاهور وادعي الملك وساعده الامير قلجند على ذلك وصيره وزيراً له واتصل ذلك بالوزير خواجه جهان وهو بدهلي فحشد الناس وجمع العساكر وجمع الخراسانيين وكل من كان مقيما من الخدام بدهلي أخذ أصحابه وأخذ في الجملة أصحابي لاني كنت بها مقيما وأعانه السلطان بأميرين كبيرين أحدهما قيران ملك صفدار ومعناه مرتب العساكر والثاني الملك تمور الشربدار وهو الساقي وخرج هلاجون بعساكره فكان اللقاء على ضفة أحد الاودية الكبار فانهزم

ملاجون وهرب وغرق كثير من عساكره في النهر ودخل الوزير المدينة فسلخ بعض أهلها وقتل آخرين بغير ذلك من أنواع القتل وكان الذي تولى قتلهم محمد بن النجيب نائب الوزير وهو المعروف بأجدر ملك ويسمى أيضا سك (سك) السلطان والسك عندهم الكلب وكان ظالما قاسي القلب ويسميه السلطان أسد الأسواق وكان ربما عض أرباب الجنايات بأسنانه شرها وعدوانا وبعث الوزير من نساء المخالفين نحو ثلاثمائة الى حصن كاليور فسجن به ورأيت بعضهن هنالك وكان أحد الفقهاء له فيهن زوجة فكان يدخل اليها حتى ولدت منه في السجن

﴿ ذكر وقوع الوباء في عسكر السلطان ﴾

ولما وصل السلطان الى بلاد التلنك وهو قاصد الى قتال الشريف ببلاد المعبر نزل مدينة بدركوت (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة وسكون الدال وفتح الراء وضم الكاف وواو وتاء معلوة) وهي قاعدة بلاد التلنك (وضبطها بكسر التاء المثناة واللام وسكون النون وكاف معقودة) وبينها وبين بلاد المعبر مسيرة ثلاثة أشهر ووقع الوباء اذ ذاك في عسكره فهلك معظمهم ومات العبيد والمماليك وكبار الامراء مثل ملك دولة شاه الذي كان السلطان يخاطبه بالعم ومثل أمير عبد الله الهروي وقد تقدمت حكايته في السفر الاول وهو الذي أمره السلطان ان يرفع من الخزانة ما استطاع من المال فربط ثلاث عشرة خريطة باعضاده ورفعها ولما رأى السلطان ما حل بالعسكر عاد الى دولة آباد وخالفت البلاد وانتقضت الاطراف وكاد الملك يخرج عن يده لولا ما سبق به القدر من استحكام سعادته

﴿ ذكر الارجاف بموته وفرار الملك هوشنج ﴾

ولما عاد السلطان الى دولة آباد مرض في طريقه فأرجف الناس بموته وشاع ذلك فنشأت عنه فتن عريضة وكان الملك هوشنج ابن الملك كمال الدين كرك بدولة آباد وكان بينه وبين السلطان عهد أن لا يبايع غيره أبدا لا في حياته ولا بعد موته فلما أرجف بموت السلطان هرب الى سلطان كافر يسمى بربرة يسكن بجبال مانعة بين دولة آباد وكوكن تانه فعلم السلطان بفراره وخاف وقوع الفتنة فجد السير الى دولة آباد واقتفى أثر هوشنج وحصره

بالخيل وأرسل الكافر أن يسلمه اليه فأبي وقال لا أسلم دخيلي ولو آل بي الامر لما آل برای كنبيلة وخاف هوشنج على نفسه فراسل السلطان وعاهده علي ان يرحل السلطان الي دولة آباد ويبقى هنالك قطلوخان معلم السلطان ليستوثق منه هوشنج وينزل اليه علي الامان فرحل السلطان ونزل هوشنج الى قطلوخان وعاهده أن لا يقتله السلطان ولا يحط منزلته وخرج بماله وعياله وأصحابه وقدم على السلطان فسر بقدومه وأرضاه وخلع عليه وكان قطلوخان صاحب عهد يستنيم الناس اليه ويقولون في الوفاء عليه ومنزلته عند السلطان عالية وتعظيمه له شديد ومتى دخل عليه قام له اجلالا فكان بسبب ذلك لا يدخل عليه حتي يكون هو الذي يدعوه لئلا يتعبه بالقيام له وهو محب في الصدقات كثير الايثار مولع بالاحسان للفقراء والمساكين

﴿ ذكر ماهم به الشريف ابراهيم من الثورة وما آل حاله ﴾

وكان الشريف ابراهيم المعروف بالخريطة دار وهو صاحب الكاغد والاقلام بدار السلطان واليا على بلاد حانسي وسرستي لما تحرك السلطان الى بلاد المعبر وأبوه هو القائم ببلاد المعبر الشريف أحسن شاه فلما أرجف بموت السلطان طمع ابراهيم في السلطنة وكان شجاعا كريما حسن الصورة وكنت متزوجا بأخته حور نسب وكانت صالحة تتهجد بالليل ولها أوراد من ذكر الله عز وجل وولدت مني بنتا ولا أدرى ما فعل الله فيهما وكانت تقرأ لكنها لا تكتب فلما هم ابراهيم بالثورة اجتاز به أمير من أمراء السند معه الاموال يحملها الى دهلي فقال له ابراهيم ان الطريق مخوف وفيه القطع فأقم عندى حتى يصلح الطريق وأوصلك الى المأمن وكان قصده أن يحقق موت السلطان فيستولى على تلك الاموال فلما تحقق حياته سرح ذلك الامير وكان يسمي ضياء الملك ابن شمس الملك ولما وصل السلطان الى الحضرة بعد غيبته سنتين ونصف وصل الشريف ابراهيم اليا فوشي به بعض غلمانه وأعلم السلطان بما كان هم به فأراد السلطان أن يعجل بقتله ثم تأني لمحبته فيه فاتفق ان أتي يوما الى السلطان بغزال مذبوح ينظر الى ذبحته فقال ليس بجيد الذكاة اطرحوه فرآه ابراهيم فقال ان ذكاته جيدة وأنا آكله فأخبر السلطان بقوله فأنكر

ذلك وجعله ذريعة الى أخذه فامر به فقيد وغلل ثم قرره على مارمى به من انه أراد أخذ الاموال التي امر بها اضياء الملك وعلم ابراهيم انه انما يريد قتله بسبب أبيه وانه لا تنفعه معذرة وخاف ان يعذب فرأى الموت خيراله فأقر بذلك فامر به فوسط وترك هنالك وعادتهم انه متى قتل السلطان أحدا أقام مطروحا موضع قتله ثلاثا فاذا كان بعد الثلاث أخذه طائفة من الكفار موكلون بذلك فحملوه الى خندق خارج المدينة يطرحونه به وهم يسكنون حول الخندق لئلا يأتي أهل المقتول فيعرفونه وربما أعطي بعضهم هؤلاء الكفار مالا فتجافوا له عن قتيله حتى يدفنه وكذلك فعل بالشريف ابراهيم رحمه الله تعالى

﴿ ذكر خلاف نائب السلطان ببلاد التلنك ﴾

ولما عاد السلطان من التلنك وشاع خبر موته وكان ترك تاج الملك نصرة خان نائبا عنه ببلاد التلنك وهو من قدماء خواصه بلغه ذلك فعمل عزاء السلطان ودعا لنفسه وبايعه الناس بحضرة بدركوت فبلغ خبره الى السلطان فبعث معلمه قطلوخان في عسكر عظيمة فحصره بعد قتال شديد هلك فيه أمم من الناس واشتد الحصار على أهل بدركوت وهي منيعة وأخذ قطلوخان في نقبها فخرج اليه نصرة خان على الامان في نفسه فأمنه وبعث به الى السلطان وأمن أهل المدينة والعسكر

﴿ ذكر انتقال السلطان لنهر الكنك وقيام عين الملك ﴾

ولما استولى القحط على البلاد انتقل السلطان بعساكره الى نهر الكنك الذى تحج اليه الهنود على مسيرة عشر من دهلي وأمر الناس بالبناء وكانوا قبل ذلك صنعوا خياما من حشيش الارض فكانت النار كثيرا ما تقع فيها وتؤذي الناس حتى كانوا يصنعون كهوفا تحت الارض فاذا وقعت النار رموا أمتعتهم بها وسدوا عليها بالتراب ووصلت أنا في تلك الايام لمحلة السلطان وكانت البلاد التي بغربي النهر حيث السلطان شديدة القحط والبلاد التي بشرقيه خصبة وأميرها عين الملك بن ماهر ومنها مدينة عوض ومدينة ظفر آباد ومدينة اللكنو وغيرها وكان الامير عين الملك كل يوم يحضر خمسين ألف من منها قمح وأرز وحمص لعلف الدواب فامر السلطان أن تحمل الفيلة ومعظم الخيل والبغال الى

الجهة الشرقية المخصبة لترعى هنالك وأوصى عين الملك بحفظها وكان لعين الملك أربعة اخوة وهم شهر الله ونصر الله وفضل الله ولا أذكر اسم الآخر فاتفقوا مع أخيهم عين الملك على أن يأخذوا فيلة السلطان ودوابه ويبايعوا عين الملك ويقوموا على السلطان وهرب اليهم عين الملك بالليل وكاد الامر يتم لهم ومن عادة ملك الهند انه يجعل مع كل أمير كبير أو صغير مملوكا له يكون عينا عليه ويعرفه بجميع حاله ويجعل أيضا جوارى فى الدور يكن عيونا له على أمرائه ونسوة يسميهن الكناسات يدخلن الدور بلا استئذان ويخبرهن الجوارى بما عندهن فيخبر الكناسات بذلك الملك المخبرين فيخبر بذلك السلطان ويذكرون ان بعض الامراء كان في فراشه مع زوجته فأراد مماستها فحلفته برأس السلطان ان لا يفعل فلم يسمع منها فبعث عنه السلطان صباحا وأخبره بذلك وكان سبب هلاكه وكان للسلطان مملوك يعرف بابن ملك شاه هو عين على عين الملك المذكور فاخبر السلطان بفراره وجوازه النهر فسقط فى يده وظن انها القاضية عليه لان الخيل والفيلة والزرع كل ذلك عند عين الملك وعساكر السلطان مفترقة فاراد ان يقصد حضرته ويجمع العساكر وحينئذ يأتي لقتاله وشاور أرباب الدولة فى ذلك وكان أمراء خراسان والغرباء أشد الناس خوفا من هذا القائم لانه هندى وأهل الهند مبغضون فى الغرباء لاظهار السلطان لهم فكرهوا ما ظهر له وقالوا يا خوند عالم ان فعلت ذلك بلغه الخبر فاشتد أمره ورتب العساكر وانثال عليه طلاب الشر ودعاة الفتن والاولى معاجلته قبل استحكام قوته وكان أول من تكلم بهذا ناصر الدين مطهر الأوهرى ووافقه جميعهم فعمل السلطان باشارتهم وكتب تلك الليلة الى من قرب منه من الامراء والعساكر فأتوا من حينهم وأدار في ذلك حيلة حسنة فكان اذا قدم على محلته مثلا مائة فارس بعث الآلاف من عنده للقائهم ليلا ودخلوا معهم الى المحلة كان جميعهم مدد له وتحرك السلطان مع ساحل النهر ليجعل مدينة قنوج وراء ظهره ويتحصن بها لمنعتها وحصانتها وبينها وبين الموضع الذى كان به ثلاثة أيام فرحل أول مرحلة وقد عبأ جيشه للحرب وجعلهم صفا واحدا عند نزولهم كل واحد منهم بين يديه سلاحه وفرسه الى جانبه ومعه خباء صغير يأكل به

ويتوضأ ويعود الى مجلسه والمحلة الكبري على بعد منهم ولم يدخل السلطان في تلك الايام الثلاثة خباء ولا استظل بظل وكنت في يوم منها بخبائي فصاح بي فتى من فتياني اسمه سنبل واستعجلني وكان معي الجواري فخرجت اليه فقال ان السلطان أمر الساعة أن يقتل كل من معه امرأته أو جاريته فشفع عنده الامراء فأمر ان لا تبقى الساعة بالمحلة امرأة وان يحملن الى حصن هنالك على ثلاثة أميال يقال له كنبيل فلم تبق امرأة بالمحلة ولا مع السلطان وبتنا تلك الليلة على تعبئة فلما كان في اليوم الثاني رتب السلطان عسكره أفواجا وجعل مع كل فوج الفيلة المدرعة عليها الابراج فوقها المقاتلة وتدرع العسكر وتهيؤا للحرب وباتوا تلك الليلة على أهبة ولما كان اليوم الثالث بلغ الخبر بان عين الملك الثائر اجاز النهر فخاف السلطان من ذلك وتوقع انه لم يفعله الا بعد مراسلة الامراء الباقين مع السلطان فأمر في الحين بقسم الخيل العتاق على خواصه وبعث لي حظاً منها وكان لي صاحب يسمى أمير اميران الكرماني من الشجعان فأعطيته فرسا منها أشهب اللون فلما حركه جمح به فلم يستطع امساكه ورماه عن ظهره فمات رحمه الله تعالى وجد السلطان ذلك اليوم في مسيره فوصل بعد العصر الى مدينة قنوج وكان يخاف ان يسبقه القائم اليها وبات ليلته تلك يرتب الناس بنفسه ووقف علينا ونحن في المقدمة مع ابن عمه ملك فيروز ومعنا الامير غدا بن مهنى والسيد ناصر الدين مطهر وأمراء خراسان فاضافنا الى خواصه وقال انتم أعزة على ماينبغي ان تفارقوني وكان في عاقبة ذلك الخير فان القائم ضرب في آخر الليل على المقدمة وفيها الوزير خواجه جهان فقامت ضجة في الناس كبيرة فحينئذ أمر السلطان ان لا يبرح أحد من مكانه ولا يقاتل الناس الا بالسيوف فاستل العسكر سيوفهم ونهضوا الى أصحابهم وحمي القتال وأمر السلطان ان يكون شعار جيشه دهلي وغزنة فاذا لقي أحدهم فارسا قال له دهلي فان أجابه بغزنة علم انه من أصحابه والا قاتله وكان القائم انما قصد ان يضرب على موضع السلطان فأخطأ به الدليل فقصد موضع الوزير فضرب عنق الدليل وكان في عسكر الوزير الاعاجم والترك والخراسانيون وهم أعداء الهنود فصدقوا القتال وكان جيش

ماثم نحوا الخمسين ألفا فانهزموا عند طلوع الفجر وكان الملك ابراهيم المعروف بالبنجي (بفتح الباء الموحدة وسكون النون وجيم) التتري قد أقطعه السلطان بلاد سنديلة وهي قريبة من بلاد عين الملك فاتفق معه على الخلاف وجعله نائبه وكان داود بن قطب الملك وابن ملك التجار على فيلة السلطان وخيله فوافقاه أيضا وجعل داود حاجبه وكان داود هذا لما ضربوا على محلة الوزير يجهر بسب السلطان ويشتمه أقبح شتم والسلطان يسمع ذلك ويعرف كلامه فلما وقعت الهزيمة قال عين الملك لنائبه ابراهيم التتري ماذا ترى يا ملك ابراهيم قد فر أكثر العسكر وذوو النجدة منهم فهل لك ان نجو بأنفسنا فقال ابراهيم لاصحابه بلسانهم اذا أراد عين الملك ان يفر فاني سأقبض على دبوقته فاذا فعلت ذلك فاضربوا أنتم فرسه ليسقط الى الارض فنقبض عليه ونأتي به السلطان ليكون ذلك كفارة لذنبي في الخلاف معه وسببا لخلاصي فلما أراد عين الملك الفرار قال له ابراهيم الى أين ياسلطان علاء الدين وكان يسمي بذلك وأمسك بدبوقته وضرب أصحابه فرسه فسقط الى الارض ورمى ابراهيم بنفسه عليه فقبضه وجاء أصحاب الوزير ليأخذوه فمنعهم وقال لا أتركه حتى أوصله للوزير أو أموت دون ذلك فتركوه فأوصله الى الوزير وكنت أنظر عند الصبح الى الفيلة والاعلام يؤتى بها الى السلطان ثم جاءني بعض العراقيين فقال قد قبض على عين الملك وأتى به الوزير فلم أصدقه فلم يمر الا يسير وجاءني الملك تمور الشربدار فأخذ بيدي وقال أبشر فقد قبض على عين الملك وهو عند الوزير فتحرك السلطان عند ذلك ونحن معه الى محلة عين الملك على نهر الكنك فنهبت العساكر مافيها واقتحم كثير من عسكر عين الملك النهر فغرقوا وأخذ داود بن قطب الملك وابن ملك التجار وخلق كثير معهم ونهبت الاموال والخيل والامتعة ونزل السلطان على المجاز وجاء الوزير بعين الملك وقد أركب على ثور وهو عريان مستور العورة بخرقة مربوطة بحبل وباقيه في عنقه فوقف على باب السراجة ودخل الوزير الى السلطان فأعطاه الشربة عناية به وجاء ابناء الملوك الى عين الملك فجعلوا يسبونه ويبصقون في وجهه ويصفعون أصحابه وبعث اليه السلطان الملك الكبير فقال له ماهذا الذي فعلت فلم يجد جوابا فأمر به السلطان ان يكسي ثوبا من ثياب الزمالة وقيد بأربعة

كبول وغلت يداه الى عنقه وسلم للوزير ليحفظه وجاز اخوته النهر هاربين ووصلوا مدينة عوض فأخذوا أهلهم وأولادهم وماقدروا عليه من المال وقالوا لزوجة أخيهم عين الملك اخلصي بنفسك وبنيك معنا فقالت أفلا أكون كنساء الكفار اللائي يحرقن أنفسهن مع ازواجهن فأنا أيضاً أموت لموت زوجي واعيش لعيشه فتركوها وبلغ ذلك السلطان فكان سبب خيرها وأدركته لها رقة وادرك الفتي سهيل نصر الله من أولئك الاخوة فقتله وأتي السلطان برأسه وأتي بأم عين الملك واخوته وامرأته فسلمن الى الوزير وجهان في خباء بقرب خباء عين الملك فكان يدخل اليهن ويجلس معهن ويعود الى محبسه ولما كان بعد العصر من يوم الهزيمة أمر السلطان بسراح لفيف الناس الدين مع عين الملك من الزمالة والسوقة والعبيد ومن لا يعبأ به وأتي بملك ابراهيم البنجي الذي ذكرناه فقال ملك العسكر الملك نوايا خوند عالم اقتل هذا فانه من المخالفين فقال الوزير انه قد فدى نفسه بالقائم فعفا عنه السلطان وسرحه الى بلاده ولما كان بعد المغرب جلس السلطان ببرج الخشب وأتي باثنين وستين رجلا من كبار أصحاب القائم وأتي بالفيلة فطرحوا بين أيديها فجعلت تقطعهم بالحدائد الموضوعة علي أنيابها وترمي بعضهم الى الهواء وتلقفه والابواق والانفار والطبول تضرب عند ذلك وعين الملك واقف يعاين مقتلهم ويطرح منهم عليه ثم أعيد الي محبسه وأقام السلطان على جواز النهر أياما لكثرة الناس وقلة القوارب وأجاز أمتعته وخزائنه على الفيلة وفرق الفيلة على خواصه ليجيزوا أمتعتهم وبعث الى بفيل منها أجزت عليه رحلي وقصد السلطان ونحن معه الى مدينة بهرايج (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة وهاء مسكن وراء وألف وياء آخر الحروف مكسورة وجيم) وهي مدينة حسنة في عدوة نهر السرو وهو واد كبير شديد الانحدار واجازه السلطان برسم زيارة قبر الشيخ الصالح البطل سالار عود الذى فتح أكثر تلك البلاد وله أخبار عجيبة وغزوات شهيرة وتكاثر الناس للجواز وتزاحموا حتي غرق مركب كبير كان فيه نحو ثلاثمائة نفس لم ينج منهم الا عربي من أصحاب الامير غدا وكنا ركبنا نحن في مركب صغير فسلمنا الله تعالي وكان العربي الذي سلم من الغرق يسمي بسالم وذلك اتفاق عجيب وكان أراد أن

بعد معنا في مركبنا فوجدناقد ركبنا النهر فركب في المركب الذي غرق فلما خرج ظن الناس انه كان معنا فقامت ضجة في أصحابنا وفي سائر الناس وتوهموا انا غرقنا ثم لما رأونا بعد استبشروا بسلامتنا وزرنا قبر الصالح المذكور وهو في قبة لم نجد سبيلا الى دخولها لكثرة الزحام وفي تلك الوجهة دخلنا غيضة قصب فخرج علينا منها الكركدن فقتل وأتى الناس برأسه وهو دون الفيل ورأسه أكبر من رأس الفيل باضعاف وقد ذكرناه

﴿ ذكر عودة السلطان لحضرته ومخالفة علي شاه كر ﴾

ولما ظفر السلطان بعين الملك كما ذكرنا عاد الى حضرته بعد مغيب عامين ونصف وعفا عن عين الملك وعفا أيضا عن نصرة خان القائم ببلاد التلنك وجعلهما معا على عمل واحد وهو النظر على بساتين السلطان وكساهما وأركبهما وعين لهما نفقة من الدقيق واللحم في كل يوم وبلغ الخبر بعد ذلك ان أحد أصحاب قطلوخان وهو علي كشاه كر ومعنى كر الاطرش خالف على السلطان وكان شجاعا حسن الصورة والسيرة فغلب على بدركوت وجعلها مدينة ملكه وخرجت العساكر اليه وأمر السلطان معلمه ان يخرج الى قتاله فخرج في عساكر عظيمة وحصره ببدركوت ونقبت ابراجها واشتدت به الحال فطلب الامان فأمنه قطلوخان وبعث به الى السلطان مقيدا فعفا عنه ونفاه الى مدينة غزنة من طرف خرسان فأقام بها مدة ثم اشتاق الى وطنه فأراد العودة اليه لما قضاه الله من حينه فقبض عليه ببلاد السند وأتي به السلطان فقال له انما جئت لتثير الفساد ثانية وأمر به فضربت عنقه

﴿ ذكر فرار أمير بخت وأخذه ﴾

وكان السلطان قد وجد على أمير بخت الملقب بشرف الملك أحد الذين وفدوا معنا على السلطان فحط مرتبه من أربعين ألفا الى ألف واحد وبعثه في خدمة الوزير الى دهلي واتفق ان مات أمير عبد الله الهروي في الوباء في التلنك وكان ماله عند أصحابه بدهلي فاتفقوا مع أمير بخت على الهروب فلما خرج الوزير من دهلي الي لقاء السلطان هربوا مع أمير بخت وأصحابه ووصلوا الى أرض السند في سبعة أيام وهو مسيرة أربعين يوما وكانت معهم الخيل مجنوبة وعزموا على ان يقطعوا نهر السند عوما ويركب أمير بخت وولده ومن

لايحسن العوم في معدية قصب يصنعونها وكانوا قد أعدوا حبالا من الحرير برسم ذلك فلما وصلوا الى النهر خافوا من عبوره بالعوم فبعثوا رجلين منهم الى جلال الدين صاحب مدينة أوجة فقالا له ان ههنا تجارا أرادوا أن يعبروا النهر وقد بعثوا اليك بهذا السرج لتبيح لهم الجواز فأنكر الامير ان يعطي التجار مثل ذلك السرج وأمر بالقبض على الرجلين ففر أحدهما ولحق بشرف الملك وأصحابه وهم نيام لما لحقهم من الاعياء ومواصلة السهر فأخبرهم الخبر فركبوا مذعورين وفروا وأمر جلال الدين بضرب الذي قبض عليه فاعترف بقضية شرف الملك فأمر جلال الدين نائبه فركب في العسكر وقصدوا نحوهم فوجدوهم قد ركبوا فاقتفوا أثرهم فأدركوهم فرموا العسكر بالنشاب ورمى طاهر بن شرف الملك نائب الامير جلال الدين بسهم فاثبته في ذراعه وغلب عليهم فأتى بهم الى جلال الدين فقيدهم وغل أيديهم وكتب الى الوزير في شأنهم فأمرهم الوزير ان يبعثهم الى الحضرة فبعثهم اليها وسجنوا بها فمات طاهر في السجن فأمر السلطان ان يضرب شرف الملك مائة مقرعة في كل يوم فبقي على ذلك مدة ثم عفي عنه وبعثه مع الامير نظام الدين أمير نجلة الى بلاد جنديري فانتهت حاله الى ان كان يركب البقر ولم يكن له فرس يركبه وأقام على ذلك مدة ثم وفد ذلك الامير على السلطان وهو معه فجعله السلطان شاشنكيرة (جاشنكير) وهو الذي يقطع اللحم بين يدي السلطان ويمشي مع الطعام ثم انه بعد ذلك نوه به ورفع مقداره وانتهت حاله الاان مرض فزاره السلطان وأمر بوزنه بالذهب وأعطاه ذلك وقد قدمنا هذه الحكاية في السفر الاول وبعد ذلك زوجه بأخته وأعطاه بلاد جنديري التي كان بها البقر في خدمة الامير نظام الدين فسبحان مقلب القلوب ومحول الاحوال

﴿ ذكر خلاف شاه أفغان بأرض السند ﴾

وكان شاه أفغان خالف على السلطان بأرض ملتان من بلاد السند وقتل الامير بها وكان يسمي بهزاد وادعى السلطنة لنفسه وتجهز السلطان لقتاله فعلم انه لا يقاومه فهرب ولحق لقومه الافغان وهم ساكنون بجبال منيعة لا يقدر عليها فاغتاظ السلطان مما فعله وكتب الى عماله ان يقبضوا على من وجدوه من الافغان ببلاده فكان ذلك سببا لخلاف

القاضي جلال

﴿ ذكر خلاف القاضي جلال ﴾

وكان القاضي جلال وجماعة من الافغانيين قاطنين بمقربة من مدينة كنباية ومدينة بلوذرة فلما كتب السلطان الى عماله بالقبض على الافغانيين كتب الى ملك مقبل نائب الوزير ببلاد الجزرات ونهر والة أن يحتال في القبض على القاضي جلال ومن معه وكانت بلاد بلوذرة اقطاعا للملك الحكماء وكان ملك الحكماء متزوجا بربيبة السلطان زوجة أبيه تغلق ولها بنت من تغلق هي التي تزوجها الامير غدا وملك الحكماء اذذاك في صحبة مقبل لان بلاده تحت نظره فلما وصلوا الى بلاد الجزرات أمر مقبل ملك الحكماء ان يأتي بالقاضي جلال وأصحابه فلما وصل ملك الحكماء الي بلاده حذرهم في خفية لانهم كانوا من أهل بلاده وقال ان مقبلا طلبكم ليقبض عليكم فلا تدخلوا عليه الا بالسلاح فركبوا في نحو ثلاثمائة دارع وأتوه وقالوا لا ندخل الا جملة فظهر له انه لا يمكن القبض عليهم وهم مجتمعون وخاف منهم فأمرهم بالرجوع وأظهر تأمينهم فخالفوا عليه ودخلوا مدينة كنباية ونهبوا خزانة السلطان بها وأموال الناس ونهبوا مال ابن الكولمي التاجر وهو الذي عمر المدرسة الحسنة باسكندرية وسنذكر اثر هذا وجاء ملك مقبل لقتالهم فهزموه هزيمة شنيعة وجاء الملك عزيز الخمار والملك جهان بنبل لقتالهم في سبعة آلاف من الفرسان فهزموهم أيضاً وتسامع بهم أهل الفساد والجرائم فانثالوا عليهم وادعى القاضي جلال السلطنة وبايعه أصحابه وبعث السلطان اليه العساكر فهزمها وكان بدولة آباد جماعة من الافغان فخالفوا أيضاً

﴿ ذكر خلاف ابن الملك مل ﴾

وكان ابن الملك مل ساكنا بدولة آباد في جماعة من الافغان فكتب السلطان الى نائبه بها وهو نظام الدين أخو معلمه قطلوخان ان يقبض عليهم وبعث اليه باحمال كثيرة من القيود والسلاسل وبعث بخلع الشتاء وعادة ملك الهند أن يبعث لكل أمير على مدينة ولوجوه عسكره خلعتين في السنة خلعة الشتاء وخلعة الصيف واذا جاءت الخلع يخرج

الامير والعسكر للقائها فاذا وصلوا الى الآتي بها نزلوا عن دوابهم وأخذ كل واحد خلعته وحملها على كتفه وخدم لجهة السلطان وكتب السلطان لنظام الدين اذا خرج الافغان ونزلوا عن دوابهم لاخذ الخلع فاقبض عليهم عند ذلك وأتي أحد الفرسان الذين أوصلوا الخلع الى الافغان فأخبرهم بما يراد بهم فكان نظام الدين ممن احتال فانعكست عليه فركب وركب الافغان معه حتى اذا لقوا الخلع ونزل نظام الدين عن فرسه حملوا عليه وعلى أصحابه فقبضوا عليه وقتلوا كثيراً من أصحابه ودخلوا المدينة فأخذوا الخزائن وقدموا على أنفسهم ناصر الدين ابن ملك مل واثال عليهم المفسدون فقويت شوكتهم

﴿ ذكر خروج السلطان بنفسه الى كنباية ﴾

ولما بلغ السلطان ما فعله الافغان بكنباية ودولة آباد خرج بنفسه وعزم على ان يبدء بكنباية ثم يعود الى دولة آباد وبعث أعظم ملك البايزيدي صهره في أربعة آلاف مقدمة فاستقبلته عساكر القاضي جلال فهزموه وحصروه ببلوذرة وقاتلوه بها وكان في عسكر القاضي جلال شيخ يسمي جلول وهو أحد الشجعان فلا يزال يفتك في العساكر ويقتل ويطلب المبارزة فلا يتجاسر أحد على مبارزته واتفق يوماً انه دفع فرسه فكبا به في حفرة فسقط عنه وقتل ووجدوا عليه درعين فبعثوا برأسه الى السلطان وصلبوا جسده بسور بلوذرة وبعثوا ايديه ورجليه الي البلاد ثم وصل السلطان بعساكره فلم يكن للقاضي جلال من ثبات ففر في أصحابه وتركوا أموالهم وأولادهم فنهب ذلك كله ودخلت المدينة وأقام بها السلطان أياما ثم رحل عنها وترك بها صهره شرف الملك أمير بخت الذي قدمنا ذكره وقضية فراره وأخذه بالسند وسجنه وما جرى عليه من الذل ثم من العز وأمره بالبحث عمن كان في طاعة جلال الدين وترك معه الفقهاء ليحكم بأقوالهم فأدى ذلك الى قتل الشيخ علي الحيدرى حسبما قدمناه ولما هرب القاضي جلال لحق بناصر الدين بن ملك مل بدولة آباد ودخل في جملته فأتي السلطان بنفسه اليهم واجتمعوا في نحو أربعين ألفا من الافغان والترك والهنود والعبيد وتحالفوا على أن لا يفروا وان يقاتلوا السلطان وأتي السلطان لقتالهم ولم يرفع الشطر الذي هو علامة عليه فلما استحر القتال رفع الشطر فلما

عاينوه دهشوا وانهزموا أقبح هزيمة ولجأ ابن ملك مل والقاضي جلال في نحو أربعمائة من خواصهما الى قلعة الدويقير وسنذكرها وهي من أمنع قلعة في الدنيا واستقر السلطان بمدينة دولة آباد والدويقير هي قلعتها وبعث لهم ان ينزلوا على حكمه فأبوا ان ينزلوا الا على الامان فأبي السلطان ان يؤمنهم وبعث لهم الاطعمة تهاونا بهم وأقام هنالك وعلى ذلك آخر عهدي بهم

﴿ ذكر قتال مقبل وابن الكولمي ﴾

وكان ذلك قبل خروج القاضي جلال وخلافه وكان تاج الدين بن الكولمي من كبار التجار فوفد على السلطان من أرض الترك بهدايا جليلة منها المماليك والجمال والمتاع والسلاح والثياب فأعجب السلطان فعله وأعطاه اثني عشر لكا ويذكر انه لم تكن قيمة هديته الا لكا واحداً وولاه مدينة كنباية وكانت لنظر الملك المقبل نائب الوزير فوصل اليها وبعث المراكب الى بلاد المليبار وجزيرة سيلان وغيرها وجاءته التحف والهدايا في المراكب وضخمت حاله ولما لم يبعث أموال تلك الجهات الى الحضرة بعث الملك مقبل الى ابن الكولمي أن يبعث ماعنده من الهدايا والاموال مع هدايا تلك الجهات على العادة فامتنع ابن الكولمي من ذلك وقال أنا أحملها بنفسي أو أبعثها مع خدامي ، لا حكم لنائب الوزير علي ولا للوزير واغتر بما أولاه السلطان من الكرامة والعطية فكتب مقبل الى الوزير بذلك فوقع له الوزير على ظهر كتابه ان كنت عاجزا عن بلادنا فاتركها وارجع الينا فلما بلغه الجواب تجهز في عسكره ومماليكه والتقيا بظاهر كنباية فانهزم ابن الكولمي وقتل جماعة من الفريقين واستخفى ابن الكولمي في دار الناخودة (الناخذا) الياس أحد كبراء التجار ودخل مقبل المدينة فضرب رقاب أمراء عسكر ابن الكولمي وبعث له الامان على ان يأخذ ماله المختص به ويترك مال السلطان وهديته ومجبي البلد وبعث مقبل بذلك كله مع خدامه الى السلطان وكتب شاكيا من ابن الكولمي وكتب ابن الكولمي شاكيا منه فبعث السلطان ملك الحكماء لينتصف بينهما وبأثر ذلك كان خروج القاضي جلال الدين فنهب مال ابن الكولمي وفر ابن الكولمي في بعض مماليكه ولحق بالسلطان

﴿ ذكر الغلاء الواقع بأرض الهند ﴾

وفي مدة مغيب السلطان عن حضرته اذ خرج بقصد بلاد المعبر وقع الغلاء واشتد الامر وانتهي المن الى ستين درهما ثم زاد على ذلك وضاقت الاحوال وعظم الخطب ولقد خرجت مرة الى لقاء الوزير فرأيت ثلاث نسوة يقطعن قطعا من جلد فرس مات منذ أشهر ويأكلنه وكانت الجلود تطبخ وتباع في الاسواق وكان الناس اذا ذبحت البقرة أخذوا دماءها فأكلوها وحدثني بعض طلبة خراسان انهم دخلوا بلدة تسمي اكروهة بين حانسي ومرستي فوجدوها خالية فقصدوا بعض المنازل ليبيتوا به فوجدوا في بعض بيوته رجلا قد أضرم نارا وبيده رجل آدمي وهو يشويها في النار ويأكل منها والعياذ بالله ولما اشتد الحال أمر السلطان أن يعطي لجميع أهل دهلي نفقة ستة أشهر فكانت القضاة والكتاب والامراء يطوفون بالازقة والحارات ويكتبون الناس ويعطون لكل أحد نفقة ستة أشهر بحساب رطل ونصف من أرطال المغرب في اليوم لكل واحد وكنت في تلك المدة أطعم الناس من الطعام الذي أصنعه بمقبرة السلطان قطب الدين حسبما يذكر فكان الناس ينتعشون بذلك والله تعالى ينفع بالقصد فيه واذ قد ذكرنا من أخبار السلطان وما كان في أيامه من الحوادث ما فيه الكفاية فلنعد الى ما يخصنا من ذلك ونذكر كيفية وصولنا أولا الى حضرته وتنقل الحال الى خروجنا عن الخدمة ثم خروجنا عن السلطان في الرسالة الى الصين وعودنا منها الى بلادنا ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر وصولنا الي دار السلطان عند قدومنا وهو غائب ﴾

ولما دخلنا حضرة دهلي قصدنا باب السلطان ودخلنا الباب الاول ثم الثاني ثم الثالث ووجدنا عليه النقباء وقد تقدم ذكرهم فلما وصلنا اليهم تقدم بنا نقيبهم الى مشور عظيم متسع فوجدنا به الوزير خواجه جهان ينتظرنا فتقدم ضياء الدين خداوندزاده ثم تلاه أخوه قوام الدين ثم أخوهما عماد الدين ثم تلوتهم ثم تلاني أخوهم برهان الدين ثم الامير مبارك السمرقندي ثم ارن بغا التركي ثم ملك زاده ابن أخت خداوندزاده ثم بدر الدين الفصال ولما دخلنا من الباب الثالث ظهر لنا المشور الكبير المسمي هزار اسطون

(استون) ومعنى ذلك ألف سارية وبه مجلس السلطان الجلوس العام فخدم الوزير عند ذلك حتى قرب رأسه من الارض وخدمنا نحن بالركوع وأوصلنا أصابعنا الى الارض وخدمتنا لناحية سرير السلطان وخدم جميع من معنا فلما فرغنا من الخدمة صاح النقباء باصوات عالية باسم الله وخرجنا

﴿ ذكر وصولنا الدار أم السلطان وذكر فضائلها ﴾

وأم السلطان تدعى المخدومة جهان وهي من أفضل النساء كثيرة الصدقات عمرت زوايا كثيرة وجعلت فيها الطعام للوارد والصادر وهي مكفوفة البصر وسبب ذلك أنه لما ملك ابنها جاء اليها جميع الخواتين وبنات الملوك والامراء في أحسن زى وهي على سرير الذهب المرصع بالجوهر فخدمن بين يديها جميعا فذهب بصرها للحين وعولجت بأنواع العلاج فلم ينفع وولدها أشد الناس برورا بها ومن بروره انها سافرت معه مرة فقدم السلطان قبلها بمدة فلما قدمت خرج لاستقبالها وترجل عن فرسه وقبل رجلها وهي في المحفة بمرأى من الناس أجمعين ولنعد لما قصدناه فنقول ولما انصرفنا عن دار السلطان خرج الوزير ونحن معه الي باب الصرف وهم يسمونه باب الحرم وهنالك سكنى المخدومة جهان فلما وصلنا بابها نزلنا عن الدواب وكل واحد منا قد أتى بهدية على قدر حاله ودخل معنا قاضي قضاة المماليك كمال الدين بن البرهان فخدم الوزير والقاضي عند بابها وخدمنا كخدمتهم وكتب كاتب بابها هدايانا ثم خرج من الفتيان جماعة وتقدم كبارهم الى الوزير فكلموه سرا ثم عادوا الى القصر ثم رجعوا الي الوزير ثم عادوا الى القصر ونحن وقوف ثم أمرنا بالجلوس في سقيف هنالك ثم أتوا بالطعام وأتوا بقلال من الذهب يسمونها السين (بضم السين والياء آخر الحروف) وهي مثل القدور ولها مرافع من الذهب تجلس عليها يسمونها السبك (بضم السين وبضم الباء الموحدة) وأتوا بأقداح وطسوت وأباريق كلها ذهب وجعلوا الطعام سماطين وعلى كل سماط صفان ويكون في رأس الصف كبير القوم الواردين ولما تقدمنا للطعام خدم الحجاب والنقباء وخدمنا لخدمتهم ثم أتوا بالشربة فشربنا وقال الحجاب باسم الله ثم أكلنا وأتوا بالفقاع ثم بالتنبول ثم قاله

الحجاب باسم الله نخدم مناجميعا ثم دعينا الي موضع هنالك فخلع علينا خلع الحرير المذهبة ثم أتوا بنا الي باب القصر فخدمنا عنده وقال الحجاب باسم الله ووقف الوزير ووقفنا معه ثم أخرج من داخل القصر تخت ثياب غير مخيطة من حرير وكتان وقطن فاعطي كل واحد منا نصيبه منها ثم أتوا بطيفور ذهب فيه الفاكهة اليابسة وبطيفور مثله فيه الجلاب وطيفور ثالث فيه التنبول ومن عادتهم ان الذي يخرج له ذلك يأخذ الطيفور بيده ويجعله على كاهله ثم يخدم بيده الأخري الي الارض فأخذ الوزير الطيفور بيده قصدا ان يعلمني كيف أفعل ايناسا منه وتواضعا ومبرة جزاه الله خيرا ففعلت كفعله ثم انصرفنا الى الدار المعدة لنزولنا بمدينة دهلي وبمقربة من دروازة بالم منها وبعث لنا الضيافة

﴿ ذكر الضيافة ﴾

ولما وصلت الي الدار التي أعدت لنزولي وجدت فيها ما يحتاج اليه من فرش وبسط وحصر وأوان وسرير الرقاد وأسرتهم بالهند خفيفة الحمل يحمل السرير منها الرجل الواحد ولا بد لكل أحد أن يستصحب السرير في السفر يحمله غلامه على رأسه وهو أربع قوائم مخروطة يعرض عليها أربعة أعواد وتنسج عليها ضفائر من الحرير أو القطن فاذا نام الانسان عليه لم يحتج الى ما يرطبه به لانه يعطي الرطوبة من ذاته وجاؤا مع السرير بمضربتين ومخدتين ولحاف كل ذلك من الحرير وعادتهم أن يجعلوا للمضربات واللحوف (واللحف) وجوها تغشيها من كتان أو قطن بيضا فتي توسخت غسلوا الوجوه المذكورة وبقي ما في داخلها مصونا وأتوا تلك الليلة برجلين أحدهما الطاحوني ويسمونه الخراص والآخر الجزار ويسمونه القصاب فقالوا لنا خذوا من هذا كذا وكذا من الدقيق ومن هذا كذا وكذا من اللحم لاوزان لا أذكرها الآن وعادتهم أن يكون اللحم الذي يعطون بقدر وزن الدقيق وهذا الذي ذكرناه ضيافة أم السلطان وبعد ذلك وصلتنا ضيافة السلطان وسنذكرها ولما كان من غد ذلك اليوم ركبنا الى دار السلطان وسلمنا على الوزير فاعطاني بدرتين كل بدرة من ألف دينار دراهم وقال لي هذه سرشستي (شستي) ومعناه لغسل رأسك وأعطاني خلعة من المرعز وكتب جميع أصحابي وخدا

وغلماني فجعلوا أربعة أصناف الصنف الاول منها أعطي كل واحد منهم مائتي دينار والصنف الثاني أعطي كل واحد منهم مائة وخمسين ديناراً والصنف الثالث أعطي كل واحد مائة دينار والصنف الرابع أعطي كل واحد خمسة وسبعين دينارا وكانوا نحو أربعين وكان جملة ما أعطوه أربعة آلاف دينار ونيفا وبعد ذلك عينت ضيافة السلطان وهي ألف رطل هندية من الدقيق ثلثها من الميرا وهو الدرمك وثلثاها من الخشكار وهو المدهون وألف رطل من اللحم ومن السكر والسمن والسليف والفوفل أرطال كثيرة لا أذكر عددها والالاف من ورق التنبول والرطل الهندي عشرون رطلا من أرطال المغرب وخمسة وعشرون من أرطال مصر وكانت ضيافة خداوندزاده أربعة آلاف رطل من الدقيق ومثلها من اللحم مع ما يناسبها مما ذكرناه

﴿ذكر وفاة بنتي وما فعلوا في ذلك﴾

ولما كان بعد شهر ونصف من مقدمنا توفيت بنت لي سنها دون السنة فاتصل خبر وفاتها بالوزير فأمر أن تدفن في زاوية بناها خارج دروازة بالم بقرب مقبرة هنالك لشيخنا ابراهيم القونوي فدفناها بها وكتب بخبرها الى السلطان فأتاه الجواب في عشي اليوم الثاني وكان بين متصيد السلطان وبين الحضرة مسيرة عشرة أيام وعادتهم أن يخرجوا الى قبر الميت صبيحة الثالث من دفنه ويفرشون جوانب القبر بالبسط وثياب الحرير ويجعلون على القبر الازاهير وهي لا تنقطع هنالك في فصل من الفصول كالياسمين وقل شبه (كل شبو) وهي زهر أصفر وريبول وهو أبيض والنسرين وهو على صنفين أبيض وأصفر ويجعلون أغصان النارنج والليمون بثمارها وان لم يكن فيها ثمار علقوا منها حبات بالخيوط ويصبون على القبر الفواكه اليابسة وجوز النارجيل ويجتمع الناس ويؤتى بالمصاحف فيقرؤن القرآن فاذا ختموا أتوا بماء الجلاب فسقوه الناس ثم يصب عليهم ماء الورد صبا ويعطون التنبول وينصرفون ولما كان صبيحة الثالث من دفن هذه البنت خرجت عند الصبح على العادة واعددت ما تيسر من ذلك كله فوجدت الوزير قد أمر بترتيب ذلك وأمر بسراجة فضربت على القبر وجاء الحاجب شمس الدين الفوشنجي الذي تلقانا

بالسند والقاضي نظام الدين الكرواني وجملة من كبار أهل المدينه ولم آت الا والقوم المذكورون قد أخذوا مجالسهم والحاجب بين أيديهم وهم يقرؤن القرآن فقعدت مع أصحابي بمقربة من القبر فلما فرغوا من القراءة قرأ القراء بأصوات حسان ثم قام القاضي فقرأ رثاء في البنت المتوفاة وثناء على السلطان وعند ذكر اسمه قام الناس جميعاً قياماً فخدموا ثم جلسوا ودعا القاضي دعاء حسنا ثم أخذ الحاجب وأصحابه براميل ماء الورد فصبوه على الناس ثم داروا عليهم باقداح شربة انبات ثم فرقوا عليهم التنبول ثم أتي باحدى عشرة خلعة لي ولاصحابي ثم ركب الحاجب وركبنا معه الى دار السلطان فخدمنا للسرير على العادة وانصرفت الى منزلي فما وصلت الا وقد جاء الطعام من دار المخدومة جهان ماملأ الدار ودور أصحابي وأكلوا جميعاً وأكل المساكين وفضلت الاقراص والحلواء والنبات فأقامت بقاياها أياماً وكان فعل ذلك كله بأمر السلطان وبعد أيام جاء الفتيان من دار المخدومة جهان بالدولة وهي المحفة التي يحمل فيها النساء ويركبها الرجال أيضا وهي شبه السرير سطحها من صفائر الحرير أو القطن وعليها عود شبه الذي على البوجات عندنا معوج من القصب الهندي المغلوق ويحملها ثمانية رجال في نوبتين يستريح أربعة ويحمل أربعة وهذه الدول بالهند كالحمير بديار مصر عليها يتصرف أكثر الناس فمن كان له عبيد حملوه ومن لم يكن له عبيد اكترى رجالا يحملونه وبالبلد منهم جماعة يسيرة يقفون في الاسواق وعند باب السلطان وعند أبواب الناس للكراء وتكون دول النساء مغشاة بغشاء حرير وكذلك كانت هذه الدولة التي أتي الفتيان بها من دار أم السلطان فحملوا فيها جاريتي التي هي أم البنت المتوفاة وبعثت أنا معها عن هدية جارية تركية فأقامت الجارية أم البنت عندهم ليلة وجاءت في اليوم الثاني وقد أعطوها ألف دينار دراهم وأساور ذهب مرصعة وتهليلا من الذهب مرصعا أيضا وقيص كتان مزركشا بالذهب وخلعة حرير مذهبة وتختا باثواب ولما جاءت بذلك كله أعطيته لاصحابي وللتجار الذين لهم على الدين محافظة على نفسي وصونا للعرض لان المخبرين يكتبون الى السلطان بجميع أحوالي

﴿ ذكر احسان السلطان والوزير الي في أيام غيبة السلطان عن الحضرة ﴾

وفي أثناء مقامي أمر السلطان أن يعين لي من القرى ما يكون فائدة خمسة آلاف دينار في السنه فعينها لي الوزير وأهل الديوان وخرجت اليها فمنها قرية تسمي بدلي (بفتح الباء الموحدة وفتح الدال المهملة وكسر اللام) وقرية تسمى بسهي (بفتح البـاء الموحدة والسين المهمل وكسر الهـاء) ونصف قرية تسمى بالرة (بفتح البـاء الموحدة واللام والراء) وهذه القرى على مسافة ستة عشر كروها وهو الميـل بصدى يعرف بصدى هندبت والصدي عندهم مجموع مائة قرية واحواز المدينـة مقسومة اصداء كل صدى له جوطرى وهو شيخ من كفار تلك البـلاد ومتصرف وهو الذى يضم مجابيها وكان قد وصل فى ذلك الوقت سبي من الكفار فبعث الوزير الي عشر جوار منه فاعطيت للذى جاء بهن واحدة منهن فـارضى بذلك وأخـذ أصحابي ثلاثا صـغارا منهن وباقيهن لا أعرف ما انفق لهن والسبي هنالك رخيص الثمن لانهن قذرات لا يعرفن مصالح الحضر والمعلمات رخيصات الاثمان فلا يفتقر أحد الى شراء السبي والكفار ببلاد الهند في بر متصل وبلاد متصلة مع المسلمين والمسلمون غالبون عليهم وانمـا يمتنع الكفار بالجبال والاوعار ولهم غيضات من القصب وقصبهم غير مجوف ويعظم ويلتف بعضه على بعض ولا تؤثر فيـه النار وله قوة عظيمة فيسكنون تلك الغياض وهي لهم مثل السور وبداخلها تكون مواشـيهم وزروعهم ولهـم فيها المياه ممـا يجتمع من ماء المطر فلا يقدر عليهم الا بالعساكر القوية من الرجال الذين يدخلون تلك الغياض ويقطعون تلك القصب بآلات معدة لذلك

﴿ ذكر العيد الذي شهدته أيام غيبة السلطان ﴾

وأظل عيد الفطر والسلطان لم يعد بعد الى الحضرة فلما كان يوم العيد ركب الخطيب على الفيل وقد مهد له علي ظهره شبه السرير وركزت أربعـة أعلام في أركانه الاربعة ولبس الخطيب ثياب السـواد وركب المؤذنون على الفيـلة يكبرون امامه وركب فقهاء المدينـة وقضاتها وكل واحد منهم يستصحب صدقة يتصدق بها حين الخروج الى المصـلى ونصب على المصلى صيوان قطن وفرش ببسط واجتمع الناس ذاكرين لله تعـالى ثم صلى بهم الخطيب وخطب وانصرف الناس الي منازلهم وانصرفنا الى دار السلطان وجعـل الطعام

لحضره الملوك والامراء والاعزة وهم الغرباء وأكلوا وانصرفوا

﴿ ذكر قدوم السلطان ولقائنا له ﴾

ولما كان في رابع شوال نزل السلطان بقصر يسمى تلبت (بكسر التاء المعلوة الاولى وسكون اللام وفتح الباء الموحدة ثم تاء كالاولى) وهي على مسافة سبعة أميال من الحضرة فأمرنا الوزير بالخروج اليه فخرجنا ومع كل انسان هديته من الخيل والجمل والفواكه الخراسانية والسيوف المصرية والمماليك والغنم المجلوبة من بلاد الاتراك فوصلنا الي باب القصر وقد اجتمع جميع القادمين فكانوا يدخلون الى السلطان على قدر مراتبهم ويخلع عليهم ثياب الكتان المزركشة بالذهب ولما وصلت النوبة الى دخلت فوجدت السلطان قاعداً على كرسي فظننته أحد الحجاب حتي رأيت معه ملك الندماء ناصر الدين الكافي الهروى وكنت عرفته أيام غيبة السلطان فخدم الحاجب فخدمت واستقبلنى أمير حاجب وهو ابن عم السلطان المسمي بفيروز وخدمت ثانية لخدمته ثم قال لى ملك الندماء باسم الله مولانا بدر الدين وكانوا يدعوننى بأرض الهند بدر الدين وكل من كان من أهل الطلب انما يقال له مولانا فقربت من السلطان حتى أخذ بيدى وصافحنى وأمسك يدى وجعل يخاطبنى بأحسن خطاب ويقول لى باللسان الفارسي حلت البركة قدومك مبارك اجمع خاطرك اعمل معك من المراحم وأعطيك من الانعام مايسمع به أهل بلادك فيأتون اليك ثم سألنى عن بلادى فقلت له بلاد المغرب فقال لى بلاد عبد المؤمن فقلت له نعم وكان كلما قال لى كلاما جيداً قبلت يده حتي قبلتها سبع مرات وخلع على وانصرفت واجتمع الواردون فمد لهم سماط ووقف على رؤسهم قاضى القضاة صدر الجهان ناصر الدين الخوارزمى وكان من كبار الفقهاء وقاضى قضاة المماليك صدر الجهان كمال الدين الغزنوى وعماد الملك عرض المماليك والملك جلال الدين الكيجي وجماعة من الحجاب والامراء وحضر لذلك خداوندزاده غياث الدين بن عم خداوندزاده قوام الدين قاضى الترمذ الذى قدم معنا وكان السلطان يعظمه ويخاطبه بالاخ وتردد اليه مراراً من بلاده والواردون الذين خلع عليهم في ذلك هم خداوندزاده قوام الدين واخوته ضياء

الدين وعماد الدين وبرهان الدين وابن أخته أمير بخت ابن السيد تاج الدين وكان جده وجيه الدين وزير خراسان وكان خاله علاء الدين أمير هندو وزيرا أيضا والامير هبة الله ابن الفلكي التبريزي وكان أبوه نائب الوزير بالعراق وهو الذي بنى المدرسة الفلكية بتبريز وملك كراي من أولاد بهرام جور (جوبين) صاحب كسرى وهو من أهل جبل بذخشان الذي منه يجلب الياقوت البلخش واللازورد والامير مبارك شاه السمرقندي وأرون بغا البخاري وملك زاده الترمذي وشهاب الدين الكازروني التاجر الذي قدم من تبريز بالهدية الى السلطان فسلب في طريقه

﴿ ذكر دخول السلطان الى حضرته وما أمر لنا به من المراكب ﴾

وفي الغد من يوم خروجنا الى السلطان أعطي كل واحد منا فرسا من مراكب السلطان عليه سرج ولجام محليان وركب السلطان لدخول حضرته وركبنا في مقدمته مع صدر الجهان وزينت الفيلة أمام السلطان وجعلت عليها الاعلام ورفعت عليها ستة عشر شطرا منها مزركشة ومنها مرصعة ورفع فوق رأس السلطان شطر منها وحملت امامه الغاشية وهي ستارة مرصعة وجعل على بعض الفيلة رعادات صغار فلما وصل السلطان الى قرب المدينة رمي في تلك الرعادات بالدنانير والدراهم مختلطة والمشاة بين يدي السلطان وسواهم ممن حضر يلتقطون ذلك ولم يزالوا ينثرونها الى ان وصلوا الى القصر وكان بين يديه آلاف من المشاة على الاقدام وصنعت قباب الخشب المكسوة بثياب الحرير وفيها المغنيات حسبما ذكرنا ذلك

﴿ ذكر دخولنا اليه وما أنعم به من الاحسان والولاية ﴾

ولما كان يوم الجمعة ثاني يوم دخول السلطان أتينا باب المشور فجلسنا في سقائف الباب الثالث ولم يكن الاذن حصل لنا بالدخول وخرج الحاجب شمس الدين الفوشنجي فأمر الكتاب ان يكتبوا أسماءنا وأذن لهم في دخولنا ودخول بعض أصحابنا وعين للدخول معي ثمانية فدخلنا ودخلوا معنا ثم جاؤا بالبدر والقبان وهو الميزان وقعد قاضي القضاة والكتاب ودعوا من بالباب من الاعزة وهم الغرباء فعينوا لكل انسان نصيبه من تلك

البدر فحصل لي منها خمسة آلاف دينار وكان مبلغ المال مائة ألف دينار تصدقت به أم السلطان لما قدم ابنها وانصرفنا ذلك اليوم وكان السلطان بعد ذلك يستدعينا للطعام بين يديه ويسأل عن أحوالنا ويخاطبنا بأجمل كلام ولقد قال لنا في بعض الايام أنتم شرفتمونا بقدومكم فما نقدر على مكافاتكم فالكبير منكم مقام والدي والكهل مقام أخي والصغير مقام ولدي ومافي ملكي أعظم من مدينتي هذه أعطيكم اياها فشكرناه ودعونا له ثم بعد ذلك أمر لنا بالمرتبات فعين لي اثنى عشر ألف دينار في السنة وزادني قريتين على الثلاث التي أمر لي بها قبل احداها قرية جوزة والثانية قرية ملك بور وفي بعض الايام بعث لنا خداوند زاده غياث الدين وقطب الملك صاحب السند فقالا لنا ان خوند عالم يقول لكم من كان منكم يصلح للوزارة أو الكتابة أو الامارة أو القضاء أو التدريس أو المشيخة أعطيته ذلك فسكت الجميع لانهم كانوا يريدون تحصيل الاموال والانصراف الى بلادهم وتكلم أمير بخت ابن السيد تاج الدين الذي تقدم ذكره فقال أما الوزارة فميراثي وأما الكتابة فشغلي وغير ذلك لا أعرفه وتكلم هبة الله بن الفلكي فقال مثل ذلك وقال لي خداوند زاده بالعربي ما تقول أنت ياسيدي وأهل تلك البلاد ما يدعون العربي الا بالتسويد وبذلك يخاطبه السلطان تعظيما للعرب فقلت له أما الوزارة والكتابة فليست شغلي وأما القضاء والمشيخة فشغلي وشغل آبائي وأما الامارة فتعلمون ان الاعاجم ما أسلمت الا بأسياف العرب فلما بلغ ذلك الى السلطان أعجبه كلامي وكان بهزار اسطون يأكل الطعام فبعث عنا فأكلنا بين يديه وهو يأكل ثم انصرفنا الى خارج هزار اسطون فقعد أصحابي وانصرفت بسبب دمل كان يمنعني الجلوس فاستدعانا السلطان ثانية فحضر أصحابي واعتذروا له عني وجئت بعد صلاة العصر فصليت بالمشور المغرب والعشاء الآخرة ثم خرج الحاجب فاستدعانا فدخل خداوند زاده ضياء الدين وهو أكبر الاخوة المذكورين فجعله السلطان أمير داد وهو من الامراء الكبار فجلس بمجلس القاضي فمن كان له حق على أمير أو كبير أحضره بين يديه وجعل مرتبه على هذه الخطة خمسين ألف دينار في السنة عين له مجاشر فائدها ذلك المقدار فأمر له

بخمسين ألف تنكة يد و خلع عليـه خلعة حرير مزركشة تسمي صورة الشير ومعناه صورة السبع لانه يكون في صدرها وظهرها صورة سـبع وقد خيط في باطن الخلعـة بطاقة بمقدار ما زركش فيها من الذهب وأمر له بفرس من الجنس الاول والخيل عندهم أربعـة أجناس وسروجهم كسروج أهل مصر ويكسون أعظمها بالفضة المذهبة ثم دخل أمير بخت فأمره أن يجلس مع الوزير في مسنده ويقف على محاسبات الدواوين وعين له مرتبا أربعين ألف دينار في السنة أعطي مجاشر فائدها بمقدار ذلك وأعطي أربعـين ألف تنكة يد وأعطي فرسا مجهزا وخلع عليه كخلعة الذي قبله ولقب شرف الملك ثم دخـل هبة الله بن الفلكي فجعله رسول دار ومعناه حاجب الارسال وعين له مرتبا أربعـين ألف دينار في السنة أعطي مجاشر يكون فائدها بمقدار ذلك وأعطي أربعة وعشرين ألف تنكة يد وأعطي فرسا مجهزا وخلعة وجعل لقبه بهاء الملك ثم دخلت فوجدت السلطان على سطح القصر مستندا الى السرير والوزير خواجه جهان بين يديه والملك الكبير قبولة واقف بين يديه فلما سلمت عليـه قال لي الملك الكبير اخـدم فقد جعلك خوند عالم قاضي دار الملك دهلي وجعل مرتبك اثني عشر ألف دينار في السنة وعين لك مجاشر بمقـدارها وأمر لك باثني عشر ألفا نقدا تأخذها من الخزانة غدا ان شاء الله واعطاك فرسا بسرجه ولجامه وأمر لك بخلعة محاربين وهي التي يكون في صدرها وظهرها شكل محراب فخدمت وأخذ بيدى فتقدم بي الي السلطان فقال لي السلطان لا تحسب قضاء دهلي من أصغر الاشغال هو أكبر الاشغال عندنا وكنت أفهم قوله ولا أحسن الجواب عنـه وكان السلطان يفهم العربي ولا يحسـن الجواب عنه فقلت له يامولانا أنا على مذهب مالك وهؤلاء حنفيـة وأنا لا أعرف اللسان فقال لي قد عينت بهاء الدين الملتاني وكمال الدين البجنورى ينوبان عنك ويشاورانك وتكون أنت تسجل على العقود وأنت عندنا بمقام الولد فقلت له بل عبدكم وخديمكم فقال لي باللسان العربي بل أنت سيدنا ومخدومنا تواضعا منه وفضلا وايناسا ثم قال لشرف الملك أمـير بخت ان كان الذى ترتب له لا يكفيه لانه كثير الانفاق فانا أعطيه زاوية ان قدر على إقامة حال الفقراء وقال قل له هذا بالعربي وكان يظن انه يحسن العربي ولم يكن كذلك وفهم

السلطان ذلك فقال له برو ويكجا بخسبي (بخسبي) وان حكاية براو بكوي وتفهيم كني (بكني) تا فردا ان شاء الله بيش من بيايي (و) جواب أو بكري (بكوي) معناه امشوا الليلة فارقدوا في موضع واحد وفهمه هذه الحكاية فاذا كان بالغد ان شاء الله تجيء الي وتعلمني بكلامه فانصرفنا وذلك في ثلث الليل وقد ضربت النوبة والعادة عندهم اذا ضربت لا يخرج أحد فانتظرنا الوزير حتى خرج وخرجنا معه ووجدنا أبواب دهلي مسدودة فبتنا عند السيد أبي الحسن العبادي العراقي بزقاق يعرف بسرابور خان وكان هذا الشيخ يتجر بمال السلطان ويشتري له الاسلحة والامتعة بالعراق وخراسان ولما كان بالغد بعث عنا فقبضنا الاموال والخيل والخلع وأخذ كل واحد منا البدرة بالمال فحملها على كاهله ودخلنا كذلك على السلطان فخدمنا وأتينا بالافراس فقبلنا حوافرها بعد ان جعلت عليها الخرق وقدناها بأنفسنا الى باب دار السلطان فركبناها وذلك كله عادة عندهم ثم انصرفنا وأمر السلطان لاصحابي بألفي دينار وعشر خلع ولم يعط لأصحابي أحد سواي شيئاً وكان أصحابي لهم رواء ومنظر فأعجبوا السلطان وخدموا بين يديه وشكرهم

﴿ ذكر عطاء ثان امر لي به وتوقفه مدة ﴾

وكنت يوماً بالمشور بعد أيام من توليتي القضاء والاحسان الي وأنا قاعد تحت شجرة هنالك والى جانبي مولانا ناصر الدين الترمذي العالم الواعظ فأتى بعض الحجاب فدعى مولانا ناصر الدين فدخل الى السلطان فخلع عليه وأعطاه مصحفاً مكللاً بالجوهر ثم أتاني بعض الحجاب فقال اعطني شيئاً وآخذ لك خط خرد باثني عشر ألفاً أمر لك بها خوند عالم فلم أصدقه وظننته يريد الحيلة علي وهو مجد في كلامه فقال بعض الاصحاب أنا أعطيه فأعطاه دينارين أو ثلاثة وجاء بخط خرد ومعناه الخط الاصغر مكتوباً بتعريف الحاجب ومعناه أمر خوند عالم ان يعطي من الخزانة الموفورة كذا لفلان بتبليغ فلان أي بتعريفه ويكتب المبلغ اسمه ثم يكتب على تلك البراءة ثلاثة من الامراء وهم الخان الاعظم قطلوخان معلم السلطان والخريطة دار وهو صاحب خريطة الكاغد والاقلام والامير نكبية الدوادار صاحب الدوات فاذا كتب كل واحد منهم خطه يذهب بالبراءة الى ديوان الوزارة

فينسخها كتاب الديوان عندهم ثم تثبت في ديوان الاشراف ثم تثبت في ديوان النظر ثم تكتب البروانة وهي الحكم من الوزير للخازن بالعطاء ثم يثبتها الخازن في ديوانه ويكتب تلخيصا في كل يوم بمبلغ ما أمر به السلطان ذلك اليوم من المال ويعرضه عليه فمن أراد التعجيل بعطائه أمر بتعجيله ومن أراد التوقيف وقف له ولكن لا بد من عطاء ذلك ولو طالت المدة فقد توقفت هذه الاثنا عشر ألفا ستة أشهر ثم أخذتها مع غيرها حسبما يأتي وعادتهم اذا أمر السلطان باحسان لاحد يحط منه العشر فمن أمر له مثلا بمائة ألف أعطي تسعين ألفا أو بعشرة آلاف أعطي تسعة آلاف

﴿ ذكر طلب الغرماء مالهم قبلي ومدحي للسلطان وأمره بخلاص ديني وتوقف ذلك مدة ﴾

وكنت حسبما ذكرته قد استدنت من التجار مالا أنفقته في طريقي وما صنعت به الهدية للسلطان وما أنفقته في اقامتي فلما أرادوا السفر الى بلادهم ألحوا علي في طلب ديونهم فمدحت السلطان بقصيدة طويلة أولها (طويل)

اليك أمير المؤمنين المبجلا * أتينا نجد السير نحوك في الفلا
فجئت محلا من علائك زائرا * ومغناك كهف للزيارة أهلا
فلو ان فوق الشمس للمجد رتبة * لكنت لأعلاها اماما مؤهلا
فأنت الامام الماجد الاوحد الذي * سجاياه حتما أن يقول ويفعلا
ولي حاجة من فيض جودك ارتجي * قضاها وقصدي عند مجدك سهلا
أأذكرها أم قد كفاني حياؤكم * فان حياكم ذكره كان أجملا
فعجل لمن وافي محلك زائرا * قضا دينه ان الغريم تعجلا

فقدمتها بين يديه وهو قاعد على كرسي فجعلها على ركبته وأمسك طرفها بيده وطرفها الثاني بيدي وكنت اذا أكملت بيتا منها أقول لقاضي القضاة كمال الدين الغزنوي بين معناه لخوند عالم فيبينه ويعجب السلطان وهم يحبون الشعر العربي فلما بلغت الى قولي فعجل لمن وافي البيت قال مرحمة ومعناه ترحمت عليك فأخذ الحجاب حينئذ بيدي ليذهبوا بي الي

موقفهم وأخدم على العادة فقال السلطان اتركوه حتى يكملها فأكملتها وخدمت وهنأني الناس بذلك وأقمت مدة وكتبت رقعة وهم يسمونه عرض داشت فدفعته الى قطب الملك صاحب السند فدفعه للسلطان فقال له امض الى خواجه جهان فقل له يعطى دينه فمضى اليه وأعلمه فقال نعم وأبطأ ذلك أياما وأمره السلطان فى خلالها بالسفر الى دولة آباد وفي أثناء ذلك خرج السلطان الى الصيد وسافر الوزير فلم آخذ شيأ منها الا بعد مدة والسبب الذى توقف به عطاؤها اذكره مستوفي وهو انه لما عزم الذين كان لهم على الدين الى السفر قلت لهم اذا أنا أتيت دار السلطان فدرهونى على العادة في تلك البلاد لعلمي أن السلطان متى يعلم بذلك خلصهم وعادتهم أنه متي كان لاحد دين على رجل من ذوي العناية وأعوزه خلاصه وقف له بباب دار السلطان فاذا أراد الدخول قال له دروهى السلطان وحق رأس السلطان ما تدخل حتى تخلصني فلا يمكنه أن يبرح من مكانه حتى يخلصه أو يرغب اليه فى تأخيره فاتفق يوما ان خرج السلطان الى زيارة قبر أبيه ونزل بقصر هنالك فقلت لهم هذا وقتكم فلما أردت الدخول وقفوا الى بباب القصر فقالوا الى دروهى السلطان ما تدخل حتى تخلصنا وكتب كتاب الباب بذلك الى السلطان فخرج حاجب قصة شمس الدين وكان من كبار الفقهاء فسألهم لاى شيء درهتموه فقالوا لنا عليه الدين فرجع الى السلطان فاعلمه بذلك فقال له اسألهم كم مبلغ الدين فسألهم فقالوا له خمسة وخمسون ألف دينار فعاد اليه فاعلمه فأمره أن يعودوا اليهم ويقول لهم ان خوند عالم يقول لكم المال عندي وأنا أنصفكم منه فلا تطلبوه به وأمر عماد الدين السمناني وخداوند زاده غياث الدين أن يقعدوا بهزار اسطون ويأتى أهل الدين بعقودهم وينظروا اليها ويحققوها ففعلا ذلك وأتي الغرماء بعقودهم فدخلا الي السلطان وأعلماه بثبوت العقود فضحك وقال ممازحا أنا أعلم أنه قاض جهز شغله فيها ثم أمر خداوند زاده ان يعطيني ذلك من الخزانة فطمع فى الرشوة على ذلك وامتنع أن يكتب خط خرد فبعث اليه مائتى تنكة فردها ولم يأخذها وقال لى عنه بعض خدامه انه طلب خمسمائة تنكة فامتنعت من ذلك وأعلمت عميد الملك بن عماد الدين السمناني بذلك فأعلم به أباه وعلمه الوزير وكانت بينه

و بين خداوندزاده عداوة فاعلم السلطان بذلك وذكر له كثيراً من أفعال خداوندزاده فتغير خاطر السلطان عليه فأمر بحبسه في المدينة وقال لاي شيء أعطاه فلان ما أعطاه ووقفوا ذلك حتى يعلم هل يعطي خداوندزاده شيئاً اذا منعته أو يمنعه اذا أعطيته فبهذا السبب توقف عطاء ديني

﴿ ذكر خروج السلطان الى الصيد وخروجي معه وما صنعت في ذلك ﴾

ولما خرج السلطان الى الصيد خرجت معه من غير تربص وكنت قد أعددت ما يحتاج اليه وعملت ترتيب أهل الهند فاشتريت سراجة وهي أفراج وضربها هنالك مباح ولا بد منها لكبار الناس وتمتاز سراجة السلطان بكونها حمراء وسواها بيضاء منقوشة بالازرق واشتريت الصيوان وهو الذي يظلل به داخل السراجة ويرفع على عمودين كبيرين ويحمل ذلك الرجال على أعناقهم ويقال لهم اليكوانية والعادة هنالك أن يكتري المسافر اليكوانية وقد ذكرناهم ويكترى من يسوق له العشب اعلاف الدواب لانهم لا يطعمونها التبن ويكتري الكهارين وهم الذين يحملون أواني المطبخ ويكتري من يحمله في الدولة وقد ذكرناها ويحملها فارغة ويكترى الفراشين وهم الذين يضربون السراجة ويفرشونها ويرفعون الاحمال على الجمال ويكترى الدوادوية وهم الذين يمشون بين يديه ويحملون المشاعل بالليل فاكتريت أنا جميع من احتجت له منهم وأظهرت القوة والهمة وخرجت يوم خروج السلطان وغيري أقام بعده اليومين والثلاثة فلما كان بعد العصر من يوم خروجه ركب الفيل وقصده أن يتطلع على أحوال الناس ويعرف من تسارع الى الخروج ومن أبطأ وجلس خارج السراجة على كرسي فجئت وسلمت ووقفت في موقفي بالميمنة فبعث الى الملك الكبير قبولة سرجامدار وهو الذي يشرد الذباب عنه فأمرني بالجلوس عناية بي ولم يجلس في ذلك اليوم سوائي ثم أتي بالفيل والصق به سلم فركب عليه ورفع الشطر فوق رأسه وركب معه الخواص وجال ساعة ثم عاد الى السراجة وعادته اذا ركب أن يركب الامراء أفواجا كل أمير بفوجه وعلاماته وطبوله وأنفاره وصرناياته ويسمون ذلك المراتب ولا يركب أمام السلطان الا الحجاب وأهل الطرب

والطبالة الذين يتقلدون الاطبال الصغار والذين يضربون الصرنايات ويكون عن يمين السلطان نحو خمسة عشر رجلا وعن يساره مثل ذلك منهم قضاة القضاة والوزير وبعض الامراء الكبار وبعض الاعزة وكنت أنا من أهل ميمنته ويكون بين يديه المشاؤون والادلاء ويكون خلفه علاماته وهي من الحرير المذهب والاطبال على الجمال وخلف ذلك مماليكه وأهل دخلته وخلفهم الامراء وجميع الناس ولا يعلم أحد أين يكون النزول فاذا أمر السلطان بمكان يعجبه النزول به أمر بالنزول ولا تضرب سراجة أحد حتى تضرب سراجته ثم يأتي الموكلون بالنزول فينزلون كل أحد في منزله وفي خلال ذلك ينزل السلطان على نهر او بين أشجار وتقدم بين يديه لحوم الاغنام والدجاج المسمنة والكراكي وغيرها من أنواع الصيد ويحضر أبناء الملوك وفي يد كل واحد منهم سفود ويوقدون النار ويشترون ذلك ويؤتى بسراجة صغيرة فتضرب للسلطان ويجلس من معه من الخواص خارجها ويؤتي بالطعام ويستدعي من شاء فيأكل معه وكان في بعض تلك الايام وهو بداخل السراجة يسأل عمن بخارجها فقال له السيد ناصر الدين مطهر الاوهرى أحد ندمائه ثم فلان المغربي وهو متغير فقال لماذا فقال بسبب الدين الذي عليه وغرماؤه يلحون في الطلب وكان خوند عالم قد أمر الوزير باعطائه فسافر قبل ذلك فان أمر مولانا ان يصبر أهل الدين حتى يقدم الوزير أو أمر بانصافهم وحضر لهذا الملك دولة شاه وكان السلطان يخاطبه بالعم فقال ياخوند عالم كل يوم هو يكلمنى بالعربية ولا أدري ما يقول ياسيدى ناصر الدين ماذا أو قصد ان يكرر ذلك الكلام فقال يتكلم لاجل الدين الذي عليه فقال السلطان اذا دخلنا دار الملك فامض أنت ياأومار ومعناه ياعم الى الخزانة فاعطه ذلك المال وكان خداوندزاده حاضرا فقال ياخوند عالم انه كثير الانفاق وقد رأيته ببلادنا عند السلطان طرمشيرين وبعد هذا الكلام استحضرني السلطان للطعام ولا علم عندى بما جرى فلما خرجت قال لى السيد ناصر الدين اشكر للملك دولة شاه وقال لي الملك دولة شاه اشكر لخداوندزاده وفى بعض تلك الايام ونحن مع السلطان في الصيد ركب في المحلة وكان طريقه على منزلى وأنا معه فى الميمنة وأصحابي فى الساقة وكان لى خباء عند السراجة فوقف أصحابي

عندها وسلموا على السلطان فبعث عماد الملك وملك دولة شاه ليسألا الامن تلك الاخبية والسراجة فقيل لهما الفلان فأخبراه بذلك فتبسم فلما كان بالغد نفذ الامر ان أعود أنا وناصر الدين مطهر الاوهري وابن قاضي مصر وملك صبيح الى البلد فخلع علينا وعدنا الى الحضرة

﴿ ذكر الجمل الذي أهديته للسلطان ﴾

وكان السلطان فى تلك الايام سألنى عن الملك الناصر هل يركب الجمل فقلت له نعم يركب المهاري فى أيام الحج فيسير الى مكة من مصر فى عشرة أيام ولكن تلك الجمال ليست كجمال هذه البلاد وأخبرته أن عندى جملا منها فلما عدت الى الحضرة بعثت عن بعض عرب مصر فصور لى صورة الكور الذى تركب المهارى به من القير وأريتها بعض النجارين فعمل الكور وأتقنه وكسوته بالملف وصنعت له ركبا وجعلت على الجمل عباة حسنة وجعلت له خطام حرير وكان عندى رجل من أهل اليمن يحسن عمل الحلواء فصنع منها ما يشبه التمر وغيره وبعثت الجمل والحلواء الى السلطان وأمرت الذي حملها أن يدفعها على يد ملك دولة شاه وبعثت له بفرس وجملين فلما وصله ذلك دخل على السلطان وقال ياخوند عالم رأيت العجب قال وما ذلك قال فلان بعث جملا عليه سرج فقال ائتوا به فادخل الجمل داخل السراجة وأعجب به السلطان وقال لراجلى اركبه فركبه ومشاه بين يديه وأمر له بمائتى دينار دراهم وخلعة وعاد الرجل الى فاعلمنى فسرنى ذلك وأهديت له جملين بعد عودته الى الحضرة

﴿ ذكر الجملين اللذين أهديتهما اليه والحلواء وأمره بخلاص دينى وما تعلق بذلك ﴾

ولما عاد الى راجلى الذى بعثته بالجمل فأخبرنى بما كان من شأنه صنعت كورين اثنين وجعلت مقدم كل واحد ومؤخره مسكوا بصفائح الفضة المذهبة وكسوتهما بالملف وصنعت رسنا مصفحا بصفائح الفضة وجعلت لهما جلين من زردخانة مبطنين بالكمخا وجعلت للجملين الخلاخيل من الفضة المذهبة وصنعت أحد عشر طيفورا وملأتها بالحلواء وغطيت كل طيفور بمنديل حرير فلما قدم السلطان من الصيد وقعد ثانى يوم

قدومه بموضع جلوسه العام غدوت عليه بالجمال فأمر بها فحركت بين يديه وهرولت فطار خلخال أحدها فقال لبهاء الدين بن الفلكي بايل ورداري معنى ذلك ارفع الخلخال فرفعه ثم نظر الى الطيافير فقال جداري (جهداري) درآن طبقها حلوا است معنى ذلك ما معك في تلك الاطباق حلواء هي فقلت له نعم فقال للفقيه ناصر الدين الترمذي الواعظ ما أكلت قط ولا رأيت مثل الحلواء التي بعثها الينا ونحن بالمعسكر ثم أمر بتلك الطيافير ان ترفع لموضع جلوسه الخاص فرفعت وقام الى مجلسه واستدعاني وأمر بالطعام فأكلت ثم سألني عن نوع من الحلواء الذي بعثت له قبل فقلت له ياخوندعالم تلك الحلواء انواعها كثيرة ولا أدري عن أي نوع تسألون منها فقال ائتوا بتلك الاطباق وهم يسمون الطيفور طبقا فأتوا بها وقدموها بين يديه وكشفوا عنها فقال عن هذا سألتك وأخذ الصحن الذي هي فيه فقلت له هذه يقال لها المقرصة ثم أخذ نوعا آخر فقال وما اسم هذه فقلت له هي لقيمات القاضي وكان بين يديه تاجر من شيوخ بغداد يعرف بالسامري وينتسب الى آل العباس رضي الله تعالى عنه وهو كثير المال ويقول له السلطان والدي فحسدني وأراد أن يخجلني فقال ليست هذه لقيمات القاضي بل هي هذه وأخذ قطعة مني التي تسمى جلد الفرس وكان بازائه ملك الندماء ناصر الدين الكافي الهروي وكان كثيرا ما يمازح هذا الشيخ بين يدي السلطان فقال له ياخواجة أنت تكذب والقاضي يقول الحق فقال له السلطان وكيف ذلك فقال ياخوندعالم هو القاضي وهي لقيماته فانه أتي بها فضحك السلطان وقال صدقت فلما فرغنا من الطعام أكل الحلواء ثم شرب الفقاع بعد ذلك وأخذنا التنبول وانصرفنا فلم يكن غير هنيهة وأتاني الخازن فقال ابعث أصحابك يقبضون المال فبعثتهم وعدت الى داري بعد المغرب فوجدت المال بها وهو ثلاث بدر فيها ستة آلاف ومائتان وثلاث وثلاثون تنكة وذلك صرف الخمسة والخمسين ألفا التي هي دين علي وصرف الاثنى عشر ألفا التي أمر لي بها فيما تقدم بعد حط العشر على عادتهم وصرف التنكة ديناران ونصف دينار من ذهب المغرب

﴿ ذكر خروج السلطان وأمره لي بالاقامة بالحضرة ﴾

وفي تاسع جمادى الاولى خرج السلطان برسم قصد بلاد المعبر وقتال القائم بها وكنت قد خلصت أصحاب الدين وعزمت على السفر وأعطيت مرتب تسعة أشهر للكهارين والفراشين والكيوانية والدوادوية وقد تقدم ذكرهم فخرج الامر باقامتي في جملة ناس وأخذ الحاجب خطوطنا بذلك لتكون حجة له وتلك عادتهم خوفا من أن ينكر المبلغ وأمر لى بستة آلاف دينار دراهم وأمر لابن قاضي مصر بعشرة آلاف وكذلك كل من أقام من الاعزة وأما البلديون فلم يعطوا شيئاً وأمر لى السلطان أن أتولى النظر في مقبرة السلطان قطب الدين الذي تقدم ذكره وكان السلطان يعظم تربته تعظيما شديداً لانه كان خديماً له ولقد رأيته اذا أتي قبره يؤخذ نعله فيقبله ويجعله فوق رأسه وعادتهم أن يجعلوا نعل الميت عند قبره فوق متكأة وكان اذا وصل القبر خدم له كما كان يخدم أيام حياته وكان يعظم زوجته ويدعوها بالاخت وجعلها مع حرمه وزوجها بعد ذلك لابن قاضي مصر واعتني به من أجلها وكان يمضي لزيارتها في كل جمعة ولما خرج السلطان بعث عنا للوداع فقام ابن قاضي مصر فقال أنا لا أودع ولا أفارق خوندعالم فكان له في ذلك الخير فقال له السلطان امض فتجهز للسفر وقدمت بعده للوداع وكنت أحب الاقامة ولم تكن عاقبتها محمودة فقال مالك من حاجة فأخرجت بطاقة فيها ست مسائل فقال لى تكلم بلسانك فقلت له إن خوندعالم أمر لى بالقضاء وما قعدت لذلك بعد وليس مرادي من القضاء الا حرمته فأمرني بالقعود للقضاء وقعود النائبين معي ثم قال لي إيه فقلت وروضة السلطان قطب الدين ماذا أفعل بها فاني رتبت فيها أربعمائة وستين شخصاً ومحصول أوقافها لا يفي بمرتباتهم وطعامهم فقال للوزير پنجاه هزار ومعناه خمسون ألفاً ثم قال لابد لك من غلة بدية يعنى أعطه مائة ألف من الغلة وهي القمح والارز ينفقها في هذه السنة حتى تأتي غلة الروضة والمن عشرون رطلا مغربية ثم قال لى وماذا أيضا فقلت ان أصحابي سجنوا بسبب القري التي أعطيتموني فاني عوضتها بغيرها فطلب أهل الديوان ماوصلني منها أو الاستظهار بأمر خوندعالم أن يرفع عني ذلك فقال كم وصلك منها فقلت خمسة آلاف دينار فقال هي انعام عليك فقلت له وداري التي أمر تم لى بها مفتقرة الى البناء فقال للوزير

عمارة كنيدأي معناه عمروها ثم قال لي ديكر نمـاند فقلت له معناه هل بقي لك كلام فقال
لي وصية ديكر هست معناه أوصيك أن لا تأخذ الدين لئلا تطلب فلا تجد من يبلغ خبرك الى
أنفق على قدر ما أعطيتك قال الله تعـالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل
البسط وكلوا واشربوا ولا تسرفوا والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقـتروا وكان بين
ذلك قواما فأردت أن أقبل قدمه فمنعني وأمسك رأسي بيده فقبلتها وانصرفت وعدت الي
الحضرة فاشتغلت بعمارة داري وأنفقت فيها أربعـة آلاف دينار أعطيت منها من الديوان
ســتمائة دينار وزدت عليها الباقي وبنيت بازائها مسجدا واشتغلت بترتيب مقبرة السلطان
قطب الدين وكان السلطان قد أمر ان تبنى عليه قبـة يكون ارتفاعها في الهواء مائة ذراع
بزيادة عشرين ذراعا على ارتفاع القبـة المبنية على قازان ملك العراق وأمر ان تشـتري
ثلاثون قرية تكون وقفا عليها وجعلها بيدي على ان يكون لي العشر من فائدها على العادة

﴿ ذكر ما فعلته في ترتيب المقبرة ﴾

وعادة أهل الهند ترتيب الأموات ترتيبا كترتيبهم بقيـد الحياة ويؤتي بالفيلة والخيـل
فتربط عند باب التربة وهي مزينة فرتبت أنا في هـذه التربة بحسب ذلك ورتبت من قراء
القرآن مائة وخمسين وهم يسمونهم الختميين ورتبت من الطلبة ثمـانين ومن المعيـدين
ويسمونهم المكررين ثمـانية ورتبت لها مدرسا ورتبت من الصوفية ثمانين ورتبت الامام
والمؤذنين والقراء بالاصوات الحسان والمداحين وكتاب الغيبـة والمعرفين وجميع هؤلاء
يعرفون عندهم بالارباب ورتبت صنفا آخر يعرفون بالحاشية وهم الفراشون والطباخون
والدوادوية والابدارية وهم السقاؤون والشربدارية الذين يسقون الشربة والتنبول دارية
الذين يعطون التنبول والسلحـدارية والنيزدارية والشـطرداريه والطشـتدارية
والحجاب والنقباء فكان جميعهـم أربعمائة وسـتين وكان السلطان أمر ان يكون الطعـام
بها كل يوم اثنى عشر منا من الدقيق ومثلها من اللحم فرأيت ان ذلك قليل والزرع الذي
أمر به كثير فكنت أنفق كل يوم خمسة وثلاثين منا من الدقيق ومثلها من اللحم مع ما يتبع
ذلك من السكر والنبات والسمن والتنبول وكنت أطعم المرتبين وغيرهم من صادر ووارد

به كان الغلاء شديدا فارتفق الناس بهذا الطعام وشاع خبره وسافر الملك صبيح الى السلطان بدولة آباد فسأله عن حال الناس فقال له لو كان بدهلى اثنان مثل فلان لما اشتكا الجهد فاعجب ذلك السلطان وبعث الى بخلعة من ثيابه وكنت أصنع في المواسم وهي العيدان والمولد الكريم ويوم عاشوراء وليلة النصف من شعبان ويوم وفاة السلطان قطب الدين مائة من الدقيق ومثلها لحما فيأكل منها الفقراء والمساكين وأما أهل الوظيفة فيجعل امام كل انسان منهم ما يخصه ولنذكر عادتهم في ذلك

﴿ ذكر عادتهم في اطعام الناس فى الولائم ﴾

وعادتهم ببلاد الهند وببلاد السرا انه اذا فرغ من أكل الطعام في الوليمة جعل أمام كل انسان من الشرفاء والفقهاء والمشايخ والقضاة وعاء شبه المهد له أربع قوائم منسوج سطحه من الخوص وجعل عليه الرقاق ورأس غنم مشوى وأربعة أقراص معجونة بالسمن مملوءة بالحلواء الصابونية مغطاة بأربع قطع من الحلواء كأنها الآجر وطبقا صغيراً مصنوعا من الجلد فيه الحلواء والسموسك ويغطى ذلك الوعاء بثوب قطن جديد ومن كان دون من ذكرناه جعل أمامه نصف رأس غنم ويسمونه الزلة ومقدار النصف مما ذكرناه ومن كان دون هؤلاء أيضاً جعل أمامه مثل الربع من ذلك ويرفع رجال كل أحد ما جعل أمامه وأول ما رأيتهم يصنعون هذا بمدينة السرا حضرة السلطان أوزبك فامتنعت أن يرفع رجالى ذلك اذ لم يكن لي به عهد وكذلك يبعثون أيضا لدار كبراء الناس من طعام الولائم

﴿ ذكر خروجي الى هزار أمروها ﴾

وكان الوزير قد أعطاني من الغلة المأمور بها للزاوية عشرة آلاف من ونفذ لي الباقي في هزار أمروها وكان والى الخراج بها عزيز الخمار وأميرها شمس الدين البذخشاني فبعثت رجالى فأخذوا بعض الاحالة وتشكوا من تعسف عزيز الخمار فخرجت بنفسي لاستخلاص ذلك وبين دهلي وهذه العمالة ثلاثة أيام وكان ذلك أوان نزول المطر فخرجت في نحو ثلاثين من أصحابي واستصحبت معي أخوين من المغنين المحسنين يغنيان لي فى الطريق فوصلنا الي بلدة بجنور وضبط اسمها (بكسر الباء الموحدة وسكون الجيم وفتح

النون وآخره راء) فوجدت بها أيضاً ثلاثة إخوة من المغنيين فاستصحبتهم فكانوا يغنون لي نوبة والآخران نوبة ثم وصلنا الى أمروها وهي بلدة صغيرة حسنة فخرج عمالها للقائي وجاء قاضيها الشريف أمير علي وشيخ زاويتها وأضافاني معاً ضيافة حسنة وكان عزيز الخمار بموضع يقال له أفغانبور على نهر السرو وبيننا وبينه النهر ولا معدية فيه فأخذنا الاثقال في معدية صنعناها من الخشب والنبات وجزنا في اليوم الثاني وجاء نجيب أخو عزيز في جماعة من أصحابه وضرب لنا سراجة ثم جاء أخوه الى الوالي وكان معروفا بالظلم وكانت القرى التي في عمالته ألفا وخمسمائة قرية ومجباها ستون لكا في السنة له فيها نصف العشر ومن عجائب النهر الذي نزلنا عليه انه لا يشرب منه أحد في أيام نزول المطر ولا تسقى منه دابة ولقد أقمنا عليه ثلاثا فما غرف منه أحد غرفة ولا كدنا نقرب منه لانه ينزل من جبل قراجيل التي بها معادن الذهب ويمر على الحشائش المسمومة فمن شرب منه مات وهذا الجبل متصل مسيرة ثلاثة أشهر وينزل منه الى بلاد تبت حيث غزلان المسك وقد ذكرنا ما اتفق على جيش المسلمين بهذا الجبل وبهذا الموضع جاء الى جماعة من الفقراء الحيدرية وعملوا السماع وأوقدوا النيران فدخلوها ولم تضرهم وقد ذكرنا ذلك وكانت قد نشأت بين أمير هذه البلاد شمس الدين البذخشاني وبين واليها عزيز الخمار منازعة وجاء شمس الدين لقتاله فامتنع منه بداره وبلغت شكاية أحدهما الوزير بدهلي فبعث الي الوزير والى الملك شاه أمير المماليك بأمروها وهم أربعة آلاف مملوك للسلطان والى شهاب الدين الرومي أن ننظر في قضيتهما فمن كان على الباطل بعثناه مثقفا الى الحضرة فاجتمعوا جميعا بمنزلي وادعى عزيز على شمس الدين دعاوى منها أن خديما له يعرف بالرضي الملتاني نزل بدار خازن عزيز المذكور فشرب بها الخمر وسرق خمسة آلاف دينار من المال الذي عند الخازن فاستفهمت الرضي عن ذلك فقال لي ما شربت الخمر منذ خروجي من ملتان وذلك ثمانية أعوام فقلت له أو شربتها بملتان قال نعم فأمرت بجلده ثمانين وسجنته بسبب الدعوى للوث ظهر عليه وانصرفت عن أمروها فكانت غيبتي نحو شهرين وكنت في كل يوم أذبح لاصحابي بقرة وتركت أصحابي ليأتوا بالزرع المنفذ

على عزيز وحمله عليه فوزع على أهل القرى التي لنظره ثلاثين ألف من يحملونها على ثلاثة آلاف بقرة وأهل الهند لا يحملون الا على البقر وعليه يرفعون أثقالهم في الاسفار وركوب الحمير عندهم عيب كبير وحميرهم صغار الاجرام يسمونها اللاشة واذا أرادوا اشهار أحد بعد ضربه اركبوه الحمار

﴿ ذكر مكرمة لبعض الاصحاب ﴾

وكان السيد ناصر الدين الاوهري قد ترك عندي لما سافر ألفا وستين تنكة فتصرفت فيها فلما عدت الي دهلي وجدته قد أحال في ذلك المال خداوندزاده قوام الدين وكان قدم نائبا عن الوزير فاستقبحت أن أقول له تصرفت في المال فاعطيته نحو ثلثه وأقمت بداري أياما وشاع أني مرضت فأتي ناصر الدين الخوارزمي صدر الجهان لزيارتي فلما رآني قال ما أري بك مرضا فقلت له اني مريض القلب فقال لي عرفني بذلك فقلت له ابعث الي نائبك شيخ الاسلام أعرفه به فبعثه الي فاعلمته فعاد اليه فاعلمه فبعث الي بألف دينار دراهم وكان له عندي قبل ذلك ألفا ثانيا ثم طلب مني بقية المال فقلت في نفسي ما يخلصني منه الا صدر الجهان المذكور لانه كثير المال فبعثت اليه بفرس مسرج قيمته وقيمة سرجه ألف وستمائة دينار وبفرس ثان قيمته وقيمة سرجه ثمانمائة دينار وببغلتين قيمتهما ألف ومائتا دينار وبتركش فضة وبسيفين غمداهما مغشيان بالفضة وقلت له انظر قيمة الجميع وابعث الي ذلك فاخذ ذلك وعمل لجميعه قيمة ثلاثة آلاف دينار فبعث الي ألفا واقتطع الالفين فتغير خاطري ومرضت بالحمى وقلت في نفسي ان شكوت به الى الوزير افتضحت فاخذت خمسة أفراس وجاريتين ومملوكين وبعثت الجميع للملك مغيث الدين محمد بن ملك الملوك عماد الدين السمناني وهو فتي السن فرد علي ذلك وبعث الي مائتي تنكة واعزيز وخلصت من ذلك المال فشتان بين فعل محمد ومحمد

﴿ ذكر خروجي الى محلة السلطان ﴾

وكان السلطان لما توجه الى بلاد المعبر وصل الي التلنك ووقع الوباء بعسكره فعاد الى دولة آباد ثم وصل الى نهر الكنك فنزل عليه وأمر الناس بالبناء وخرجت في تلك الايام الى محلته

واتفق ماسردناه من مخالفة عين الملك ولازمت السلطان في تلك الايام وأعطاني من عتاق الخيل لما قسمها على خواصه وجعلني فيهم وحضرت معه الوقيعة على عين الملك والقبض عليه وجزت معه نهر الكنك ونهر السرو لزيارة قبر الصالح البطل سالار عود (مسعود) وقد استوفيت ذلك كله وعدت معه الى حضرة دهلى لما عاد اليها

﴿ ذكر ماهم به السلطان من عقابي وما تداركني من لطف الله تعالى ﴾

وكان سبب ذلك اني ذهبت يوماً لزيارة الشيخ شهاب الدين ابن الشيخ الجام بالغار الذي احتفره خارج دهلى وكان قصدي رؤية ذلك الغار فلما أخذه السلطان سأل أولاده عمن كان يزوره فذكروا اناساً انا من جملتهم فأمر السلطان أربعة من عبيده بملازمتي بالمشور وعادته انه متى فعل ذلك مع أحد قلما يتخلص فكان أول يوم من ملازمتهم لي يوم الجمعة فألهمني الله تعالى الى تلاوة قوله حسبنا الله ونعم الوكيل فقرأتها ذلك اليوم ثلاثة وثلاثين ألف مرة وبت بالمشور وواصلت الى خمسة أيام في كل يوم منها اختم القرآن وافطر على الماء خاصة ثم أفطرت بعد خمس وواصلت أربعاً وتخلصت بعد قتل الشيخ والحمد لله تعالى

﴿ ذكر انقباضي عن الخدمة وخروجي عن الدنيا ﴾

ولما كان بعد مدة انقبضت عن الخدمة ولازمت الشيخ الامام العالم العابد الزاهد الخاشع الورع فريد الدهر ووحيد العصر كمال الدين عبد الله الغاري وكان من الاولياء وله كرمات كثيرة قد ذكرت منها ما شاهدته عند ذكر اسمه وانقطعت الى خدمة هذا الشيخ ووهبت ما عندي للفقراء والمساكين وكان الشيخ يواصل عشرة أيام وربما واصل عشرين فكنت أحب ان أواصل فكان ينهاني ويأمرني بالرفق على نفسي في العبادة ويقول لي ان المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى وظهر لي من نفسي تكاسل بسبب شيء بقي معي فخرجت عن جميع ما عندي من قليل وكثير وأعطيت ثياب ظهري لفقير ولبست ثيابه ولزمت هذا الشيخ خمسة أشهر والسلطان اذ ذاك غائب ببلاد السند

﴿ ذكر بعث السلطان عني اباني عن الرجوع الى الخدمة واجتهادي في العبادة ﴾

ولما بلغ السلطان خبر خروجي عن الدنيا استدعاني وهو يومئذ بسيوستان فدخلت عليه

فى زى الفقراء فكلمنى أحسن كلام والطفه وأرادمني الرجوع الى الخدمة فأبيت وطلبت منه الاذن في السفر الى الحجاز فاذن لى فيه وانصرفت عنه ونزلت بزاوية تعرف بالنسبة الى الملك بشير وذلك في أواخر جمادي الثانية سنة ثنتين وأربعين فاعتكفت بها شهر رجب وعشرا من شعبان وانتهيت الى مواصلة خمسة أيام وأفطرت بعدها على قليل أرز دون ادام وكنت أقرأ القرآن كل يوم وأتهجد بما شاء الله وكنت اذا أكلت الطعام أذاني فاذا طرحته وجدت الراحة وأقمت كذلك أربعين يوما ثم بعث عني ثانية

﴿ ذكر ما أمرني به من التوجه الى الصين فى الرسالة ﴾

ولما كملت لي أربعون يوما بعث الى السلطان خيلا مسرجة وجواري وغلمانا وثيابا ونفقة فلبست ثيابه وقصدته وكانت لى جبة قطن زرقاء مبطنة لبستها أيام اعتكافي فلما جردتها ولبست ثياب السلطان أنكرت نفسي وكنت متى نظرت الى تلك الجبة أجد نورا فى باطنى ولم تزل عندي الي ان سلبني الكفار في البحر ولما وصلت الى السلطان زاد في اكرامى على ما كنت أعهده وقال لى انما بعثت اليك لتتوجه عني رسولا الى ملك الصين فانى أعلم حبك فى الاسفار والجولان فجهزني بما احتاج له وعين للسفر معي من يذكر بعد

﴿ ذكر سبب بعث الهدية للصين وذكر من بعث معي وذكر الهدية ﴾

وكان ملك الصين قد بعث الى السلطان مائة مملوك وجارية وخمسمائة ثوب من الكمخا منها مائة من التي تصنع بمدينة الزيتون ومائة من التي تصنع بمدينة الخنسا وخمسة أمنان من المسك وخمسة أثواب مرصعة بالجوهر وخمسة من التراكش مزركشة وخمسة سيوف وطلب من السلطان أن يأذن له في بناء بيت الاصنام الذى بناحية جبل قراجيل المتقدم ذكره ويعرف الموضع الذى هو به بسمهل (بفتح السين المهمل وسكون الميم وفتح الهاء) " ، يحجه أهل الصين وتغلب عليه جيش الاسلام بالهند فخربوه وسلبوه فلما وصلت لمطان كتب اليه بأن هذا المطلب لايجوز في ملة الاسلام اسعافه ولا يباح المسلمين الالمن يعطي الجزية فان رضيت باعطائها أبحنالك بناءه م الهدي وكافأه عن هديته بخير منها وذلك مائة فرس من الجياد

مسرجة ملجمة ومائة مملوك ومائة جارية من كفار الهند مغنيات ورواقص ومائة ثوب بيرمية وهي من القطن ولا نظير لها في الحسن قيمة الثوب منها مائة دينار ومائة شقة من ثياب الحرير المعروفة بالجز (بضم الجيم وزاي) وهي التي يكون حرير احداها مصبوغا بخمسة ألوان وأربعة ومائة ثوب من الثياب المعروفة بالصلاحية ومائة ثوب من الشيرين باف ومائة ثوب من الشان باف وخمسمائة ثوب من المرعز مائة منها سود ومائة بيض ومائة حمر ومائة خضر ومائة زرق ومائة شقة من الكتان الرومي ومائة فضلة من الملف وسراجة وست من القباب وأربع حسك من ذهب وست حسك من فضة منيلة وأربعة طسوت من الذهب ذات أباريق كمثلها وستة طسوت من الفضة وعشر خلع من ثياب السلطان مزركشة وعشر شواش من لباسه احداها مرصعة بالجوهر وعشرة تراكش مزركشة وأحدها مرصع بالجوهر وعشرة من السيوف أحدها مرصع الغمد بالجوهر ودشت بان (دستبان) وهو قفاز مرصع بالجوهر وخمسة عشر من الفتيان وعين السلطان للسفر معي بهذه الهدية الامير ظهير الدين الزنجاني وهو من فضلاء أهل العلم والفتى كافور الشربدار واليه سلمت الهدية وبعث معنا الامير محمد الهروي في ألف فارس ليوصلنا الى الموضع الذي تركب منه البحر وتوجه صحبتنا ارسال ملك الصين وهم خمسة عشر رجلا يسمى كبيرهم ترسي وخدامهم نحو مائة رجل وانفصلنا في جمع كبير ومحلة عظيمة وأمر لنا السلطان بالضيافة مدة سفرنا ببلاده وكان سفرنا في السابع عشر لشهر صفر سنة ثلاث وأربعين وهو اليوم الذي اختاروه للسفر لانهم يختارون للسفر من أيام الشهر ثانيه أو سابعه أو الثاني عشر أو السابع عشر أو الثاني والعشرين أو السابع والعشرين فكان نزولنا في أول مرحلة بمنزل تلبت على مسافة فرسخين وثلث من حضرة دهلي ورحلنا منها الى منزل أوو ورحلنا منه الى منزل هيلو ورحلنا منه الى مدينة بيانة (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة وفتح الياء آخر الحروف مع تخفيفها وفتح النون) مدينة كبيرة حسنة البناء مليحة الاسواق ومسجدها الجامع من أبدع المساجد وحيطانه وسقفه حجارة والامير بها مظفر ابن الداية وأمه هي

داية السلطان وكان بها قبله الملك مجير بن أبي الرجاء أحد كبار الملوك وقد تقدم ذكره وهو ينتسب في قريش وفيه تجبر وله ظلم كثير قتل من أهل هذه المدينة جملة ومثل بكثير منهم ولقد رأيت من أهلها رجلا حسن الهيئة قاعدا في أسطوان منزله وهو مقطوع اليدين والرجلين وقدم السلطان مرة على هذه المدينة فتشكى الناس من الملك مجير المذكور فأمر السلطان بالقبض عليه وجعلت في عنقه الجامعة وكان يقعد بالديوان بين يدي الوزير وأهل البلد يكتبون عليه المظالم فأمره السلطان بإرضائهم فأرضاهم بالأموال ثم قتله بعد ذلك ومن كبار أهل هذه المدينة الامام العالم عز الدين الزبيري من ذرية الزبير بن العوام رضي الله عنه أحد كبار الفقهاء الصلحاء لقيته بكاليور عند الملك عز الدين البنتاني المعروف بأعظم ملك ثم رحلنا من بيانة فوصلنا الي مدينة كول (وضبط اسمها بضم الكاف) مدينة حسنة ذات بساتين وأكثر أشجارها العنبا ونزلنا بخارجها في بسيط أفيح ولقينا بها الشيخ الصالح العابد شمس الدين المعروف بابن تاج العارفين وهو مكفوف البصر معمر وبعد ذلك سجنه السلطان ومات في سجنه وقد ذكرنا حديثه

﴿ ذكر غزوة شهدناها بكول ﴾

ولما بلغنا الى مدينة كول بلغنا ان بعض كفار الهنود حاصروا بلدة الجلالي وأحاطوا بها وهي على مسافة سبعة من كول فقصدناها والكفار يقاتلون أهلها وقد أشرفوا على التلف ولم يعلم الكفار بنا حتى صدقنا الحملة عليهم وهم في نحو ألف فارس وثلاثة آلاف راجل فقتلناهم عن آخرهم واحتوينا على خيلهم وأسلحتهم واستشهد من أصحابنا ثلاثة وعشرون فارسا وخمسة وخمسون راجلا واستشهد الفتى كافور الساقي الذى كانت الهدية مسلمة بيده فكتبنا الي السلطان بخبره وأقمنا في انتظار الجواب وكان الكفار في أثناء ذلك ينزلون من جبل هنالك منيع فيغيرون على نواحي بلدة الجلالي وكان أصحابنا يركبون كل يوم مع أمير تلك الناحية ليعينوه على مدافعتهم

﴿ ذكر محنتي بالاسر وخلاصي منه وخلاصي من شدة بعده على يد ولي من أولياء الله تعالى ﴾

وفي بعض تلك الايام ركبت في جماعة من أصحابي ودخلنا بستانا نقيل فيه وذلك فصل القيظ فسمعنا الصياح فركبنا ولحقنا كفارا أغاروا على قرية من قرى الجلالي فاتبعناهم فتفرقوا وتفرق أصحابنا في طلبهم وانفردت في خمسة من أصحابنا فخرج علينا جملة من الفرسان والرجال من غيضة هنالك ففررنا منهم لكثرتهم واتبعني نحو عشرة منهم ثم انقطعوا عني الا ثلاثة منهم ولا طريق بين يدي وتلك الارض كثيرة الحجارة فنشبت يدا فرسي بين الحجارة فنزلت عنه واقامت يده وعدت الى ركوبه والعادة بالهند أن يكون مع الانسان سيفان أحدهما معلق بالسرج ويسمي الركابي والآخر في التركش فسقط سيفي الركابي من غمده وكانت حليته ذهبا فنزلت فأخذته وتقلدته وركبت وهم في أثري ثم وصلت الى خندق عظيم فنزلت ودخلت في جوفه فكان آخر عهدي بهم ثم خرجت الى واد في وسط شعرا ملتفة في وسطها طريق فمشيت عليه ولا أعرف منتهاه فبينا أنا في ذلك خرج على نحو أربعين رجلا من الكفار بايديهم القسي فاحدقوا بي وخفت أن يرموني رمية رجل واحد ان فررت منهم وكنت غير متدرع فالقيت بنفسي الى الارض واستأسرت وهم لا يقتلون من فعل ذلك فأخذوني وسلبوني جميع ما علي غير جبة وقميص وسروال ودخلوا بي الى تلك الغابة فانتهوا بي الى موضع جلوسهم منها على حوض ماء بين تلك الاشجار وأتوني بخبز ماش وهو الجلبان فأكلت منه وشربت من الماء وكان معهم مسلمان كلماني بالفارسية وسألاني عن شأني فاخبرتهما ببعضه وكتمتهما اني من جهة السلطان فقالا لي لا بد أن يقتلك هؤلاء أو غيرهم ولكن هذا مقدمهم وأشاروا الي رجل منهم فكلمته بترجمة المسلمين وتلطفت له فوكل بي ثلاثة منهم أحدهم شيخ ومعه ابنه والآخر أسود خبيث وكلمني أولئك الثلاثة ففهمت منهم انهم أمروا بقتلي واحتملوني عشي النهار الي كهف وسلط الله علي الاسود منهم حمى مرعدة فوضع رجليه علي ونام الشيخ وابنه فلما أصبح تكلموا فيما بينهم وأشاروا الي بالنزول معهم الى الحوض وفهمت انهم يريدون قتلي فكلمت الشيخ وتلطفت اليه فرق لي وقطعت كمي قميصي وأعطيته اياهما لكي لا يأخذه أصحابه في ان فررت ولما كان عند الظهر سمعنا كلاما عند الحوض فظنوا انهم أصحابهم

فأشاروا الى بالنزول معهم فنزلنا ووجدنا قوماآخرين فأشاروا عليهم ان يذهبوا في صحبتهم فأبوا وجلسوا ثلاثتهم امامي وأنا مواجه لهم ووضعوا حبل قنب كان معهم بالارض وأنا أنظر اليهم وأقول في نفسي بهذا الحبل يربطونى عند القتل وأقمت كذلك ساعة ثم جاء ثلاثة من أصحابهم الذين أخذوني فتكلموا معهم وفهمت انهم قالوا لهم لاي شيءٍ ماقتلتموه فاشار الشيخ الى الاسود كانه اعتذر بمرضه وكان أحد هؤلاء الثلاثة شابا حسن الوجه فقال لي أتريد أن أسرحك فقلت نعم فقال اذهب فأخذت الجبة التي كانت على فاعطيته اياها وأعطاني منيرة بالية عنده وأراني الطريق فذهبت وخفت ان يبدو لهم ويدركوني فدخلت غيضة قصب واختفيت فيها الى ان غابت الشمس ثم خرجت وسلكت الطريق التي أرانيها الشاب فافضت بي الى ماء فشربت منه وسرت الى ثلث الليل فوصلت الى جبل فنمت تحته فلما أصبحت سلكت الطريق فوصلت ضحى الي جبل من الصخر عال فيه شجر أم غيلان والسدر فكنت أجنى النبق فآكله حتي أثر الشوك في ذراعي آثارا هي باقية به حتى الآن ثم نزلت من ذلك الجبل الى أرض مزدرعة قطنا وبها أشجار الخروع وهنالك باين والباين عندهم بئر متسعة جدا مطوية بالحجارة لها درج ينزل عليها الى ورد الماء وبعضها يكون في وسطه وجوانبه القباب من الحجر والسقائف والمجالس ويتفاخر ملوك البلاد وأمراؤها بعمارتها في الطرقات التي لاماء بها وسنذكر بعدما رأيناه منها فيما بعد ولما وصلت الي الباين شربت منه ووجدت عليه شيأ من عساليج الخردل قد سقطت لمن غسلها فأكلت منها وادخرت باقيها ونمت تحت شجرة خروع فبينما أنا كذلك اذ ورد الباين نحو أربعين فارسا مدرعين قد دخل بعضهم الي المزرعة ثم ذهبوا وطمس الله أبصارهم دوني ثم جاء بعدهم نحو خمسين في السلاح ونزلوا الى الباين وأتي أحدهم الى شجرة ازاء الشجرة التى كنت تحتها فلم يشعر بي ودخلت اذ ذاك في مزرعة القطن وأقمت بها بقية نهارى وأقاموا على الباين يغسلون ثيابهم ويلعبون فلما كان الليل هدأت أصواتهم فعلمت انهم قدمروا أوناموا فخرجت حينئذ واتبعت أثر الخيل والليل مقمر وسرت حتى انتهيت الى باين آخر عليه قبة فنزلت اليه وشربت من مائه وأكلت من

عساليج الخردل التي كانت عندي ودخلت القبة فوجدتها مملوءة بالعشب مما يجمعه الطير فنمت بها وكنت أحس حركة حيوان في تلك العشب أظنه حية فلا أبالي بها لما بي من الجهد فلما أصبحت سلكت طريقا واسعة تفضي الى قرية خربة وسلكت سواها فكانت كمثلها وأقمت كذلك أياما وفي بعضها وصلت الي أشجار ملتفة بينها حوض ماء وداخلها اشبه بيت وعلى جوانب الحوض نبات الارض كالنجيل وغيره فاردت ان أقعد هنالك حتى يبعث الله من يوصلني الي العمارة ثم اني وجدت يسير قوة فنهضت على طريق وجدت بها أثر البقر ووجدت ثورا عليه بردعة ومنجل فاذا تلك الطريق تفضي الى قري الكفار فاتبعت طريقا أخرى فافضت بي الى قرية خربة ورأيت بها أسودين عريانين فخفتهما وأقمت تحت أشجار هنالك فلما كان الليل دخلت القرية ووجدت دارا في بيت من بيوتها شبه خابية كبيرة يصنعونها لاختزان الزرع وفي أسفلها نقب يسع منه الرجل فدخلتها ووجدت داخلها مفروشا بالتبن وفيه حجر جعلت رأسي عليه ونمت وكان فوقها طائر يرفرف بجناحيه أكثر الليل وأظنه كان يخاف فاجتمعنا خائفين وأقمت على تلك الحال سبعة أيام من يوم أسرت وهو يوم السبت وفي السابع منها وصلت الى قرية للكفار عامرة وفيها حوض ماء ومنابت خضر فسألتهم الطعام فأبوا أن يعطوني فوجدت حول بئر بها أوراق فجل فاكلته وجئت القرية فوجدت جماعة كفار لهم طليعة فدعاني طليعتهم فلم أجبه وقعدت الى الارض فأتى أحدهم بسيف مسلول ورفعه ليضربني به فلم ألتفت اليه لعظيم ما بي من الجهد ففتشني فلم يجد عندي شيأ فأخذ القميص الذي كنت أعطيت كميه للشيخ الموكل بي ولما كان في اليوم الثامن اشتد بي العطش وعدمت الماء ووصلت الي قرية خراب فلم أجد بها حوضا وعادتهم بتلك القري ان يصنعوا أحواضا يجتمع به ماء المطر فيشربون منه جميع السنة فاتبعت طريقا فافضت بي الي بئر غير مطوية عليها حبل مصنوع من نبات الارض وليس فيه آنية يستقى بها فربطت خرقة كانت على رأسي في الحبل وامتصصت ما تعلق بها من الماء فلم يروني فربطت خفي واستقيت به فلم يروني فاستقيت به ثانيا فانقطع الحبل ووقع الخف في البئر فربطت الخف الآخر وشربت حتى

رويت ثم قطعته فربطت أعلاه على رجلي بحبل البئر وبخرق وجدتها هنالك فبينا أنا أربطها وأفكر في حالي اذ لاح لي شخص فنظرت اليه فاذا رجل أسود اللون بيده ابريق وعكاز وعلى كاهله جراب فقال لي سلام عليكم فقلت له عليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقال لي بالفارسية جيكس (جه كسي) معناه من أنت فقلت له أنا تائه فقال لي وأنا كذلك ثم ربط ابريقه بحبل كان معه واستقى ماء فأردت أن أشرب فقال لي اصبر ثم فتح جرابه فاخرج منه غرفة حمص أسود مقلو مع قليل أرز فأكلت منه وشربت وتوضأ وصلى ركعتين وتوضأت أنا وصليت وسألني عن اسمي فقلت محمد وسألته عن اسمه فقال لي القلب الفارح فتفاءلت بذلك وسررت به ثم قال لي باسم الله ترافقني فقلت نعم فمشيت معه قليلا ثم وجدت فتورا في أعضائي ولم أستطع النهوض فقعدت فقال ما شأنك فقلت له كنت قادرا على المشي قبل ان ألقاك فلما لقيتك عجزت فقال سبحان الله اركب فوق عنقي فقلت له انك ضعيف ولا تستطيع ذلك فقال يقويني الله لا بد لك من ذلك فركبت على عنقه وقال لي أكثر من قراءة حسبنا الله ونعم الوكيل فأكثرت من ذلك وغلبتني عيني فلم أفق الا لسقوطي على الارض فاستيقظت ولم أر للرجل أثرا واذا أنا في قرية عامرة فدخلتها فوجدتها لرعية الهنود وحاكمها من المسلمين فاعلموه بي فجاء الي فقلت له ما اسم هذه القرية فقال لي تاج بوره وبينها وبين مدينة كول حيث أصحابنا فرسخان وحملني ذلك الحاكم الى بيته فاطعمني طعاما سخنا واغتسلت وقال لي عندي ثوب وعمامة أودعهما عندي رجل عربي مصري من أهل المحلة التي بكول فقلت له هاتهما ألبسهما الى أن أصل الى المحلة فأتي بهما فوجدتهما من ثيابي كنت قد وهبتهما لذلك العربي لما قدمنا كول فطال تعجبي من ذلك وأفكرت في الرجل الذي حملني على عنقه فتذكرت ما أخبرني به ولي الله تعالى أبو عبد الله المرشدي حسبما ذكرناه في السفر الاول اذ قال لي ستدخل أرض الهند وتلقى بها أخي ويخلصك من شدة تقع فيها وتذكرت قوله لما سألته عن اسمه فقال القلب الفارح وتفسيره بالفارسية دلشاد فعلمت انه هو الذي أخبرني بلقائه وانه من الاولياء ولم يحصل لي من صحبته الا المقدار الذي ذكرت واتيت تلك الليلة الى أصحابي بكول وعلمتهم بسلامتي فجاؤوا الى بفرس

وثياب واستبشروا بي ووجدت جواب السلطان قدوصلهم وبعث بفتى يسمى بسنبل الجامدار عوضا من كافور المستشهد وأمرنا ان نتمادي على سفرنا ووجدتهم أيضا قد كتبوا السلطان بما كان من أمرى وتشاءموا بهذه السفرة لما جرى فيها على وعلى كافور وهم يريدون ان يرجعوا فلما رأيت تأكيد السلطان في السفر أكدت عليهم وقوي عزمى فقالوا ألا ترى ما اتفق في بداية هذه السفرة والسلطان يعذرك فلنرجع اليه أو نقيم حتى يصل جوابه فقلت لهم لا يمكن المقام وحيثما نما أدركنا الجواب فرحلنا من كول ونزلنا برج بوره وبه زاوية حسنة فيها شيخ حسن الصورة والسيرة يسمى بمحمد العريان لانه لا يلبس عليه الاثوبا من سرته الى أسفل وباقي جسده مكشوف وهو تلميذ الصالح الولى محمد العريان القاطن بقرافة مصر نفع الله به

﴿حكاية هذا الشيخ﴾

وكان من أولياء الله تعالى قائما على قدم التجرد يلبس تنورة وهو ثوب يستر من سرته الى أسفل ويذكر انه كان اذا صلى العشاء الآخرة أخرج كل ما بقي بالزاوية من طعام وادام وماء وفرق ذلك على المساكين ورمى بفتيلة السراج وأصبح على غير معلوم وكانت عادته ان يطعم أصحابه عند الصباح خبزا وفولا فكان الخبازون والفوالون يستبقون الى زاويته فيأخذ منهم مقدار ما يكفي الفقراء ويقول لمن أخذ منه ذلك اقعد حتى يأخذ أول ما يفتح به عليه في ذلك اليوم قليلا أو كثيرا ومن حكاياته انه لما وصل قازان ملك التتر الى الشام بعساكره وملك دمشق ما عدا قلعتها وخرج الملك الناصر الى مدافعته ووقع اللقاء على مسيرة يومين من دمشق بموضع يقال له قشحب والملك الناصر اذ ذاك حديث السن لم يعهد الوقائع وكان الشيخ العريان في صحبته فنزل وأخذ قيدا فقيد به فرس الملك الناصر لئلا يتزحزح عند اللقاء لحداثة سنه فيكون ذلك سبب هزيمة المسلمين فثبت الملك الناصر وهزم التتر هزيمة شنعاء قتل منهم فيها كثير وغرق كثير بما أرسل عليهم من المياه ولم يعد التتر الى قصد بلاد الاسلام بعدها وأخبرني الشيخ محمد العريان المذكور تلميذ هذا الشيخ انه حضر هذه الوقيعة وهو حديث السن ورحلنا من برج بوره ونزلنا على الماء المعروف بآب سياه ثم رحلنا الي مدينة قنوج (وضبط اسمها بكسر القاف وفتح النون وواو

ساكن وجيم) مدينة كبيرة حسنة العمارة حصينة رخيصة الاسعار كثيرة السكر ومنها يحمل الى دهلي وعليها سور عظيم وقد تقدم ذكرها وكان بها الشيخ معين الدين الباخرزي أضافنا بها وأميرها فيروز البدخشاني من ذرية بهرام جور (جوبين) صاحب كسرى ويسكن بها جماعة من الصلحاء الفضلاء المعروفين بمكارم الاخلاق يعرفون باولاد شرف جهان وكان جدهم قاضي القضاة بدولة آباد وهو من المحسنين المتصدقين وانتهت الرياسة ببلاد الهند اليه

﴿ حكاية له ﴾

يذكر انه عزل مرة عن القضاء وكان له أعداء فادعي أحدهم عند القاضي الذى ولى بعده ان له عشرة آلاف دينار قبله ولم تكن له بينة وكان قصده ان يحلفه فبعث القاضي عنه فقال لرسوله بم ادعى على فقال بعشرة آلاف دينار فبعث الى مجلس القاضي عشرة آلاف وسلمت للمدعي وبلغ خبره السلطان علاء الدين وصح عنده بطلان تلك الدعوى فاعاده الى القضاء وأعطاه عشرة آلاف وأقنا بهذه المدينة ثلاثا ووصلنا فيها جواب السلطان في شأني بأنه ان لم يظهر لفلان أثر فيتوجه وجيه الملك قاضي دولة آباد عوضا منه ثم رحلنا من هذه المدينة فنزلنا بمنزل هنول ثم بمنزل وزيربور ثم بمنزل البجالصة ثم وصلنا الى مدينة مورى (وضبط اسمها بفتح الميم وواو وراء) وهي صغيرة ولها أسواق حسنة ولقيت بها الشيخ الصالح المعمر قطب الدين المسمي بحيدر الفرغاني وكان بحال مرض فدعالي وزودني رغيف شعير وأخبرني ان عمره ينيف على مائة وخمسين وذكرلى أصحابه انه يصوم الدهر ويواصل كثيرا ويكثر الاعتكاف وربما أقام في خلوته أربعين يوما يقتات فيها بأربعين تمرة في كل يوم واحدة وقد رأيت بدهلي الشيخ المسمى برجب البرقعي دخل الخلوة بأربعين تمرة فأقام بها أربعين يوما ثم خرج وفضل معه منها ثلاث عشرة تمرة ثم رحلنا ووصلنا الى مدينة مره وضبط اسمها (بفتح الميم وسكون الراء وهاء) وهي مدينة كبيرة أكثر سكانها كفار تحت الذمة وهي حصينة وبها القمح الطيب الذى ليس مثله بسواها ومنها يحمل الى دهلي وحبوبه طوال شديدة الصفرة ضخمة ولم أر قمحا مثله الا بأرض الصين وتنسب هذه المدينة الى المالوة (بفتح اللام) وهي قبيلة من قبائل الهنود

ضخام الاجسام عظام الخلق حسان الصور لنسائهم الجمال الفائق وهن مشهورات بطيب الخلوة ووفور الحظ من اللذة وكذلك نساء المرهتة و نساء جزيرة ذيبة المهل ثم سافرنا الى مدينة علابور (وضبط اسمها بفتح العين ولام وألف و باء موحدة مضمومة وواو وراء) مدينة صغيرة أكثر سكانها الكفار تحت الذمة وعلى مسيرة يوم منها سلطان كافر اسمه قتم (بفتح القاف والتاء المعلوة) وهو سلطان جنبيل (بفتح الجيم وسكون النون وكسر الباء الموحدة وياء مدولام) الذى حاصر مدينة كيالير وقتل بعد ذلك

﴿ حكايته ﴾

كان هذا السلطان الكافر قد حاصر مدينة رابرى وهي على نهر اللجون كثيرة القرى والمزارع وكان أميرها خطاب الافغان وهو أحد الشجعان واستعان السلطان الكافر بسلطان كافر مثله يسمي رجو (بفتح الراء وضم الجيم) وبلده يسمى سلطان بور وحاصرا مدينة رابرى فبعث خطابا الى السلطان يطلب منه الاعانة فأبطأ عليه المدد وهو على مسيرة أربعين من الحضرة فخاف أن يتغلب الكفار عليه فجمع من قبيلة الافغان نحو ثلاثمائة ومثلهم من المماليك ونحو أربعمائة من سائر الناس وجعلوا العمائم فى أعناق خيلهم وهى عادة أهل الهند اذا أرادوا الموت وباعوا انفوسهم من الله تعالى وتقدم خطاب وقبيلته وتبعهم سائر الناس وفتحوا الباب عند الصبح وحملوا على الكفار حملة واحدة وكانوا نحو خمسة عشر ألفا فهزموهم باذن الله وقتلوا سلطانيهم قتم ورجو وبعثوا برأسيهما الى السلطان ولم ينج من الكفار الى الشريد

﴿ ذكر أمير علابور واستشهاده ﴾

وكان أمير علابور بدر الحبشي من عبيد السلطان وهو من الابطال الذين تضرب بهم الامثال وكان لايزال يغير على الكفار منفردا بنفسه فيقتل ويسبي حتى شاع خبره واشتهر أمره وهابه الكفار وكان طوالا ضخما يأكل الشاة عن آخرها فى أكلة وأخبرت انه كان يشرب نحو رطل و نصف من السمن بعد غدائه على عادة الحبشة ببلادهم وكان له ابن يدانيه فى الشجاعة فاتفق أنه أغار مرة فى جماعة من عبيده على قرية

للكفار فوقع به الفرس في مطمورة واجتمع عليه أهل القرية فضربه أحدهم بقتارة والقتارة (بقاف معقودة وتاء معلوة) حديدة شبه سكة الحرث يدخل الرجل يده فيها فتكسو ذراعه ويفضل منها مقدار ذراعين وضربتها لا تبقى فقتله بتلك الضربة ومات فيها وقتلوا رجالها وسبوا نساءها وقاتل عبيده أشد القتال فتغلبوا على القرية وأخرجوا الفرس من المطمورة سالماً فأتوا به ولده فكان من الاتفاق الغريب انه ركب الفرس وتوجه الى دهلى فخرج عليه الكفار فقاتلهم حتى قتل وعاد الفرس الى أصحابه فدفعوه الى أهله فركبه صهر له فقتله الكفار عليه أيضا ثم سافرنا الى مدينة كاليور (وضبط اسمها بفتح الكاف المعقودة وكسر اللام وضم الياء آخر الحروف وواو وراء) ويقال فيه أيضاً كياليرو هي مدينة كبيرة لها حصن منيع منقطع في رأس شاهق على بابه صورة فيل وفيال من الحجارة وقد مر ذكره في اسم السلطان قطب الدين وأمير هذه المدينة أحمد بن سيرخان فاضل كان يكرمني أيام اقامتي عنده قبل هذه السفرة ودخلت عليه يوماً وهو يريد توسيط رجل من الكفار فقلت له بالله لا تفعل ذلك فاني ما رأيت أحداً قط يقتل بحضري فأمر بسجنه وكان ذلك سبب خلاصه ثم رحلنا من مدينة كاليور الى مدينة برون (وضبط اسمها بفتح الباء المعقودة وسكون الراء وفتح الواو وآخره نون) مدينة صغيرة للمسلمين بين بلاد الكفار أميرها محمد بن بيرم التركي الاصل والسباع بها كثيرة وذكر لي بعض أهلها ان السبع كان يدخل اليها ليلا وأبوابها مغلقة فيفترس الناس حتى قتل من أهلها كثيراً وكانوا يعجبون في شأن دخوله وأخبرني محمد التوفيرى من أهلها وكان جاراً لي بها انه دخل داره ليلا وافترس صبيا من فوق السرير وأخبرني غيره انه كان مع جماعة في دار عرس فخرج أحدهم لحاجة فافترسه أسد فخرج أصحابه في طلبه فوجدوه مطروحا بالسوق وقد شرب دمه ولم يأكل لحمه وذكروا انه كذلك فعله بالناس ومن العجب ان بعض الناس أخبرني ان الذي يفعل ذلك ليس بسبع وانما هو آدمي من السحرة المعروفين بالجوكية يتصور في صورة سبع ولما أخبرت بذلك أنكرته وأخبرني به جماعة ولنذكر بعضا من أخبار هؤلاء السحرة

﴿ ذكر السحرة الجوكية ﴾

وهؤلاء الطائفة تظهر منهم عجائب منها ان أحدهم يقيم الأشهر لا يأكل ولا يشرب وكثير منهم تحفر لهم حفر تحت الارض وتبنى عليه فلا يترك له الا موضع يدخل منه الهواء ويقيم بها الشهور وسمعت ان بعضهم يقيم كذلك سنة ورأيت بمدينة منجرور رجلا من المسلمين ممن يتعلم منهم قد رفعت له طبلة وأقام بأعلاها لا يأكل ولا يشرب مدة خمسة وعشرين يوما وتركته كذلك فلا أدري كم أقام بعدي والناس يذكرون انهم يركبون حبوبا يأكلون الحبة منها لأيام معلومة أو أشهر فلا يحتاج في تلك المدة الى طعام ولا شراب ويخبرون بأمور مغيبة والسلطان يعظمهم ويجالسهم ومنهم من يقتصر في اكله على البقل ومنهم من لا يأكل اللحم وهم الاكثرون والظاهر من حالهم انهم عودوا أنفسهم الرياضة ولا حاجة لهم في الدنيا وزينتها ومنهم من ينظر الى الانسان فيقع ميتا من نظرته وتقول العامة انه اذا قتل بالنظر وشق عن صدر الميت وجدوه دون قلب ويقولون أكل قلبه وأكثر ما يكون هذا في النساء والمرأة التي تفعل ذلك تسمى كفتار

﴿ حكاية ﴾

لما وقعت المجاعة العظمى ببلاد الهند بسبب القحط والسلطان ببلاد التلنك نفذ أمره أن يعطي لاهل دهلى ما يقوتهم بحساب رطل ونصف للواحد في اليوم فجمعهم الوزير ووزع المساكين منهم على الامراء والقضاة ليتولوا اطعامهم فكان عندي منهم خمسمائة نفس فعمرت لهم سقائف في داري وأسكنتهم بها وكنت أعطيهم نفقة خمسة أيام في خمسة أيام فلما كان في بعض الايام اتوني بمرأة منهم وقالوا انها كفتار وقد أكلت قلب صبي كان الى جانبها وأتوا بالصبي ميتا فامرتهم ان يذهبوا بها الى نائب السلطان فامر باختبارها وذلك بأن ملؤا أربع جرات بالماء وربطوها بيديها ورجليها وطرحوها في نهر الجون فلم تغرق فعلم انها كفتار ولو لم تطف على الماء لم تكن بكفتار فامر باحراقها بالنار وأتوا أهل البلد رجالا ونساء فاخذوا رمادها وزعموا انه من تبخر به أمن في تلك السنة من سحر كفتار

﴿ حكاية ﴾

بعث الي السلطان يوما وأنا عنده بالحضرة فدخلت عليه وهو في خلوة وعند بعض خواصه

ورجلان من هؤلاء الجوكية وهم يلتحفون بالملاحف ويغطون رؤسهم لانهم ينتفونها بالرماد كما ينتف الناس آباطهم فامرني بالجلوس فجلست فقال لهما ان هذا العزيز من بلاد بعيدة فارياه مالم يره فقالا نعم فتربع أحدهما ثم ارتفع عن الارض حتي صار في الهواء فوقنا متربعا فعجبت منه وأدركني الوهم فسقطت الى الارض فامر السلطان ان أسقى دواء عنده فأفقت وقعدت وهو على حاله متربع فاخذ صاحبه نعلاله من شكارة كانت معه فضرب بها الارض كالمغتاظ فصعدت الى ان علت فوق عنق المتربع وجعلت تضرب في عنقه وهو ينزل قليلا قليلا حتي جلس معنا فقال لي السلطان ان المتربع هو تلميذ صاحب النعل ثم قال لولا اني أخاف على عقلك لامرتهم ان يأتوا بأعظم مما رأيت فانصرفت عنه وأصابني الخفقان ومرضت حتي أمر لي بشربة أذهبت ذلك عني ولنعد لما كنا بسبيله فنقول سافرنا من مدينة برون الى منزل أمواري ثم الى منزل كجرا وبه حوض عظيم طوله نحو ميل وعليه الكنائس فيها الاصنام قد مثل بها المسلمون وفي وسطه ثلاث قباب من الحجارة الحمر على ثلاث طباق وعلى أركانه الاربعة أربع قباب ويسكن هنالك جماعة من الجوكية وقد لبدوا شعورهم وطالت حتي صارت في طولهم وغلبت عليهم صفرة الالوان من الرياضة وكثير من المسلمين يتبعونهم ليتعلموا منهم ويذكرون ان من كانت به عاهة من برص أو جذام يأوي اليهم مدة طويلة فيبرأ باذن الله تعالى وأول ما رأيت هذه الطائفة بمحلة السلطان طرمشيرين ملك تركستان وكانوا نحوا الخمسين حفر لهم غار تحت الارض وكانوا مقيمين به لا يخرجون الا لقضاء حاجة ولهم شبه القرن يضربونه أول النهار وآخره وبعد العتمة وشأنهم كله عجب ومنهم الرجل الذى صنع للسلطان غياث الدين الدمغاني سلطان بلاد المعبر حبوبا يأكلها تقوية على الجماع وكان من اخلاطها برادة الحديد فاعجبه فعلها فاكل منها أزيد من مقدار الحاجة فمات وولي ابن أخيه ناصر الدين فاكرم هذا الجوكي ورفع قدره ثم سافرنا الى مدينة جنديري (وضبط اسمها بفتح الجيم المعقود وسكون النون وكسر الدال المهمل وياء مد وراء) مدينة عظيمة لها أسواق حافلة يسكنها أمير أمراء تلك البلاد عز الدين البنتاني (بالباء الموحدة ثم النون

ثم التاء المثناة مفتوحات ثم ألف ونون) وهو المدعو باعظم ملك وكان خيراً فاضلا يجالس أهل العلم وممن كان يجالسه الفقيه عز الدين الزبيري والفقيه العالم وجيه الدين البياني نسبة الى مدينة بيانة التي تقدم ذكرها والفقيه القاضي المعروف بقاضي خاصة وامامهم شمس الدين وكان النائب عنه على أمور المخزن يسمى قمر الدين ونائبه على أمور العسكر سعادة التلنكي من كبار الشجعان وبين يديه تعرض العساكر وأعظم ملك لا يظهر الا في يوم الجمعة أو في غيرها نادراً ثم سرنا من جنديري الى مدينة ظهار (وضبط اسمها بكسر الظاء المعجم) وهي مدينة المالوة أكبر عمالة تلك البلاد وزرعها كثير خصوصاً القمح ومن هذه المدينة تحمل أوراق التنبول الي دهلي وبينهما أربعة وعشرون يوما وعلى الطريق بينهما أعمدة منقوش عليها عدد الاميال فيما بين كل عمودين فاذا أراد المسافر أن يعلم عدد ما سار في يومه وما بقي له الى المنزل أو الى المدينة التي يقصدها قرأ النقش الذي في الاعمدة فعرفه ومدينة ظهار اقطاع للشيخ ابراهيم الذي من أهل ذيبة المهل ﴿ حكاية ﴾ كان هذا الشيخ ابراهيم قدم على هذه المدينة ونزل بخارجها فاحيي أرضاً مواتاً هنالك وصار يزدرع بها بطيخاً فتأتي في الغاية من الحلاوة ليس بتلك الارض مثلها ويزرع الناس بطيخاً فيما يجاوره فلا يكون مثله وكان يطعم الفقراء والمساكين فلما قصد السلطان الى بلاد المعبر أهدى اليه هذا الشيخ بطيخاً فقبله واستطابه واقطعه مدينة ظهار وأمره أن يعمر زاوية بربوة تشرف عليها فعمرها أحسن عمارة وكان يطعم بها الوارد والصادر وأقام على ذلك أعواما ثم قدم على السلطان وحمل اليه ثلاثة عشر لكا فقال هذا فضل مما كنت أطعمه الناس وبيت المال أحق به فقبضه منه ولم يعجب السلطان فعله لكونه جمع المال ولم ينفق جميعه في اطعام الطعام وبهذه المدينة أراد ابن أخت الوزير خواجه جهان ان يفتك بخاله ويستولي على أمواله ويسير الى القائم ببلاد المعبر فنما خبره الي خاله فقبض عليه وعلى جماعة من الامراء وبعثهم الى السلطان فقتل الامراء ورد ابن أخته اليه فقتله الوزير

﴿ حكاية ﴾

ولما رد ابن أخت الوزير اليه أمر به ان يقتل كما قتل أصحابه وكانت له جارية يحبها فاستحضرها

وأطعمها التنبول وأطعمته وعانقها مودعا ثم طرح للفيلة وسلخ جلده وملئ تبنا فلما كان من الليل خرجت الجارية من الدار فرمت بنفسها في بئر هنالك تقرب من الموضع الذى قتل فيه فوجدت ميتة من الغد فاخرجت ودفن لحمه معها في قبر واحد وسمي ذلك قبور (كور) عاشقا وتفسير ذلك بلسانهم قبر العاشقين ثم سافرنا من مدينة ظهار الى مدينة أجين (وضبط اسمها بضم الهمزة وفتح الجيم وياء ونون) مدينة حسنة كثيرة العمارة وكان يسكنها الملك ناصر الدين بن عين الملك من الفضلاء الكرماء العلماء استشهد بجزيرة سندابور حين افتتاحها وقد زرت قبره هنالك وسنذكره وبهذه المدينة كان سكنى الفقيه الطبيب جمال الدين المغربي الغرناطي الاصل ثم سافرنا من مدينة أجين الى مدينة دولة آباد وهي المدينة الضخمة العظيمة الشأن الموازية لحضرة دهلى في رفعة قدرها واتساع خطتها وهي منقسمة ثلاثة أقسام أحدها دولة آباد وهو مختص بسكنى السلطان وعساكره والقسم الثاني يسمى الكتكة (بفتح الكافين والتاء المعلوة التي بينهما) والقسم الثالث قلعتها التي لا مثل لها ولا نظير في الحصانة وتسمى الدويقير (بضم الدال المهمل وفتح الواو وسكون الياء وقاف معقود مكسور وياء مدو وراء) وبهذه المدينة سكنى الخان الاعظم قطلوخان معلم السلطان بها وبلاد صاغر وبلاد التلنك وما أضيف الى ذلك وعمالتها مسيرة ثلاثة أشهر عامرة كلها الحكمه ونوابه فيها وقلعة الدويقير التي ذكرناها في قطعة حجر في بسيط من الارض قد نحتت وبني بأعلاها قلعة يصعد اليها بسلم مصنوع من جلود ويرفع ليلا ويسكن بها المفردون وهم الزماميون بأولادهم وفيها سجن أهل الجرائم العظيمة في جبوب بها وبها فيران ضخام أعظم من القطوط والقطوط تهرب منها ولا تطيق مدافعتها لانها تغلبها ولا تصاد الا بحيل تدار عليها وقد رأيتها هنالك فعجبت منها ﴿ حكاية ﴾

أخبرني الملك خطاب الافغاني انه سجن مرة في جب بهذه القلعة يسمى جب الفيران قال فكانت تجتمع علي ليلا لتأكلني فاقاتلها وألقى من ذلك جهدا ثم اني رأيت في النوم قائلا يقول لي اقرأ سورة الاخلاص مائة ألف مرة ويفرج الله عنك قال فقرأتها فلما أتممتها أخرجت وكان سبب خروجي ان ملك مل كان مسجونا في جب يجاورني فمرض وأكلت

الفيران أصابعه وعينيه فمات فبلغ ذلك السلطان فقال اخرجوا خطابالثلا يتفق له مثل ذلك والى هذه القلعة لجأ ناصر الدين بن ملك مل المذكور والقاضي جلال حين هزمهما السلطان وأهل بلاد دولة آباد هم قبيل المرهتة الذين خص الله نساءهم بالحسن وخصوصا في الانوف والحواجب ولهن من طيب الخلوة والمعرفة بحركات الجماع ما ليس لغيرهن وكفار هذه المدينة أصحاب تجارات وأكثر تجاراتهم في الجوهر وأموالهم طائلة وهم يسمون الساهة واحدهم ساه باهمال السين وهم مثل الأكارم بديار مصر وبدولة آباد العنب والرمان ويثمران مرتين في السنة وهي من أعظم البلاد مجبي وأكبرها خراجا لكثرة عمارتها واتساع عمالتها وأخبرت ان بعض الهنود التزم مغارمها وعمالتها جميعا وهي كما ذكرناها مسيرة ثلاثة أشهر بسبعة عشر كرورا والكرور مائة لك واللك مائة ألف دينار ولكنه لم يف بذلك فبقي عليه بقية وأخذ ماله وسلخ جلده

﴿ ذكر سوق المغنيين ﴾

وبمدينة دولة آباد سوق للمغنيين والمغنيات تسمى سوق طرب آباد من أجمل الاسواق وأكبرها فيه الدكاكين الكثيرة كل دكان له باب يفضي الى دار صاحبه وللدار باب سوى ذلك والحانوت مزين بالفرش وفي وسطه شكل مهد كبير تجلس فيه المغنية أو ترقد وهي متزينة بأنواع الحلي وجواريها يحركن مهدها وفي وسط السوق قبة عظيمة مفروشة مزخرفة يجلس فيها أمير المطربين بعد صلاة العصر من يوم كل خميس وبين يديه خدامه ومماليكه وتأتي المغنيات طائفة بعد أخرى فيغنين بين يديه ويرقصن الى وقت المغرب ثم ينصرف وفي تلك السوق المساجد للصلاة ويصلي الائمة فيها التراويح في شهر رمضان وكان بعض سلاطين الكفار بالهند اذا مر بهذه السوق ينزل بقبتها ويغني المغنيات بين يديه وقد فعل ذلك بعض سلاطين المسلمين أيضاً ثم سافرنا الى مدينة نذربار (وضبط اسمها بنون وبذال معجم مفتوحتين وراء مسكن وباء موحدة مفتوحة وألف وراء) مدينة صغيرة يسكنها المرهتة وهم أهل الاتقان في الصنائع والاطباء والمنجمون وشرفاء المرهتة هم البراهمة وهم الكتريون أيضا وأكلهم الأرز والخضر ودهن السمسم ولا يرون بتعذيب

الحيوان ولا ذبحه ويغتسلون للاكل كغسل الجنابة ولا ينكحون في أقاربهم الا في من كان بينهم وبينه سبعة أجداد لا يشربون الخمر وهي عندهم أعظم المعائب وكذلك هي ببلاد الهند عند المسلمين ومن شربها من مسلم حد ثمانين جلدة وسجن في مطمورة ثلاثة أشهر لا تفتح عليه الا حين طعامه ثم سافرنا من هذه المدينة الى مدينة صاغر (وضبط اسمها بفتح الصاد المهمل وفتح الغين المعجم وآخره راء) وهي مدينة كبيرة على نهر كبير يسمى أيضاً صاغر كاسمها وعليه النواعير والبساتين فيها العنبا والموز وقصب السكر وأهل هذه المدينة أهل صلاح ودين وأمانة وأحوالهم كلها مرضية ولهم بساتين فيها الزوايا للوارد والصادر وكل من يبنى زاوية يحبس البستان عليها ويجعل النظر فيه لاولاده فان انقرضوا عاد النظر للقضاة والعمارة بها كثيرة والناس يقصدونها للتبرك باهلها ولكونها محررة من المغارم والوظائف ثم سافرنا من صاغر المذكورة الى مدينة كنباية (وضبط اسمها بكسر الكاف وسكون النون وفتح الباء الموحدة وألف وياء آخر الحروف مفتوحة) وهي على خور من البحر وهو شبه الوادي تدخله المراكب وبه المد والجزر وعاينت المراكب به مرساة في الوحل حين الجزر فاذا كان المد عامت في الماء وهذه المدينة من أحسن المدن في اتقان البناء وعمارة المساجد وسبب ذلك ان أكثر سكانها التجار الغرباء فهم أبداً يبنون بها الديار الحسنة والمساجد العجيبة ويتنافسون في ذلك ومن الديار العظيمة بها دار الشريف السامري الذي اتفقت لي معه قضية الحلواء وكذبه ملك الندماء ولم أر قط أضخم من الخشب الذي رأيته بهذه الدار وبابها كأنه باب مدينة والى جانبها مسجد عظيم يعرف باسمه ومنها دار ملك التجار الكازروني والى جانبها مسجده ومنها دار التاجر شمس الدين كلاه دوز ومعناه خياط الشواشي

﴿حكاية﴾

ولما وقع ما قدمناه من مخالفة القاضي جلال الافغاني أراد شمس الدين المذكور والناخوذة الياس وكان من كفار أهل هذه المدينة وملك الحكماء الذي تقدم ذكره على ان يمتنعوا منه بهذه المدينة وشرعوا في حفر خندق عليها اذ لا سور لها فتغلب عليهم ودخلها واختفى الثلاثة المذكورون في دار واحدة وخافوا ان يتطلع عليهم فاتفقوا على ان يقتلوا أنفسهم

فضرب كل واحد منهم صاحبه بقتارة وقد ذكرنا صفتها فمات اثنان منهم ولم يمت ملك
الحكماء وكان من كبار التجار أيضاً بها نجم الدين الجيلاني وكان حسن الصورة كثير
المال وبنى بها داراً عظيمة ومسجداً ثم بعث السلطان عنه وأمره عليها واعطاه المراتب
فكان ذلك سبب تلف نفسه وماله وكان أمير كنباية حين وصلنا اليها مقبل التلنكي وهو
كبير المنزلة عند السلطان وكان في صحبته الشيخ زاده الاصبهاني نائباً عنه في جميع أموره وهذا
الشيخ له أموال عظيمة وعنده معرفة بأمور السلطنة ولا يزال يبعث الاموال الى بلاده
ويحيل في الفرار وبلغ خبره الى السلطان وذكر عنه انه يروم الهروب فكتب الى مقبل
ان يبعثه فبعثه على البريد واحضر بين يدى السلطان ووكل به والعادة عندهم انه متي وكل
بأحد فقلما ينجو فاتفق هذا الشيخ مع الموكل به على مال يعطيه اياه وهربا جميعاً وذكر لي
أحد الثقاة انه رآه في ركن مسجد بمدينة قلهات وانه وصل بعد ذلك الى بلادهم فحصل على
أمواله وآمن مما كان يخافه

﴿ حكاية ﴾

وأضافنا الملك مقبل يوما بداره فكان من النادر ان جلس قاضى المدينة وهو أعور العين
اليمنى وفى مقابلته شريف بغدادي شديد الشبه به في صورته وعوره الا انه أعور اليسرى
فجعل الشريف ينظر الى القاضي ويضحك فزجره القاضى فقال له لا تزجرني فاني أحسن
منك قال كيف ذلك قال لانك أعور اليمنى وأنا أعور اليسرى فضحك الامير والحاضرون
وخجل القاضي ولم يستطع ان يرد عليه لان الشرفاء ببلاد الهند معظمون أشد التعظيم
وكان بهذه المدينة من الصالحين الحاج ناصر من أهل ديار بكر وسكناه بقبة من قباب
الجامع دخلنا اليه وأكلنا من طعامه واتفق له لما دخل القاضى جلال مدينة كنباية حين
خلافه انه أتاه وذكر للسلطان انه دعا له فهرب لئلا يقتل كما قتل الحيدرى وكان بها أيضاً من
الصالحين التاجر خواجه اسحق وله زاوية يطعم فيها الوارد والصادر وينفق على الفقراء
والمساكين وماله على هذا ينمي ويزيد كثرة وسافرنا من هذه المدينة الي بلدة كاوى وهي
على خور فيه المد والجزر من بلاد الرى جالنسي الكافر وسنذكره وسافرنا منها الى

مدينة قندهار (وضبط اسمها بفتح القاف وسكون النون وفتح الدال المهمل وهاء وألف وراء) وهي مدينة كبيرة للكفار على خور من البحر

﴿ ذكر سلطانها ﴾

وسلطان قندهار كافر اسمه جالنسي (بفتح الجيم واللام وسكون النون وكسر السين المهمل) وهو تحت حكم الاسلام ويعطي لملك الهند هديه كل عام ولما وصلنا الى قندهار خرج الى استقبالنا وعظمنا أشد التعظيم وخرج عن قصره فانزلنا به وجاء الينا من عنده من كبار المسلمين كاولاد خواجه بهره ومنهم الناخوذة ابراهيم له ستة من المراكب مختصة له ومن هذه المدينة ركبنا البحر

﴿ ذكر ركوبنا البحر ﴾

وركبنا في مركب لابراهيم المذكور تسمي الجاكر (بفتح الجيم والكاف المعقودة) وجعلنا فيه من خيل الهدية سبعين فرسا وجعلنا باقيها مع خيل أصحابنا في مركب لاخي ابراهيم المذكور يسمى منورت (بفتح الميم ونون وواو مدور اءمسكن وتاء معلوة) واعطانا جالنسي مركبا جعلنا فيه خيل ظهير الدين وسنبل وأصحابهما وجهزه لنا بالماء والزاد والعلف وبعث معنا ولده في مركب يسمى العكيري (بضم العين المهمل وفتح الكاف وسكون الياء وراء) وهو شبه الغراب الا أنه أوسع منه وفيه ستون مجذافا ويسقف حين القتال حتى لا ينال الجذافين شئ من السهم ولا الحجارة وكان ركوبي أنا في الجاكر وكان فيه خمسون راميا وخمسون من المقاتلة الحبشة وهم زعماء هذا البحر واذا كان بالمركب أحد منهم تحاماه لصوص الهنود وكفارهم ووصلنا بعد يومين الى جزيرة بيرم (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة وسكون الياء وفتح الراء) وهي خالية وبينها وبين البر أربعة أميال فنزلنا بها واستقينا الماء من حوض بها وسبب خرابها ان المسلمين دخلوها على الكفار فلم تعمر بعد وكان ملك التجار الذي تقدم ذكره أراد عمارتها وبني سورها وجعل بها المجانيق واسكن بها بعض المسلمين ثم سافرنا منها ووصلنا في اليوم الثاني الى مدينة قوقة وهي (بضم القاف الاولى وفتح الثانية) وهي مدينة كبيرة عظيمة

الاسواق أرسيناعلى أربعة أميال منها بسبب الجزر ونزلت فى عشارى مع بعض أصحابي حين الجزر لأدخل اليها فوحل العشاري في الطين وبقي بيننا وبين البلد نحو ميل فكنت لما نزلنا في الوحل اتوكأ على رجلين من أصحابي وخوفني الناس من وصول المد قبل وصولي اليها وأنا لا أحسن السباحة ثم وصلت اليها وطفت باسواقها ورأيت بها مسجدا ينسب للخضر والياس عليهما السلام صليت به المغرب ووجدت به جماعة من الفقراء الحيدرية مع شيخ لهم ثم عدت الى المركب

﴿ ذكر سلطانها ﴾

وسلطانها كافر يسمي دنكول (بضم الدال المهمل وسكون النون وضم الكاف وواو ولام) وكان يظهر الطاعة لملك الهند وهو فى الحقيقة عاص ولما أقلعنا عن هذه المدينة وصلنا بعد ثلاثة أيام الي جزيرة سندابور (وضبط اسمها بفتح السين المهمل وسكون النون وفتح الدال المهمل والف وباء موحدة وواو ومدوراء) وهي جزيرة في وسطها ست وثلاثون قرية ويدور بها خور واذا كان الجزر فماؤها عذب طيب واذا كان المد فهو ملح أجاج وفي وسطها مدينتان احداهما قديمة من بناء الكفار والثانية بناها المسلمون عند استفتاحهم لهذه الجزيرة الفتح الاول وفيها مسجد جامع عظيم يشبه مساجد بغداد عمره الناخودة حسن والد السلطان جمال الدين محمد الهنوري وسيأتي ذكره وذكر حضوري معه لفتح هذه الجزيرة الفتح الثاني ان شاء الله وتجاوزناه هذه الجزيرة لما مررنا بها وارسينا على جزيرة صغيرة قريبة من البر فيها كنيسة وبستان وحوض ماء ووجدنا بها أحد الجوكية

(حكاية هذا الجوكى)

ولما نزلنا بهذه الجزيرة الصغري وجدنا بها جوكيا مستندا الى حائط بدخانة وهي بيت الاصنام وهو فيما بين صنمين منها وعليه أثر المجاهدة فكلمناه فلم يتكلم ونظرنا هل معه طعام فلم نر معه طعاما وفي حين نظرنا صاح صيحة عظيمة فسقطت عند صياحه جوزة من جوز النارجيل بين يديه ودفعها لنا فعجبنا من ذلك ودفعنا له دنانير ودراهم فلم يقبلها وأتيناه بزاد فرده وكانت بين يديه عباءة من صوف الجمال مطروحة فقلبتها بيدى فدفعها

لي وكانت بيدى سبحة زيلع فقلبها في يدي فاعطيته اياها ففركها بيده وشمها وقبلها وأشار الى السماء ثم الى سمت القبلة فلم يفهم أصحابي اشارته وفهمت انا عنه انه أشار انه مسلم يخفي اسلامه من أهل تلك الجزيرة ويتعيش من تلك الجوز ولما ودعناه قبلت يده فأنكر أصحابي ذلك ففهم انكارهم فأخذ يدى وقبلها وتبسم وأشار لنا بالانصراف فانصرفنا وكنت آخر أصحابي خروجا فجذب ثوبي فرددت رأسي اليه فأعطاني عشرة دنانير فلما خرجنا عنه قال لي أصحابي لم جذبك فقلت لهم أعطاني هذه الدنانير وأعطيت لظهير الدين ثلاثة منها ولسنبل ثلاثة وقلت لهما الرجل مسلم ألا ترون كيف أشار الى السماء يشير الى انه يعرف الله تعالى وأشار الى القبلة يشير الى معرفة الرسول عليه السلام وأخذه السبحة يصدق ذلك فرجعا لما قلت لهما ذلك اليه فلم يجداه وسافرنا تلك الساعة وبالغد وصلنا الى مدينة هنور (وضبط اسمها بكسر الهاء وفتح النون وسكون الواو وراء) وهي على خور كبير تدخله المراكب الكبار والمدينة على نصف ميل من البحر وفي أيام البشكال وهو المطر يشتد هيجان هذا البحر وطغيانه فيبقى مدة أربعة أشهر لا يستطيع أحد ركوبه الا للتصيد فيه وفي يوم وصولنا اليها جاءني أحد الجوكية من الهنود في خلوة وأعطاني ستة دنانير وقال لي البرهمن بعثها اليك يعني الجوكى الذي أعطيته السبحة وأعطاني الدنانير فأخذتها منه وأعطيته دينارا منها فلم يقبله وانصرف وأخبرت أصحابي بالقضية وقلت لهما ان شئتما فخذا نصيبكما منها فأبيا وجعلا يعجبان من شأنه وقالا لي ان الدنانير الستة التي أعطيتنا اياها جعلنا معها مثلها وتركناها بين الصنمين حيث وجدناها فطال عجبي من أمره واحتفظت بتلك الدنانير التي أعطانيها وأهل مدينة هنور شافعية المذهب لهم صلاح ودين وجهاد في البحر وقوة وبذلك عرفوا حتى أذلهم الزمان بعد فتحهم السندابور وسنذكر ذلك ولقيت من المتعبدين بهذه المدينة الشيخ محمد الناقوري أضافني بزاويته وكان يطبخ الطعام بيده استقذارا للجارية والغلام ولقيت بها الفقيه اسماعيل معلم كتاب الله تعالى وهو ورع حسن الخلق كريم النفس والقاضي بها نور الدين عليا والخطيب لا أذكر اسمه ونساء هذه المدينة وجميع هذه البلاد الساحلية لا يلبسن المخيط انما يلبسن ثيابا غير مخيطة

تحتزم احداهن باحد طرفي الثوب وتجعل باقيه على رأسها وصدرها ولهن جمال وعفاف وتجعل احداهن خرص ذهب في أنفها ومن خصائصهن انهن جميعاً يحفظن القرآن العظيم ورأيت بالمدينة ثلاثة عشر مكتباً لتعليم البنات وثلاثة وعشرين لتعليم الاولاد ولم أر ذلك في سواها ومعاش أهلها من التجارة في البحر ولا زرع لهم وأهل بلاد المليبار يعطون للسلطان جمال الدين في كل عام شيأ معلوما خوفا منه لقوته في البحر وعسكره نحو ستة آلاف بين فرسان ورجالة

*(ذكر سلطان هنور)

وهو السلطان جمال الدين محمد بن حسن من خيار السلاطين وكبارهم وهو تحت حكم سلطان كافر يسمى هريب سنذكره والسلطان جمال الدين مواظب للصلاة في الجماعة وعادته أن يأتي الى المسجد قبل الصبح فيتلو في المصحف حتى يطلع الفجر فيصلي أول الوقت ثم يركب الى خارج المدينة ويأتي عند الضحى فيبدأ بالمسجد فيركع فيه ثم يدخل الى قصره وهو يصوم الايام البيض وكان أيام اقامتي عنده يدعوني للافطار معه فأحضر لذلك ويحضر الفقيه علي والفقيه اسمعيل فتوضع أربع كراسي صغار على الارض فيقعد على احداها ويقعد كل واحد منا على كرسي

(ذكر ترتيب طعامه)

وترتيبه أن يؤتي بمائدة نحاس يسمونها اخونجة ويجعل عليها طبق نحاس يسمونه الطالم (بفتح الطاء المهمل وفتح اللام) وتأتي جارية حسنة ملتحفة بثوب حرير فتقدم قدور الطعام بين يديه ومعها مغرفة نحاس كبيرة فتغرف بها من الأرز مغرفة واحدة وتجعلها في الطالم وتصب فوقها السمن وتجعل مع ذلك عناقيد الفلفل المملوح والزنجبيل الاخضر والليمون المملوح والعنبا فيأكل الانسان لقمة ويتبعها بشئ من تلك الموالح فاذا تمت الغرفة التي جعلتها في الطالم غرفت غرفة أخرى من الأرز وأفرغت دجاجة مطبوخة في سكرجة فيؤكل بها الأرز أيضاً فاذا تمت الغرفة الثانية غرفت وأفرغت لوناً آخر من الدجاج تؤكل به فاذا تمت ألوان الدجاج أتوا بألوان من السمك فيأكلون بها الأرز أيضاً

فاذا فرغت الوان السمك أتوا بالخضر مطبوخة بالسمن والالبان فيأكلون بها الارز فاذا فرغ ذلك كله أتوا بالكوشان وهو اللبن الرائب وبه يختمون طعامهم فاذا وضع علم انه لم يبق شئ يؤكل بعده ثم يشربون على ذلك الماء السخن لان الماء البارد يضر بهم في فصل نزول المطر ولقد أقمت عند هذا السلطان في كرة أخري أحد عشر شهراً لم آكل خبزاً انما طعامهم الارز وبقيت أيضاً بجزائر المهل وسيلان وبلاد المعبر والمليبار ثلاث سنين لا آكل فيها الا الارز حتى كنت لا استسيغه الا بالماء ولباس هذا السلطان ملاحف الحرير والكتان الرقاق يشد في وسطه فوطة ويلتحف ملحفتين احداهما فوق الاخري ويقص شعره ويلف عليه عمامة صغيرة واذا ركب لبس قباء والتحف بملحفتين فوقه وتضرب بين يديه طبول وأبواق يحملها الرجال وكانت اقامتنا عنده في هذه المرة ثلاثة أيام وزودنا وسافرنا عنه وبعد ثلاثة أيام وصلنا الى بلاد المليبار (بضم الميم وفتح اللام وسكون الياء آخر الحروف وفتح الباء الموحدة وألف وراء) وهي بلاد الفلفل وطولها مسيرة شهرين على ساحل البحر من سندابور الي كولم والطريق في جميعها بين ظلال الاشجار وفي كل نصف ميل بيت من الخشب فيه دكاكين يقعد عليها كل وارد وصادر من مسلم أو كافر وعند كل بيت منها بئر يشرب منها ورجل كافر موكل بها فمن كان كافراً سقاه في الاواني ومن كان مسلماً سقاه في يديه ولا يزال يصب له حتي يشير له أو يكف وعادة الكفار ببلاد المليبار ان لا يدخل المسلم دورهم ولا يطعم في أوانيهم فان طعم فيها كسروها أو أعطوها للمسلمين واذا دخل المسلم موضعاً منها لا يكون فيه دار للمسلمين طبخوا له الطعام وصبوه له على أوراق الموز وصبوا عليه الادام وما فضل عنه يأكله الكلاب والطير وفي جميع المنازل بهذا الطريق ديار المسلمين ينزل عندهم المسلمون فيبيعون منهم جميع ما يحتاجون اليه ويطبخون لهم الطعام ولولاهم لما سافر فيه مسلم وهذا الطريق الذى ذكرنا انه مسيرة شهرين ليس فيه موضع شبر فما فوقه دون عمارة وكل انسان بستانه على حدة وداره في وسطه وعلى الجميع حائط خشب والطريق يمر في البساتين فاذا انتهي الى حائط بستان كان هنالك درج خشب يصعد عليها ودرج آخر ينزل عليها الى البستان الآخر هكذا

مسيرة الشهرين ولا يسافر أحد في تلك البلاد بدابة ولا تكون الخيل الا عند السلطان وأكثر ركوب أهلها في دولة على رقاب العبيد أو المستأجرين ومن لم يركب في دولة مشى على قدميه كائنا من كان ومن كان له رحل أو متاع من تجارة وسواها اكترى رجالا يحملونه على ظهورهم فترى هنالك التاجر ومعه المائة فما دونها أو فوقها يحملون أمتعته وبيد كل واحد منهم عود غليظ له زج حديد وفي أعلاها محطاف حديد فاذا أعيي ولم يجد دكانة يستريح عليها ركز عوده بالارض وعلق حمله منه فاذا استراح أخذ حمله من غير معين ومضى به ولم أر طريقاً آمن من هذا الطريق وهم يقتلون السارق على الجوزة الواحدة فاذا سقط شيء من الثمار لم يلتقطه أحد حتى يأخذه صاحبه وأخبرت ان بعض الهنود مروا على الطريق فالتقط أحدهم جوزة وبلغ خبره الى الحاكم فأمر بعود فركز في الارض وبرى طرفه الاعلى وأدخل في لوح خشب حتى برز منه ومد الرجل على اللوح وركز في العود وهو على بطنه حتى خرج من ظهره وترك عبرة للناظرين ومن هذه العيدان على هذه الصورة بتلك الطرق كثيراً ليراها الناس فيتعظوا ولقد كنا نلقى الكفار بالليل في هذه الطريق فاذا رأونا تنحوا عن الطريق حتي نجوز والمسلمون أعز الناس بها غير انهم كما ذكرناه لا يواكلونهم ولا يدخلونهم دورهم وفي بلاد المليبار اثنا عشر سلطانا من الكفار منهم القوي الذي يبلغ عسكره خمسين ألفا ومنهم الضعيف الذي عسكره ثلاثة آلاف ولا فتنة بينهم البتة ولا يطمع القوي منهم في انتزاع ما بيد الضعيف وبين بلاد أحدهم وصاحبه باب خشب منقوش فيه اسم الذي هو مبدأ عمالته ويسمونه باب أمان فلان واذا فر مسلم أو كافر بسبب جناية من بلاد أحدهم ووصل باب أمان الآخر أمن على نفسه ولم يستطع الذي هرب عنه أخذه وان كان القوي صاحب العدد والجيوش وسلاطين تلك البلاد يورثون ابن الاخت ملكهم دون أولادهم ولم أر من يفعل ذلك الا مسوفة أهل اللثم (اللثام) وسنذكرهم فيما بعد فاذا أراد السلطان من أهل بلاد المليبار منع الناس من البيع والشراء أمر بعض غلمانه فعلق على الحوانيت بعض أغصان الاشجار بأوراقها فلا يبيع أحد ولا يشتري ما دامت عليها تلك الاغصان

﴿ ذكر الفلفل ﴾

وشجرات الفلفل شبيهة بدوالي العنب وهم يغرسونها ازاء النارجيل فتصعد فيها كصعود الدوالي الا انها ليس لها عسلوج وهو الغزل كالدوالي وأوراق شجره تشبه آذان الخيل وبعضها يشبه أوراق العليق ويثمر عناقيد صغارا حبها كحب أبي قنينه اذا كانت خضرا واذا كان أوان الخريف قطفوه وفرشوه على الحصر في الشمس كما يصنع بالعنب عند تزبيبه ولا يزالون يقلبونه حتى يستحكم يبسه ويسود ثم يبيعونه من التجار والعامة ببلادنا يزعمون انهم يقلونه بالنار وبسبب ذلك يحدث فيه التكريش وليس كذلك وانما يحدث ذلك فيه بالشمس ولقد رأيته بمدينة قالقوط يصب للكيل كالذرة ببلادنا وأول مدينة دخلناها من بلاد المليبار مدينة أبي سرور (بفتح السين) وهي صغيرة على خور كبير كثيرة أشجار النارجيل وكبير المسلمين بها الشيخ جمعة المعروف بأبي ستة أحد الكرماء أنفق أمواله على الفقراء والمساكين حتى نفدت وبعد يومين منها وصلنا الى مدينة فاكنور (وضبط اسمها بفتح الفاء والكاف والنون وآخره راء) مدينة كبيرة على خور بها قصب السكر الكثير الطيب الذي لا مثل له بتلك البلاد وبها جماعة من المسلمين يسمى كبيرهم بحسين السلاط وبها قاض وخطيب وعمر بها حسين المذكور مسجدا لاقامة الجمعة

﴿ ذكر سلطانها ﴾

وسلطان فاكنور كافر اسمه باسدو (بفتح الباء الموحدة والسين المهمل والدال المهمل وسكون الواو) وله نحو ثلاثين مركبا حربية قائدها مسلم يسمي لولا وكان من المفسدين يقطع بالبحر ويسلب التجار ولما أرسينا على فاكنور بعث سلطانها الينا ولده فأقام بالمركب كالرهينة ونزلنا اليه فأضافنا ثلاثا بأحسن ضيافة تعظيما لسلطان الهند وقياما بحقه ورغبة فيما يستفيده في التجارة مع أهل مراكبنا ومن عادتهم هنالك أن كل مركب يمر ببلد فلا بد من ارسائه بها واعطائه هديه لصاحب البلد يسمونها حق البندر ومن لم يفعل ذلك خرجوا في اتباعه بمراكبهم وأدخلوه المرسي قهرا وضاعفوا عليه المغرم ومنعوه عن

السفر ماشاؤا وسافرنا منها فوصلنا بعد ثلاثة أيام الى مدينة منجرور (وضبط اسمها بفتح الميم وسكون النون وفتح الجيم وضم الراء وواو وراء ثانية) مدينة كبيرة على خور يسمي خور الدنب (بضم الدال المهمل وسكون النون وباء موحدة) وهو أكبر خور ببلاد المليبار وبهذه المدينة ينزل معظم تجار فارس واليمن والفلفل والزنجبيل بها كثير جدا

﴿ ذكر سلطانها ﴾

وهو أكبر سلاطين تلك البلاد واسمه رامدو (بفتح الراء والميم والدال المهمل وسكون الواو) وبها نحو أربعة آلاف من المسلمين يسكنون ربضا بناحية المدينة وربما وقعت الحرب بينهم وبين أهل المدينة فيصلح السلطان بينهم لحاجته الى التجار وبها قاض من الفضلاء الكرماء شافعي المذهب يسمي بدر الدين المعبري وهو يقرئ العلم صعد الينا الى المركب ورغب منا في النزول الى بلده فقلنا حتي يبعث السلطان ولده يقيم بالمركب فقال انما فعل ذلك سلطان فاكنور لانه لا قوة للمسلمين في بلده وأما نحن فالسلطان يخافنا فابينا عليه الا ان بعث السلطان ولده فبعث ولده كما فعل الآخر ونزلنا اليهم وأكرمونا اكراما عظيما وأقمنا عندهم ثلاثة أيام ثم سافرنا الى مدينة هيلي فوصلناها بعد يومين (وضبط اسمها بهاء مكسور وياء مد ولام مكسور) وهي كبيرة حسنة العمارة على خور عظيم تدخله المراكب الكبار والى هذه المدينة تنتهي مراكب الصين ولا تدخل الا مرساها ومرسي كولم وقالقوط ومدينة هيلي معظمة عند المسلمين والكفار بسبب مسجدها الجامع فانه عظيم البركة مشرق النور وركاب البحر ينذرون له النذور الكثيرة وله خزانة مال عظيمة تحت نظر الخطيب حسين وحسن الوزان كبير المسلمين وبهذا المسجد جماعة من الطلبة يتعلمون العلم ولهم مرتبات من مال المسجد وله مطبخة يصنع فيها الطعام للوارد والصادر ولاطعام الفقراء من المسلمين بها ولقيت بهذا فقيها صالحا من أهل مقدشوا يسمى سعيدا حسن اللقاء والخلق يسرد الصوم وذكر لي انه جاور بمكة أربع عشرة سنة ومثلها بالمدينة وأدرك الامير بمكة أبا نمي والامير بالمدينة منصور بن جماز وسافر في بلاد الهند والصين

ثم سافرنا من هيلي الى مدينة جرفتن (وضبط اسمها بضم الجيم وسكون الراء وفتح الفاء وفتح التاء المثناة وتشديدها وآخره نون) وبينها وبين هيلي ثلاثة فراسخ ولقيت بها فقيهاً من أهل بغداد كبير القدر يعرف بالصرصري نسبة الى بلدة على مسافة عشر أميال من بغداد في طريق الكوفة واسمها كاسم صرصر التي عندنا بالمغرب وكان له أخ بهذه المدينة كثير المال له أولاد صغار أوصى اليه بهم وتركته آخذا في حملهم الى بغداد وعادة أهل الهند كعادة السودان لا يتعرضون لمال الميت ولو ترك الآلاف انما يبقى ماله بيد كبير المسلمين حتى يأخذه مستحقه شرعا

﴿ ذكر سلطانها ﴾

وهو يسمى بكويل (بضم الكاف على لفظ التصغير وهو من أكبر سلاطين المليبار وله مراكب كثيرة تسافر الى عمان وفارس واليمن ومن بلاده ده فتن وبدفتن وسنذكرهما وسرنا من جرفتن الى مدينة ده فتن (بفتح الدال المهمل وسكون الهاء) وقد ذكرنا ضبط فتن وهي مدينة كبيرة على خور كثيرة البساتين وبها النارجيل والفلفل والفوفل والتنبول وبها القلقاص الكثير ويطبخون به اللحم وأما الموز فلم أر في البلاد أكثر منه بها ولا أرخص ثمنا وفيها الباين الاعظم طوله خمسمائة خطوة وعرضه ثلاثمائة خطوة وهو مطوى بالحجارة الحمر المنحوتة وعلى جوانبه ثمان وعشرون قبة من الحجر في كل قبة أربع مجالس من الحجر وكل قبة يصعد اليها على درج حجارة وفي وسطه قبة كبيرة من ثلاث طبقات في كل طبقة أربع مجالس وذكر لي ان والد هذا السلطان كويل هو الذي عمر هذا الباين وبازائه مسجد جامع المسلمين وله أدراج ينزل منها اليه فيتوضأ منه الناس ويغتسلون وحدثني الفقيه حسين ان الذي عمر المسجد والباين أيضاً هو أحد أجداد كويل وانه كان مسلما ولاسلامه خبر عجيب نذكره

﴿ ذكر الشجرة العجيبة الشأن التي بازاء الجامع ﴾

ورأيت أنا بازاء الجامع شجرة خضراء ناعمة تشبه أوراقها أوراق التين الا انها لينة وعليها حائط يطيف بها وعندها محراب صليت فيه ركعتين واسم هذه الشجرة عندهم درخت

الشهادة ودرخت (بفتح الدال المهمل والراء وسكون الخاء المعجم وتاء مملوة) وأخبرت هنالك انه اذا كان زمان الخريف من كل سنة تسقط من هذه الشجرة ورقة واحدة بعد ان يستحيل لونها الى الصفرة ثم الى الحمرة ويكون فيها مكتوبا بقلم القدرة لا اله الا الله محمد رسول الله وأخبرني الفقيه حسين وجماعة من الثقات انهم عاينوا هذه الورقة وقرؤا المكتوب الذى فيها وأخبرني انه اذا كانت أيام سقوطها قعد تحتها الثقات من المسلمين والكفار فاذا سقطت أخذ المسلمون نصفها وجعل نصفها فى خزانة السلطان الكافر وهم يستشفون بها للمرضي وهذه الشجرة كانت سبب اسلام جد كويل الذى عمر المسجد والباين فانه كان يقرأ الخط العربي فلما قرأها وفهم ما فيها أسلم وحسن اسلامه وحكايته عندهم متواترة وحدثني الفقيه حسين ان أحد أولاده كفر بعد أبيه وطغي وأمر باقتلاع الشجرة من أصلها فاقتلعت ولم يترك لها أثر ثم انها نبتت بعد ذلك وعادت كأحسن ما كانت عليه وهلك الكافر سريعا ثم سافرنا الى مدينة بدفتن وهي مدينة كبيرة على خور كبير وبخارجها مسجد بمقربة من البحر يأوي اليه غرباء المسلمين لانه لا مسلم بهذه المدينة ومرساها من أحسن المراسي وماؤها عذب والفوفل بها كثير ومنها يحمل للهند والصين وأكثر أهلها براهمة وهم معظمون عند الكفار مبغضون فى المسلمين ولذلك ليس بينهم مسلم

﴿حكاية﴾

أخبرت ان سبب تركهم هذا المسجد غير مهدوم ان أحد البراهمة خرب سقفه ليصنع منه سقفا لبيته فاشتعلت النار في بيته فاحترق هو واولاده ومتاعه فاحترموا هذا المسجد ولم يعرضوا له بسوء بعدها وخدموه وجعلوا بخارجه الماء يشرب منه الصادر والوارد وجعلوا على بابه شبكة لئلا يدخله الطير ثم سافرنا من مدينة بدفتن الى مدينة فندرينا (وضبط اسمها بفاء مفتوح ونون ساكن ودال مهمل وراء مفتوحين وياء آخر الحروف) مدينة كبيرة حسنة ذات بساتين وأسواق وبها للمسلمين ثلاث محلات فى كل محلة مسجد والجامع بها على الساحل وهو عجيب له مناظر ومجالس على البحر وقاضيها وخطيبها رجل من أهل عمان وله أخ فاضل وبهذه البلدة تشتو مراكب الصين ثم سافرنا منها الى مدينة

قالقوط (وضبط اسمها بقافين وكسر اللام وضم القاف الثاني وآخره طاء مهمل) وهي احدى البنادر العظام ببلاد المليبار يقصدها أهل الصين والجاوة وسيلان والمهل وأهل اليمن وفارس ويجتمع بها تجار الآفاق ومرساها من أعظم مراسي الدنيا

﴿ ذكر سلطانها ﴾

وسلطانها كافر يعرف بالسامري شيخ السن يحلق لحيته كما يفعل طائفة من الروم رأيته بها وسنذكره ان شاء الله وأمير التجار بها ابراهيم شاه بندر من أهل البحرين فاضل ذو مكارم يجتمع اليه التجار ويأكلون في سماطه وقاضيها فخر الدين عثمان فاضل كريم وصاحب الزاوية بها الشيخ شهاب الدين الكازروني وبه تعطي النذور التي ينذر بها أهل الهند والصين للشيخ أبي اسحق الكازروني نفع الله به وبهذه المدينة الناخودة مثقال الشهير الاسم صاحب الاموال الطائلة والمراكب الكثيرة لتجارته بالهند والصين واليمن وفارس ولما وصلنا الى هذه المدينة خرج الينا ابراهيم شاه بندر والقاضي والشيخ شهاب الدين وكبار التجار ونائب السلطان الكافر المسمي بقلاج (بضم القاف وآخره جيم) ومعهم الاطبال والانفار والابواق والاعلام في مراكبهم ودخلنا المرسي في بروز عظيم ما رأيت مثله بتلك البلاد فكانت فرحة تتبعها ترحة وأقمنا بمرساها وبه يومئذ ثلاثة عشر من مراكب الصين ونزلنا بالمدينة وجعل كل واحد منا في دار وأقمنا ننتظر زمان السفر الي الصين ثلاثة أشهر ونحن في ضيافة الكافر وبحر الصين لا يسافر فيه الا بمراكب الصين ولنذكر ترتيبها

﴿ ذكر مراكب الصين ﴾

ومراكب الصين ثلاثة أصناف الكبار منها تسمي الجنوك واحدها جنك (بجيم معقود مضموم ونون ساكن) والمتوسطة تسمي الزو (بفتح الزاي وواو) والصغار يسمي أحدها الككم (بكافين مفتوحين) ويكون في المركب الكبير منها اثناعشر قلعا فما دونها الي ثلاثة وقلعها من قضبان الخيزران منسوجة كالحصر لا تحط أبدا ويديرونها بحسب دوران الريح واذا أرسوا تركوها واقفة في مهب الريح ويخدم في المركب منها ألف

رجل منهم البحرية ستمائة ومنهم أربعمائة من المقاتلة تكون فيهم الرماة وأصحاب الدرق والجرخية وهم الذين يرمون بالنفط ويتبع كل مركب كبير منها ثلاثة النصفي والثلثي والربعي ولا تصنع هذه المراكب الا بمدينة الزيتون من الصين أو بصين كلان وهي صين الصين وكيفية انشائها انهم يصنعون حائطين من الخشب يصلون ما بينهما بخشب ضخام جدا موصولة بالعرض والطول بمسامير ضخام طول المسمار منها ثلاثة أذرع فاذا التأم الحائطان بهذه الخشب صنعوا على أعلاهما فرش المركب الاسفل ودفعوهما في البحر وأتموا عمله وتبقى تلك الخشب والحائطان موالية للماء ينزلون اليها فيغتسلون ويقضون حاجتهم وعلى جوانب تلك الخشب يكون مجاذيفهم وهي كبار كالصواري يجتمع على أحدها العشرة والخمسة عشر رجلا ويجذفون وقوفا على أقدامهم ويجعلون للمركب أربعة ظهور ويكون فيه البيوت والمصاري والغرف للتجار والمصرية منها يكون فيها البيوت والسنداس وعليها المفتاح يسدها صاحبها ويحمل معه الجواري والنساء وربما كان الرجل في مصريته فلا يعرف به غيره ممن يكون بالمركب حتى يتلاقيا اذا وصلا الى بعض البلاد والبحرية يسكنون فيها أولادهم ويزدرعون الخضر والبقول والزنجبيل في أحواض خشب ووكيل المركب كأنه أمير كبير واذا نزل الى البر مشت الرماة والحبشة بالحراب والسيوف والاطبال والابواق والانفار أمامه واذا وصل الى المنزل الذي يقيم به ركزوا رماحهم عن جانبي بابه ولا يزالون كذلك مدة اقامته ومن أهل الصين من تكون له المراكب الكثيرة يبعث بها وكلاءه الى البلاد وليس في الدنيا أكثر أموالا من أهل الصين

﴿ ذكر أخذنا في السفر الى الصين ومنتهى ذلك ﴾

ولما حان وقت السفر الى الصين جهز لنا السلطان السامري جنكا من الجنوك الثلاث عشر التي بمرسى قالقوط وكان وكيل الجنك يسمى بسليمان الصفدي الشامي وبيني وبينه معرفة فقلت له أريد مصرية لا يشاركني فيها أحد لاجل الجواري ومن عادتي أن لا أسافر الا بهن فقال لي ان تجار الصين قد اكتروا المصاري ذاهبين وراجعين ولصهري مصرية

أعطيكها لكنها لا سنداس فيها وعسى أن تمكن معاوضتها فأمرت أصحابي فاوسقوا ما عندي من المتاع وصعد العبيد والجواري الى الجنك وذلك في يوم الخميس وأقمت لأصلي الجمعة والحق بهم وصعد الملك سنبل وظهير الدين مع الهدية ثم ان فتى لي يسمي بهلال أتاني غدوة الجمعة فقال ان المصرية التي أخذناها بالجنك ضيقة لا تصلح فذكرت ذلك للناخودة فقال ليست في ذلك حيلة فان أحببت أن تكون في الككم ففيه المصاري على اختيارك فقلت نعم وأمرت أصحابي فنقلوا الجواري والمتاع الى الككم واستقروا به قبل صلاة الجمعة وعادة هذا البحر أن يشتد هيجانه كل يوم بعد العصر فلا يستطيع أحد ركوبه وكانت الجنوك قد سافرت ولم يبق منها الا الذي فيه الهدية وجنك عزم أصحابه على أن يشتوا بفندرينا والككم المذكور فبتنا ليلة السبت على الساحل لا نستطيع الصعود الى الككم ولا يستطيع من فيه النزول الينا ولم يكن بقي معي الا بساط افترشه وأصبح الجنك والككم يوم السبت على بعد من المرسي ورمى البحر بالجنك الذي كان أهله يريدون فندرينا فتكسر ومات بعض أهله وسلم بعضهم وكانت فيه جارية لبعض التجار عزيزة عليه فرغب في اعطاء عشرة دنانير ذهبا لمن يخرجها وكانت قد التزمت خشبة في مؤخر الجنك فانتدب لذلك بعض البحرية الهرمزيين فاخرجها وأبى أن يأخذ الدنانير وقال انما فعلت ذلك لله تعالى ولما كان الليل رمى البحر بالجنك الذي كانت فيه الهدية فمات جميع من فيه ونظرنا عند الصباح الي مصارعهم ورأيت ظهير الدين قد انشق رأسه وتناثر دماغه والملك سنبل قد ضرب به مسمار في أحد صدغيه ونفذ من الآخر وصلينا عليهما ودفناهما ورأيت الكافر سلطان قالقوط وفي وسطه شقة بيضاء كبيرة قد لفها من سرته الى ركبته وفي رأسه عمامة صغيرة وهو حافي القدمين والشطر بيد غلام فوق رأسه والنار توقد بين يديه في الساحل وزبانيته يضربون الناس لئلا ينتهبوا ما يرمي البحر وعادة بلاد المليبار ان كل ما انكسر من مركب يرجع ما يخرج منه للمخزن الا في هذا البلد خاصة فان ذلك يأخذه أربابه ولذلك عمرت وكثر تردد الناس اليها ولما رأي أهل الككم ما حدث على الجنك رفعوا قلعهم وذهبوا ومعهم جميع متاعي وغلماني وجواري وبقيت منفردا على

الساحل ليس معي الا الفتى كنت أعتقته فلما رأى ما حل بي ذهب عني ولم يبق عندي الا العشرة الدنانير التى أعطانيها الجوكى والبساط التى كنت أفترشه وأخبرني الناس أن ذلك المركب لا بد له أن يدخل مرسى كولم فعزمت على السفر اليها وبينهما مسيرة عشر في البر أو في النهر أيضا لمن أراد ذلك فسافرت في النهر واكتريت رجلا من المسلمين يحمل لى البساط وعادتهم اذا سافروا في ذلك النهر ان ينزلوا بالعشى فيبيتوا بالقرى التى على حافتيه ثم يعودوا الى المركب بالغدو فكنا نفعل ذلك ولم يكن بالمركب مسلم الا الذى اكتريته وكان يشرب الخمر عند الكفار اذا نزلنا ويعربد على فيزيد تغيير خاطرى ووصلنا في اليوم الخامس من سفرنا الى كنجى كرى (وضبط اسمها بكاف مضموم ونون ساكن وجيم وياء مد وكاف مفتوح وراء مكسور وياء) وهى باعلى جبل هنالك يسكنها اليهود ولهم أمير منهم ويؤدون الجزية لسلطان كولم

﴿ ذكر القرفة والبقم ﴾

وجميع الاشجار التى على هذا النهر أشجار القرفة والبقم وهي حطبهم هنالك ومنها كنا نقد النار لطبخ طعامنا في ذلك الطريق وفي اليوم العاشر وصلنا الى مدينة كولم (وضبط اسمها بفتح الكاف واللام وبينهما واو) وهي من أحسن بلاد المليبار وأسواقها حسان وتجارها يعرفون بالصوليين (بضم الصاد) لهم أموال عريضة يشتري أحدهم المركب بما فيه ويوسقه من داره بالسلع وبها من التجار المسلمين جماعة كبيرهم علاء الدين الاوجي من أهل آوة من بلاد العراق وهو رافضي ومعه أصحاب له على مذهبه وهم يظهرون ذلك وقاضيها فاضل من أهل قزوين وكبير المسلمين بها محمد شاه بندر وله أخ فاضل كريم اسمه تقي الدين والمسجد الجامع بها عجيب عمره التاجر خواجه مهذب وهذه المدينة أول ما يوالى الصين من بلاد المليبار واليها يسافر أكثرهم والمسلمون بها أعزة محترمون

﴿ ذكر سلطانها ﴾

وهو كافر يعرف بالتيروري (بكسر التاء المعلوة وياء مد وراء مفتوحين وراء مكسور

وباء) وهو معظم للمسلمين وله أحكام شديدة على العراق والدعار ﴿ حكاية ﴾

ومما شاهدت بكولم ان بعض الرماة العراقيين قتل آخر منهم وفر الى دار الاوجي وكان له مال كثير وأراد المسلمون دفن المقتول فمنعهم نواب السلطان من ذلك وقالوا لا يدفن حتى تدفعوا لنا قاتله فيقتل به وتركوه في تابوته على باب الاوجي حتى أنتن وتغير فمكنهم الاوجي من القاتل ورغب منهم أن يعطيهم أمواله ويتركوه حيا فأبوا ذلك وقتلوه وحينئذ دفن المقتول

﴿ حكاية ﴾

أخبرت ان سلطان كولم ركب يوما الى خارجها وكان طريقه فيما بين البساتين ومعه صهره زوج بنته وهو من أبناء الملوك فأخذ حبة واحدة من العنبة سقطت من بعض البساتين وكان السلطان ينظر اليه فأمر به عند ذلك فوسط وقسم نصفين وصلب نصفه عن يمين الطريق ونصفه الآخر عن يساره وقسمت حبة العنبة نصفين فوضع عن كل نصف منه نصف منها وترك هنالك عبرة للناظرين

﴿ حكاية ﴾

ومما اتفق نحو ذلك بقالقوط ان ابن أخي النائب عن سلطانها غصب سيفا لبعض تجار المسلمين فشكا بذلك الى عمه فوعده بالنظر في أمره وقعد على باب داره فاذا بابن أخيه متقلد ذلك السيف فدعاه فقال هذا سيف المسلم قال نعم قال اشتريته منه قال لا فقال لأعوانه امسكوه ثم أمر به فضربت عنقه بذلك السيف وأقمت بكولم مدة بزاوية الشيخ فخر الدين ابن الشيخ شهاب الدين الكازروني شيخ زاوية قالقوط فلم أتعرف للككم خبرا وفي أثناء مقامي بها دخل اليها ارسال ملك الصين الذين كانوا معنا وكانوا مع أحد تلك الجنوك فانكسر أيضا فكساهم تجار الصين وعادوا الى بلادهم ولقيتهم بها بعد واردت أن أعود من كولم الى السلطان لاعلمه بما اتفق على الهدية ثم خفت ان يتعقب فعلي ويقول لم فارقت الهدية فعزمت على العودة الى السلطان جمال الدين الهنوري وأقيم عنده حتى أتعرف خبر الككم فعدت الى قالقوط ووجدت بها بعض مراكب السلطان فبعث فيها أميرا من العرب يعرف بالسيد أبي الحسن وهو من البرددارية وهم خواص البوابين بعثه السلطان بأموال يستجلب بها من قدر عليه من العرب من أرض هرمز والقطيف لمحبته في العرب

فتوجهت الى هذا الامير ورأيته عازما على ان يشتو بقالقوط وحينئذ يسافر الى بلاد العرب فشاورته في العودة الى السلطان فلم يوافق على ذلك فسافرت بالبحر من قالقوط وذلك آخر فصل السفر فيه فكنا نسير نصف النهار الاول ثم نرسوا الى الغد ولقينا في طريقنا أربعة أجفان غزوية فخفنا منها ثم لم يعرضوا النا بشر ووصلنا الى مدينة هنور فنزلت الى السلطان وسلمت عليه فانزلني بدار ولم يكن لي خديم وطلب مني ان أصلي معه الصلوات فكان أكثر جلوسي في مسجده وكنت أختم القرآن كل يوم ثم كنت أختم مرتين في اليوم أبتدئ القراءة بعد صلاة الصبح فأختم عند الزوال وأجدد الوضوء وأبتدئ القراءة فاختم الختمة الثانية عند الغروب ولم أزل كذلك مدة ثلاثة أشهر واعتكفت فيها أربعين يوما

﴿ ذكر توجهنا الى الغزو وفتح سندابور ﴾

وكان السلطان جمال الدين قد جهز اثنين وخمسين مركبا وسفرته برسم غزو سندابور وكان وقع بين سلطانها وولده خلاف فكتب ولده الى السلطان جمال الدين ان يتوجه لفتح سندابور ويسلم الولد المذكور ويزوجه السلطان أخته فلما تجهزت المراكب ظهر لي ان أتوجه فيها الي الجهاد ففتحت المصحف أنظر فيه فكان في أول الصفح يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره فاستبشرت بذلك وأتي السلطان الى صلاة العصر فقلت له إني أريد السفر فقال فأنت اذا تكون أميرهم فاخبرته بما خرج لي في أول الصفح فأعجبه ذلك وعزم على السفر بنفسه ولم يكن ظهر له ذلك قبل فركب مركبا منها وأنا معه وذلك في يوم السبت فوصلنا عشي الاثنين الى سندابور ودخلنا خورها فوجدنا أهلها مستعدين للحرب وقد نصبوا المجانيق فبتنا عليها تلك الليلة فلما أصبح ضربت الطبول والانفار والابواق وزحفت المراكب ورمت عليها بالمجانيق فلقد رأيت حجرا أصاب بعض الواقفين بقربة من السلطان ورمى أهل المراكب أنفسهم في الماء وبأيديهم الترسة والسيوف ونزل السلطان الي العكيري وهو شبه الشلير ورميت بنفسي في الماء في جملة الناس وكان عندنا طريدتان مفتوحتي المواخر فيها الخيل وهي بحيث يركب الفارس فرسه

في جوفها ويتدرع ويخرج ففعلوا ذلك وأذن الله في فتحها وأنزل النصر على المسلمين فدخلنا بالسيف ودخل معظم الكفار في قصر سلطانها فرمينا النار فيه فخرجوا وقبضنا عليهم ثم ان السلطان أمنهم ورد لهم نساءهم وأولادهم وكانوا نحو عشرة آلاف وأسكنهم بربض المدينة وسكن السلطان القصر وأعطي الديار بمقربة منه لاهل دولته وأعطاني جارية منهن تسمي لمكي فسميتها مباركة وأراد زوجها فداءها فأبيت وكساني فرجية مصرية وجدت في خزائن الكافر وأقمت عنده بسندابور من يوم فتحها وهو الثالث عشر لجمادي الاولى الى منتصف شعبان وطلبت منه الاذن في السفر فأخذ على العهد في العودة اليه وسافرت في البحر الى هنور ثم الى فاكنور ثم الى منجرور ثم الى هيلي ثم الى جرفتن ودهفتن وبدفتن وفندرينا وقالقوط وقد تقدم ذكر جميعها ثم الى مدينة الشاليات (وهي بالشين المعجم وألف ولام وياء آخر الحروف وألف وتاء معلوة) مدينة من حسان المدن تصنع بها الثياب المنسوبة لها وأقمت بها فطال مقامي فعدت الى قالقوط ووصل اليها غلامان كانا لي بالكم فأخبراني ان الجارية التي كانت حاملا وبسببها كان تغير خاطري توفيت وأخذ صاحب الجاوة سائر الجواري واستولت الأيدي على المتاع وتفرق أصحابي الى الصين والجاوة وبنجالة فعدت لما تعرفت هذا الى هنور ثم الى سندابور فوصلتها في آخر المحرم وأقمت بها الى الثاني من شهر ربيع الآخر وقدم سلطانها الكافر الذي دخلنا عليه برسم أخذها وهرب اليه الكفار كلهم وكانت عساكر السلطان متفرقة في القري فانقطعوا عنا وحصرنا الكفار وضيقوا علينا ولما اشتد الحال خرجت عنها وتركتها محصورة وعدت الى قالقوط وعزمت على السفر الى ذيبة المهل وكنت أسمع بأخبارها فبعد عشرة أيام من ركوبنا البحر بقالقوط وصلنا جزائر ذيبة المهل وذيبة على لفظ مؤنث الذيب والمهل (بفتح الميم والهاء) وهذه الجزائر احدي عجائب الدنيا وهي نحو ألفي جزيرة ويكون منها مائة فما دونها مجتمعات مستديرة كالحلقة لها مدخل كالباب لا تدخل المراكب الامنه واذا وصل المركب الى احداها فلابد له من دليل من أهلها يسير به الى سائر الجزائر وهي من التقارب بحيث تظهر رؤس النخل

التي باحداها عند الخروج من الاخرى فان أخطأ المركب سمتها لم يمكنه دخولها وحملته الريح الى المعبر أو سيلان وهذه الجزائر أهلها كلهم مسلمون ذوو ديانة وصلاح وهي منقسمة الى أقاليم على كل إقليم وال يسمونه الكردوني ومن أقاليمها اقليم بالبور (وهو بباءين معقودتين وكسر اللام وآخره راء) ومنها كنلوس (بفتح الكاف والنون مع تشديدها وضم اللام وواو وسين مهمل) ومنها اقليم المهل وبه تعرف الجزائر كلها وبها يسكن سلاطينها ومنها اقليم تلاديب (بفتح التاء المعلوة واللام وألف ودال مهمل وياء مدو باء موحدة) ومنها اقليم كرايدو (بفتح الكاف والراء وسكون الياء المسفولة وضم الدال المهمل وواو) ومنها اقليم التيم (بفتح التاء المعلوة وسكون الياء المسفولة) ومنها اقليم تلدمتي (بفتح التاء المعلوة الاولى واللام وضم الدال المهمل وفتح الميم وتشديدها وكسر التاء الاخرى وياء) ومنها اقليم هلدمتي وهو مثل لفظ الذي قبله الا ان الهاء أوله ومنها اقليم بريدو (بفتح الباء الموحدة والراء وسكون الياء وضم الدال المهمل وواو) ومنها اقليم كندكل (بفتح الكافين والدال المهمل وواو) ومنها اقليم ملوك (بضم الميم) ومنها اقليم السويد (بالسين المهمل) وهو أقصاها وهذه الجزائر كلها لا زرع بها الا ان في اقليم السويد منها زرعا يشبه انلي ويجلب منه الى المهل وانما أكل أهلها سمك يشبه الليرون يسمونه قلب الماس (بضم القاف) ولحمه أحمر ولا زفر له انما ريحه كريح لحم الانعام واذا اصطادوه قطعوا السمكة منه أربع قطع وطبخوه يسيرا ثم جعلوه في مكاتيل من سعف النخل وعلقوه للدخان فاذا استحكم يبسه أكلوه ويحمل منه الى الهند والصين واليمن ويسمونه قلب الماس (بضم القاف)

﴿ ذكر أشجارها ﴾

ومعظم أشجار هذه الجزائر النارجيل وهو من أقواتهم مع السمك وقد تقدم ذكره وأشجار النارجيل شأنها عجيب وتثمر النخلة منها اثني عشر عذقا في السنة يخرج في كل شهر عذق فيكون بعضها صغيرا وبعضها كبيرا وبعضها يابسا وبعضها أخضر هكذا أبدا ويصنعون منه الحليب والزيت والعسل حسبما ذكرنا ذلك في السفر الاول ويصنعون من

عسله الحلواء فيأكلونها مع الجوز اليابس منه ولذلك كله وللسمك الذي يغتذون به قوة عجيبة في الباءة لا نظير لها ولأهل هذه الجزائر عجب في ذلك ولقد كان لي بها أربع نسوة وجوار سواهن فكنت أطوف على جميعهن كل يوم وأبيت عند من تكون ليلتها وأقمت بها سنة ونصف أخرى على ذلك ومن أشجارها الجموح والأترج والليموز والقلقاص وهم يصنعون من أصوله دقيقا يعملون منه شبه الأطرية ويطبخونها بحليب النارجيل وهي من أطيب طعام كنت أستحسنها كثيرا وآكلها

﴿ذكر أهل هذه الجزائر وبعض عوائدهم وذكر مساكنهم﴾

وأهل هذه الجزائر أهل صلاح وديانة وإيمان صحيح ونية صادقة أكلهم حلال ودعاؤهم مجاب واذا رأى الانسان أحدهم قال له الله ربي ومحمد نبيي وأنا أمي مسكين وأبدانهم ضعيفة ولا عهد لهم بالقتال والمحاربة وسلاحهم الدعاء ولقد أمرت مرة بقطع يد سارق بها فغشي على جماعة منهم كانوا بالمجلس ولا تطرقهم لصوص الهند ولا تذعرهم لانهم جربوا ان من أخذ لهم شيئاً أصابته مصيبة عاجلة واذا أتت أجفان العدو الى ناحيتهم أخذوا من وجدوا من غيرهم ولم يعرضوا لاحد منهم بسوء وان أخذ أحد الكفار ولو ليمونة عاقبه أمير الكفار وضربه الضرب المبرح خوفا من عاقبة ذلك ولولا هذا لكانوا أهون الناس على قاصدهم بالقتال لضعف بنيتهم وفي كل جزيرة من جزائرهم المساجد الحسنة وأكثر عمارتهم بالخشب وهم أهل نظافة وتنزه عن الأقذار وأكثرهم يغتسلون مرتين في اليوم تنظفا لشدة الحر بها وكثرة العرق ويكثرون من الأدهان العطرية كالصندلية وغيرها ويتلطخون بالغالية المجلوبة من مقدشو ومن عادتهم انهم اذا صلوا الصبح أتت كل امرأة الى زوجها أو ابنها بالمكحلة وبماء الورد ودهن الغالية فيكحل عينيه ويدهن بماء الورد ودهن الغالية فتصقل بشرته وتزيل الشحوب عن وجهه ولباسهم فوط يشدون الفوطة منها على أوساطهم عوض السراويل ويجعلون على ظهورهم ثياب الوليان (بكسر الواو وسكون اللام وياء آخر الحروف) وهي شبه الاحرام وبعضهم يجعل عمامة وبعضهم منديلا صغيرا عوضا منها واذا لقي أحدهم

القاضي أو الخطيب وضع ثوبه عن كتفيه وكشف ظهره ومضي معه كذلك حتى يصل الى منزله ومن عوائدهم انه اذا تزوج الرجل منهم ومضي الى دار زوجته بسطت له ثياب القطن من باب دارها الي باب البيت وجعل عليها غرفات من الودع عن يمين طريقه الى البيت وشماله وتكون المرأة واقفة عند باب البيت تنتظره فاذا وصل اليها رمت على رجليه ثوبا يأخذه خدامه وان كانت المرأة هي التي تأتي الى منزل الرجل بسطت داره وجعل فيها الودع ورمت المرأة عند الوصول اليه الثوب على رجليه وكذلك عادتهم في السلام على السلطان عندهم لا بد من ثوب يرمي عند ذلك وسنذكره وبنيانهم بالخشب ويجعلون سطوح البيوت مرتفعة عن الارض توقيا من الرطوبات لان أرضهم ندية وكيفية ذلك ان ينحتوا حجارة يكون طول الحجر منها ذراعين أو ثلاثة ويجعلونها صفوفا ويعرضون عليها خشب النارجيل ثم يصنعون الحيطان من الخشب ولهم صناعة عجيبة في ذلك ويبنون فى اسطوان الدار بيتا يسمونه المالم (بفتح اللام) يجلس الرجل به مع أصحابه ويكون له بابان أحدهما الى جهة الاسطوان يدخل منه الناس والآخر الى جهة الدار يدخل منه صاحبها ويكون عند هذا البيت خابية مملوءة ماء ولها مستقى يسمونه الولنج (بفتح الواو واللام وسكون النون وجيم) هو من قشر جوز النارجيل وله نصاب طوله ذراعان وبه يسقون الماء من الآبار لقربها وجميعهم حفاة الاقدام من رفيع ووضيع وازقتهم مكنوسة نقية تظللها الاشجار فالماشي بها كانه في بستان ومع ذلك لا بد لكل داخل الى الدار ان يغسل رجليه بالماء الذى فى الخابية بالمالم ويمسحها بحصير غليظ من الليف يكون هنالك ثم يدخل بيته وكذلك يفعل كل داخل الى المسجد ومن عوائدهم اذا قدم عليهم مركب أن تخرج اليه الكنادر وهي القوارب الصغار واحدها كندرة (بضم الكاف والدال) وفيها أهل الجزيرة معهم التنبول والكزنبة وهي جوز النارجيل الاخضر فيعطي الانسان منهم ذلك لمن شاء من أهل المركب ويكون نزيله ويحمل أمتعته الى داره كانه بعض أقربائه ومن أراد التزوج من القادمين عليهم تزوج فاذا حان سفره طلق المرأة لانهن لا يخرجن عن بلادهن ومن لم يتزوج فالمرأة التى ينزل بدارها تطبخ له وتخدمها

وتزوده اذا سافر وترضي منه في مقابلة ذلك بأيسر شيء من الاحسان وفائدة المخزن ويسمونه البندر أن يشتري من كل سلعة بالمركب حظا بسوم معلوم سواء كانت السلعة تساوي ذلك أو أكثر منه ويسمونه شرع البندر ويكون للبندر بيت في كل جزيرة من الخشب يسمونه البجنصار (بفتح الباء الموحدة والجيم وسكون النون وفتح الصاد المهمل وآخره راء) يجمع به الوالي وهو الكردوري جميع سلعه ويبيع بها ويشتري وهم يشترون الفخار اذا جلب لديهم بالدجاج فتباع عندهم القدر بخمس دجاجات وست وتحمل المراكب من هذه الجزائر السمك الذي ذكرناه وجوز النارجيل والفوط والوليان والعمائم وهي من القطن ويحملون منها أواني النحاس فانها عندهم كثيرة ويحملون الودع ويحملون القنبر (بفتح القاف وسكون النون وفتح الباء الموحدة والراء) وهو ليف جوز النارجيل وهم يدبغونه في حفر على الساحل ثم يضربونه بالمرازب ثم يغزله النساء وتصنع منه الحبال لخياطة المراكب وتحمل الى الصين والهند واليمن وهو خير من القنب وبهذه الحبال تخاط مراكب الهند واليمن لان ذلك البحر كثير الحجارة فان كان المركب مسمرا بمسامير الحديد صدم الحجارة فانكسر واذا كان مخيطا بالحبال أعطي الرطوبة فلم ينكسر وصرف أهل هذه الجزائر الودع وهو حيوان يلتقطونه في البحر ويضعونه في حفر هنالك فيذهب لحمه ويبقى عظمه أبيض ويسمون المائة منه سياه (بسين مهمل وياء آخر الحروف) ويسمون السبعمائة منه الفال (بالفاء) ويسمون الاثني عشر ألفا منه الكتي (بضم الكاف وتشديد التاء المثناة) ويسمون المائة ألف منه بستو (بضم الباء الموحدة والتاء الموحدة وبينهما سين مهمل) ويباع بها بقيمة أربعة بساتي بدينار من الذهب وربما رخص حتي يباع عشر بساتي منه بدينار ويبيعونه من أهل بنجالة بالأرز وهو أيضا صرف أهل بلاد بنجالة ويبيعونه من أهل اليمن فيجعلونه عوض الرمل في مراكبهم وهذا الودع أيضا هو صرف السودان في بلادهم رأيته يباع بمالي وجوجو بحساب ألف ومائة وخمسين للدينار الذهبي

﴿ ذكر نسائها ﴾

نساؤها لا يغطين رؤسهن ولا سلطانتهم تغطي رأسها ويمشطن شعورهن ويجمعنها الى

جهة واحدة ولا يلبسن أكثر من الافوطة واحدة تستر هامن السرة الى أسفل وسائر أجسادهن مكشوفة وكذلك يمشين في الاسواق وغيرها ولقد جهدت لما وليت القضاء بها ان أقطع تلك المادة وآمرهن باللباس فلم أستطع ذلك فكنت لا تدخل الي منهن امرأة في خصومة الا مستترة الجسد وما عدا ذلك لم تكن لي عليه قدرة ولباس بعضهن قمص زائدة على الفوطة وقمصهن قصار الاكمام عراضها وكان لي جوار كسوتهن لباس أهل دهلي يغطين رؤسهن فما بهن ذلك أكثر مما زانهن اذا لم يتعودنه وحليهن الأساور تجعل المرأة منها جملة في ذراعيها بحيث تملأ ما بين الكوع والمرفق وهي من الفضة ولا يجعل أساور الذهب الا نساء السلطان وأقاربه ولهن الخلاخيل ويسمونها البايل (بياء موحدة وألف وياء آخر الحروف مكسورة) وقلائل ذهب يجعلنها على صدورهن ويسمونها البسدرد (بالباء الموحدة وسكون السين المهمل وفتح الدال المهمل والراء) ومن عجيب أفعالهن انهن يؤجرن أنفسهن للخدمة بالديار على عدد معلوم من خمسة دنانير فما دونها على مستأجرهن نفقتهن ولا يرين ذلك عيبا ويفعله أكثر بناتهم فتجد في دار الانسان الغني منهن العشرة والعشرين وكل ما تكسره من الاواني يحسب عليها قيمته واذا أرادت الخروج من دار الى دار أعطاها أهل الدار التي تخرج اليها العدد الذي هي مرتهنة فيه فتدفعه لاهل الدار التي خرجت منها ويبقى عليها للآخرين وأكثر شغل هؤلاء المستأجرات غزل القنبر والتزوج بهذه الجزائر سهل لنزارة الصداق وحسن معاشرة النساء وأكثر الناس لا يسمي صداقا انما تقع الشهادة ويعطي صداق مثلها واذا قدمت المراكب تزوج أهلها النساء فاذا أرادوا السفر طلقوهن وذلك نوع من نكاح المتعة وهن لا يخرجن عن بلادهن أبدا ولم أر في الدنيا أحسن معاشرة منهن ولا تكل المرأة عندهم خدمة زوجها الى سواها بل هي تأتيه بالطعام وترفعه من بين يديه وتغسل يده وتأتيه بالماء للوضوء وتغم رجليه عند النوم ومن عوائدهن أن لا تأكل المرأة مع زوجها ولا يعلم الرجل ما تأكله المرأة ولقد تزوجت بها نسوة فأكل معي بعضهن بعد محاولة وبعضهن لم تأكل معي ولا استطعت ان أراها تأكل ولا نفعتني حيلة في ذلك

﴿ ذكر السبب في اسلام أهل هذه الجزائر ﴾
﴿ وذكر العفاريت من الجن التى تضر بها في كل شهر ﴾

حدثني الثقات من أهلها كالفقيه عيسى اليمني والفقيه المعلم علي والقاضي عبد الله وجماعة سواهم أن هذه الجزائر كانوا كفارا وكان يظهر لهم في كل شهر عفريت من الجن يأتي من ناحية البحر كانه مركب مملوء بالقناديل وكانت عادتهم اذا رأوه أخذوا جارية بكرا فزينوها وادخلوها الى بدخانة وهي بيت الاصنام وكان مبنيا على ضفة البحر وله طاق ينظر اليه منه ويتركونها هنالك ليلة ثم يأتون عند الصباح فيجدونها مفتضة ميتة ولايزالون في كل شهر يقترعون بينهم فمن أصابته القرعة أعطي بنته ثم انه قدم عليهم مغربي يسمي بأبي البركات البربري وكان حافظا للقرآن العظيم فنزل بدار عجوز منهم بجزيرة المهل فدخل عليها يوما وقد جمعت أهلها وهن يبكين كانهن في مأتم فاستفهمهن عن شأنهن فلم يفهمنه فأتى ترجمان فأخبره ان العجوز كانت القرعة عليها وليس لها الا بنت واحدة يقتلها العفريت فقال لها أبو البركات أنا أتوجه عوضا من بنتك بالليل وكان سناطا لا لحية له فاحتملوه تلك الليلة وأدخلوه الى بدخانة وهو متوضئ وأقام يتلو القرآن ثم ظهر له العفريت من الطاق فداوم التلاوة فلما كان منه بحيث يسمع القراءة غاص في البحر وأصبح المغربي وهو يتلو على حاله فجاءت العجوز وأهلها وأهل الجزيرة ليستخرجوا البنت على عادتهم فيحرقوها فوجدوا المغربي يتلو فمضوا به الى ملكهم وكان يسمي شنورازة (بفتح الشين المعجم وضم النون وواو وراء وألف وزاي وهاء) وأعلموه بخبره فعجب منه وعرض المغربي عليه الاسلام ورغبه فيه فقال أقم عندنا الى الشهر الآخر فان فعلت كفعلك ونجوت من العفريت أسلمت فأقام عندهم وشرح الله صدر الملك للاسلام فأسلم قبل تمام الشهر وأسلم أهله وأولاده وأهل دولته ثم حمل المغربي لما دخل الشهر الى بدخانة ولم يأت العفريت فجعل يتلو حتى الصباح وجاء السلطان والناس معه فوجدوه على حاله من التلاوة فكسروا الاصنام وهدموا بدخانة وأسلم أهل الجزيرة وبعثوا الى سائر الجزائر فأسلم أهلها وأقام المغربي عندهم معظما وتمذهبوا بمذهبه مذهب الامام مالك رضى الله عنه

وهم الى هذا العهد يعظمون المغاربة بسببه وبنى مسجدا هو معروف باسمه وقرأت على مقصورة الجامع منقوشا فى الخشب أسلم السلطان أحمد شنورازة على يد أبى البركات البربري المغربى وجعل ذلك السلطان ثلث مجابي الجزائر صدقة على أبناء السبيل اذ كان اسلامه بسببهم فسمي على ذلك حتى الآن وبسبب هذا العفريت خرب من هذه الجزائر كثير قبل الاسلام ولما دخلناها لم يكن لي علم بشأنه فبينا أنا ليلة في بعض شأني اذ سمعت الناس يجهرون بالتهليل والتكبير ورأيت الاولاد وعلى رؤسهم المصاحف والنساء يضربون في الطسوت وأواني النحاس فعجبت من فعلهم وقلت ماشأنكم فقالوا ألا تنظر الى البحر فنظرت فاذا مثل المركب الكبير وكأنه مملوء سرجا ومشاعل فقالوا ذلك العفريت وعادته أن يظهر مرة في الشهر فاذا فعلنا ما رأيت انصرف عنا ولم يضرنا

﴿ ذكر سلطانة هذه الجزائر ﴾

ومن عجائبها ان سلطانتها امرأة وهي خديجة بنت السلطان جلال الدين عمر بن السلطان صلاح الدين صالح البنجالى وكان الملك لجدها ثم لابيها فلما مات أبوها ولى أخوها شهاب الدين وهو صغير السن فتزوج الوزير عبدالله بن محمد الحضرمى أمه وغلب عليه وهو الذى تزوج أيضا هذه السلطانة خديجة بعد وفاة زوجها الوزير جمال الدين كما سنذكره فلما بلغ شهاب الدين مبلغ الرجال أخرج ربيبه الوزير عبدالله ونفاه الى جزائر السويد واستقل بالملك واستوزر أحد مواليه ويسمي على كلكي ثم عزله بعد ثلاثة أعوام ونفاه الى السويد وكان يذكر عن السلطان شهاب الدين المذكور انه يختلف الى حرم أهل دولته وخواصه بالليل فخلعوه لذلك ونفوه الى اقليم هلدتنى وبعثوا من قتله بها ولم يكن بقى من بيت الملك الا اخواته خديجة الكبرى ومريم وفاطمة فقدموا خديجة سلطانه وكانت متزوجة لخطيبهم جمال الدين فصار وزيرا وغالبا على الامر وقدم ولده محمدا للخطابة عوضا منه ولكن الاوامر انما تنفذ باسم خديجة وهم يكتبون الاوامر في سعف النخل بحديدة معوجة شبه السكين ولا يكتبون في الكاغد الا المصاحف وكتب العلم ويذكرها الخطيب يوم الجمعة وغيرها فيقول اللهم انصر أمتك التى اخترتها على علم على

العالمين وجعلها رحمة لكافة المسلمين الا وهي السلطانة خديجة بنت السلطان جلال الدين ابن السلطان صلاح الدين ومن عادتهم اذا قدم الغريب عليهم ومضى الى المشور وهم يسمونه الدار فلابد له أن يستصحب ثوبين فيخدم لجهة هذه السلطانة ويرمي باحدهما ثم يخدم لوزيرها وهو زوجها جمال الدين ويرمي بالثاني وعسكرها نحو ألف انسان من الغرباء وبعضهم بلديون ويأتون كل يوم الى الدار فيخدمون وينصرفون ومرتبهم الأرز يعطاهم من البندر في كل شهر فاذا تم الشهر أتوا الدار وخدموا وقالوا للوزير بلغ عنا الخدمة وأعلم بأنا أتينا نطلب مرتبنا فيؤمر لهم بها عند ذلك ويأتي أيضاً الى الدار كل يوم القاضي وأرباب الخطط وهم الوزراء عندهم فيخدمون ويبلغ خدمتهم الفتيان وينصرفون

﴿ ذكر أرباب الخطط وسيرهم ﴾

وهم يسمون الوزير الاكبر النائب عن السلطانه كلكي (بفتح الكاف الاولى واللام) ويسمون القاضي فنديارقالوا (وضبط ذلك بفاء مفتوح ونون مسكن ودال مهمل مفتوح وياء آخر الحروف وألف وراء وقاف وألف ولام مضموم) واحكامهم كلها راجعة الى القاضي وهو أعظم عندهم من الناس أجمعين وأمره ممتثل كأمر السلطان وأشد ويجلس على بساط في الدار وله ثلاثة جزائر يأخذ مجباها لنفسه عادة قديمة أجراها السلطان أحمد شنورازة ويسمون الخطيب هنديجري (وضبط ذلك بفتح الهاء وسكون النون وكسر الدال وياء مد وجيم مفتوح وراء وياء) ويسمون صاحب الديوان الفاملداري (بفتح الفاء والميم والدال المهمل) ويسمون صاحب الاشغال مافاكلوا (بفتح الميم والكاف وضم اللام) ويسمون الحاكم فتنايك (بكسر الفاء وسكون التاء المعلوة وفتح النون وألف وياء آخر الحروف مفتوحة أيضا وكاف) ويسمون قائد البحر مانايك (بفتح الميم والنون والياء) وكل هؤلاء يسمي وزيرا ولا سجن عندهم بتلك الجزائر انما يحبس أرباب الجرائم في بيوت خشب هي معدة لامتعة التجار ويجعل أحدهم في خشبة كما يفعل عندنا بأساري الروم

﴿ ذكر وصولي الى هذه الجزائر وتنقل حالي بها ﴾

ولما وصلت اليها نزلت منها بجزيرة كنلوس وهي جزيرة حسنة فيها المساجد الكثيرة
ونزلت بدار رجل من صلحائها وأضافني بها الفقيه علي وكان فاضلا له أولاد من طلبة العلم
ولقيت بها رجلا اسمه محمد من أهل ظفار الحموض فأضافني وقال لي ان دخلت جزيرة
المهل أمسكك الوزير بها فانهم لا قاضي عندهم وكان غرضي أن أسافر منها الى المعبر
وسرنديب وبنجالة ثم الى الصين وكان قدومي عليها في مركب الناخودة عمر الهنوري
وهو من الحجاج الفضلاء ولما وصلنا كنلوس أقام بها عشرا ثم اكترى كندرة يسافر
فيها الى المهل بهدية للسلطانة وزوجها فاردت السفر معه فقال لا تسعك الكندرة أنت
وأصحابك فان شئت السفر منفردا عنهم فدونك فابيت ذلك وسافر فلعبت به الريح وعاد
الينا بعد أربعة أيام وقد لقي شدائد فاعتذر لي وعزم علي في السفر معه بأصحابي فكنا نرحل
غدوة فننزل في وسط النهار ببعض الجزائر ونرحل فنبيت باخرى ووصلنا بعد أربعة أيام الى
اقليم التيم وكان الكردوي يسمى بها هلالا فسلم علي وأضافني وجاء الي ومعه أربعة رجال وقد
جعل اثنان عليهم عودا على أكتافهما وعلقا منه أربع دجاجات وجعل الآخران عودا
مثله وعلقا منه نحو عشر من جوز النارجيل فعجبت من تعظيمهم لهذا الشيء الحقير
فاخبرت انهم صنعوه على جهة الكرامة والاجلال ورحلنا عنهم فنزلنا في اليوم السادس
بجزيرة عثمان وهو رجل فاضل من خيار الناس فاكرمنا وأضافنا وفي اليوم الثامن نزلنا
بجزيرة لوزير يقال له التلمدي وفي اليوم العاشر وصلنا الي جزيرة المهل حيث السلطانة
وزوجها وأرسينا بمرساها وعادتهم أن لا ينزل أحد عن المرسى الا باذنهم فأذنوا لنا بالنزول
وأردت التوجه الى بعض المساجد فمنعني الخدام الذين بالساحل وقالوا لا بد من الدخول
الى الوزير وكنت أوصيت الناخودة أن يقول اذا سئل عني لا أعرفه خوفا من امساكهم
اياي ولم أعلم ان بعض أهل الفضول قد كتب اليهم معرفا بخبري واني كنت قاضيا بدهلي فلما
وصلنا الى الدار وهو المشور نزلنا في سقائف على الباب الثالث منه وجاء القاضي عيسى
اليمني فسلم علي وسلمت على الوزير وجاء الناخودة ابراهيم بعشرة أثواب نخدم الجهة

السلطانة ورمى بثوب منها ثم خدم للوزير ورمى بثوب آخر كذلك ورمى بجميعها وسئل عنى فقال لا أعرفه ثم أخرجوا الينا التنبول وماء الورد وذلك هو الكرامة عندهم وأنزلنا بدار وبعث الينا الطعام وهو قصعة كبيرة فيها الارز وتدور بها صحاف فيها اللحم الخليع والدجاج والسمن والسمك ولما كان بالغد مضيت مع الناخودة والقاضى عيسى اليمنى لزيارة زاوية فى طرف الجزيرة عمرها الشيخ الصالح نجيب وعدنا ليلا وبعث الوزير الي صبيحة تلك الليلة كسوة وضيافة فيها الارز والسمن والخليع وجوز النارجيل والعسل المصنوع منها وهم يسمونه القرباني (بضم القاف وسكون الراء وفتح الباء الموحدة وألف ونون وياء) ومعنى ذلك ماء السكر وأتوا بمائة ألف ودعة للنفقة وبعد عشرة أيام قدم مركب من سيلان فيه فقراء من العرب والعجم يعرفونني فعرفوا خدام الوزير بأمرى فزاد اغتباطا بى وبعث عنى عند استهلال رمضان فوجدت الامراء والوزراء وأحضر الطعام في موائد يجتمع على المائدة طائفة فأجلسنى الوزير الى جانبه ومعه القاضي عيسي والوزير الفاملداري والوزير عمر دهري ومعناه مقدم العسكر وطعامهم الارز والدجاج والسمن والسمك والخليع والموز المطبوخ ويشربون بعده عسل النارجيل مخلوطا بالافاوية وهو يهضم الطعام وفي التاسع من شهر رمضان مات صهر الوزير زوج بنته وكانت قبله عند السلطان شهاب الدين ولم يدخل بها أحد منهما اصغرها فردها أبوها الداره وأعطانى دارها وهى من أجمل الدور واستأذنته في ضيافة الفقراء القادمين من زيارة القدم فأذن لى في ذلك وبعث الي خمسا من الغنم وهى عزيزة عندهم لانها مجلوبة من المعبر والمليبار ومقدشو وبعث الارز والدجاج والسمن والابازير فبعثت ذلك كله الى دار الوزير سليمان مانايك فطبخ لي بها فأحسن في طبخه وزاد فيه وبعث الفرش وأوانى النحاس وأفطرنا على العادة بدار السلطانة مع الوزير واستأذنته في حضور بعض الوزراء بتلك الضيافة فقال لي وأنا أحضر أيضا فشكرته وانصرفت الى دارى فاذا به قد جاء ومعه الوزراء وأرباب الدولة فجلس في قبة خشب مرتفعة وكان كل من يأتي من الامراء والوزراء يسلم على الوزير ويرمى بثوب غير مخيط حتى اجتمع مائة ثوب أو

نحوها فأخذها الفقراء وقدم الطعام فأكلوا ثم قرأ القراء بالاصوات الحسان ثم أخذوا في السماع والرقص وأعددت النار فكان الفقراء يدخلونها ويطؤنها بالاقدام ومنهم من يأكلها كما تؤكل الحلواء الى ان خمدت

﴿ ذكر بعض احسان الوزير الى ﴾

ولما تمت الليلة انصرف الوزير ومضيت معه فمررنا ببستان للمخزن فقال لي الوزير هذا البستان لك وسأعمر لك فيه دارا لسكناك فشكرت فعله ودعوت له ثم بعث لي من الغد بجارية وقال لي خديمه يقول لك الوزير ان أعجبتك هذه هي لك والا بعثت لك جارية مرهتية وكانت الجوارى المرهتيات تعجبني فقلت له انما أريد المرهتية فبعثها لي وكان اسمها قل استان ومعناه زهر البستان وكانت تعرف اللسان الفارسي فأعجبتني وأهل تلك الجزائر لهم لسان لم أكن أعرفه ثم بعث الى في غد ذلك بجارية معبرية تسمى عنبرى ولما كانت الليلة بعدها جاء الوزير الى بعد العشاء الاخيرة في نفر من أصحابه فدخل الدار ومعه غلامان صغيران فسلمت عليه وسألني عن حالى فدعوت له وشكرته فألقى أحد الغلامين بين يديه بقشة (بقشة) وهي شبه السبنية وأخرج منها ثياب حرير وحقة فيها جوهر وحلى فاعطاني ذلك وقال لى لو بعثته لك مع الجارية لقالت هو مالى جئت به من دار مولاي والآن هو مالك فأعطها اياها فدعوت له وشكرته وكان أهلا للشكر رحمه الله

﴿ ذكر تغيره وما أردته من الخروج ومقامي بعد ذلك ﴾

وكان الوزير سليمان مانايك قد بعث الي ان أتزوج بنته فبعثت الى الوزير جمال الدين مستأذنا في ذلك فعاد الى الرسول وقال لم يعجبه ذلك وهو يحب أن يزوجك بنته اذا انقضت عدتها فأبيت أنا ذلك وخفت من شؤمها لانه مات تحتها زوجان قبل الدخول وأصابتني أثناء ذلك حمى مرضت بها ولا بد لكل من يدخل تلك الجزيرة ان يحم فقوى عزمي على الرحلة عنها فبعت بعض الحلى بالودع واكتريت مركبا أسافر فيه لبنجالة فلما ذهبت لوداع الوزير خرج الى القاضي فقال الوزير يقول لك ان شئت السفر فاعطنا ما اعطيناك وسافر فقلت له ان بعض الحلى اشتريت به الودع فشأنكم واياه فعاد الى فقال يقول انما أعطيناك

الذهب ولم نعطك الودع فقلت له أنا أبيعه وآتيكم بالذهب فبعثت الى التجار ليشتروه مني فأمرهم الوزير ان لا يفعلوا وقصده بذلك كله أن لا أسافر عنه ثم بعث الى أحد خواصه وقال الوزير يقول لك أقم عندنا ولك كل ما أحببت فقلت في نفسي أنا تحت حكمهم وان لم أقم مختاراً أقمت مضطراً فالاقامة باختياري أولى وقلت لرسوله نعم أنا أقيم معه فعاد اليه ففرح بذلك واستدعاني فلما دخلت اليه قام الي وعانقني وقال نحن نريد قربك وأنت تريد البعد عنا فاعتذرت له فقبل عذري وقلت له ان أردتم مقامي فأنا أشترط عليكم شروطا فقال نقبلها فاشترط فقلت له أنا لا أستطيع المشي على قدمي ومن عادتهم أن لا يركب أحد هنالك الا الوزير ولقد كنت لما أعطوني الفرس فركبته يتبعني الناس رجالا وصبيانا يعجبون مني حتى شكوت له فضربت الدنقرة وبرح في الناس ان لا يتبعني أحد والدنقرة (بضم الدال المهمل وسكون النون وضم القاف وفتح الراء) شبه الطست من النحاس تضرب بحديدة فيسمع لها صوت على البعد فاذا ضربوها حينئذ يبرح في الناس بما يراد فقال لي الوزير ان أردت ان تركب الدولة والا فعندنا حصان ورمكة فاختر أيهما شئت فاخترت الرمكة فأتوني بها في تلك الساعة وأتوني بكسوة فقلت له وكيف أصنع بالودع الذي اشتريته فقال ابعث أحد أصحابك ليبيعه لك ببنجالة فقلت له على ان تبعث أنت من يعينه على ذلك فقال نعم فبعثت حينئذ رفيقي أبا محمد بن فرحان وبعثوا معه رجلا يسمى الحاج عليا فاتفق أن هال البحر فرموا بكل ما عندهم حتى الزاد والماء والصارى والقرية وأقاموا ست عشر ليلة لا قلع لهم ولا سكان ولا غيره ثم خرجوا الى جزيرة سيلان بعد جوع وعطش وشدائد وقدم على صاحبي أبو محمد بعد سنة وقد زار القدم وزارها مرة ثانية معي

﴿ ذكر العيد الذي شاهدته معهم ﴾

ولما تم شهر رمضان بعث الوزير الي بكسوة وخرجنا الى المصلى وقد زينت الطريق التي يمر الوزير عليها من داره الي المصلى وفرشت الثياب فيها وجعلت كتاني الودع يمنة ويسرة وكل من له على طريقه دار من الامراء والكبار قد غرس عندها النخل الصغار من

النارجيل وأشجار الفوفل والموز ومدمن شجر الى أخرى شرائط وعلق منها الجوز الاخضر ويقف صاحب الدار عند بابها فاذا مر الوزير رمى على رجليه ثوبا من الحرير أو القطن فيأخذها عبيده مع الودع الذي يجعل على طريقه أيضاً والوزير ماش على قدميه وعليه فرجية مصرية من المرعز وعمامة كبيرة وهو متقلد فوطة حرير وفوق رأسه أربعة شطور وفي رجليه النعل وجميع الناس سواء حفاة والابواق والانفار والاطبال بين يديه والعساكر امامه وخلفه وجميعهم يكبرون حتى أتوا المصلى فخطب ولده بعد الصلاة ثم أتي بمحفة فركب فيها الوزير وخدم له الامراء والوزراء ورموا الثياب على العادة ولم يكن ركب في المحفة قبل ذلك لان ذلك لا يفعله الا الملوك ثم رفعه الرجال وركبت فرسي ودخلنا القصر فجلس بموضع مرتفع وعنده الوزراء والامراء ووقف العبيد بالترسة والسيوف والعصى ثم أتي بالطعام ثم الفوفل والتنبول ثم أتى بصحفة صغيرة فيها الصندل المقاصري فاذا أكلت جماعة من الناس تلطخوا بالصندل ورأيت على بعض طعامهم يومئذ حوتا من السرذين مملوحا غير مطبوخ أهدي لهم من كولم وهو ببلاد المليبار كثير فاخذ الوزير سرذينة وجعل يأكلها وقال لي كل منه فانه ليس ببلادنا فقلت كيف أكله وهو غير مطبوخ فقال انه مطبوخ فقلت أنا أعرف به فانه ببلادي كبير

﴿ ذكر تزوجي وولايتي القضاء ﴾

وفي الثاني من شوال اتفقت مع الوزير سليمان مانايك على تزوج بنته فبعثت الى الوزير جمال الدين أن يكون عقد النكاح بين يديه بالقصر فأجاب الى ذلك وأحضر التنبول على العادة والصندل وحضر الناس وأبطأ الوزير سليمان فاستدعى فلم يأت ثم استدعى ثانية فاعتذر بمرض البنت فقال لي الوزير سرا أن بنته امتنعت وهي مالكة أمر نفسها والناس قد اجتمعوا فهل لك ان تتزوج بربيبة السلطان زوجة أبيها وهي التي ولده متزوج بنتها فقلت له نعم فاستدعي القاضي والشهود ووقعت الشهادة ودفع الوزير الصداق ورفعت الي بعد أيام فكانت من خيار النساء وبلغ حسن معاشرتها أنها كانت اذا تزوجت عليها تطيبني وتبخر أثوابي وهي ضاحكة لا يظهر عليها تغير ولما تزوجتها أكرهني الوزير على

القضاء وسبب ذلك اعتراضي على القاضي لكونه كان يأخذ العشر من التركات اذا قسمها على أربابها فقلت له انما لك أجرة تتفق بها مع الورثة ولم يكن يحسن شيئاً فلما وليت اجتهدت جهدي في اقامة رسوم الشرع وليست هنالك خصومات كما هي ببلادنا فاول ما غيرت من عوائد السوء مكث المطلقات في ديار المطلقين وكانت احداهن لا تزال في دار المطلق حتى تتزوج غيره فحسمت علة ذلك وأتى الي بنحو خمسة وعشرين رجلا ممن فعل ذلك فضربتهم وشهرتهم بالاسواق وأخرجت النساء عنهم ثم اشتددت في اقامة الصلوات وأمرت الرجال بالمبادرة الى الازقة والاسواق أثر صلاة الجمعة فمن وجدوه لم يصل ضربته وشهرته وألزمت الائمة والمؤذنين أصحاب المرتبات المواظبة على ما هم بسبيله وكتبت الى جميع الجزائر بنحو ذلك وجهدت ان أكسو النساء فلم أقدر على ذلك

﴿ذكر قدوم الوزير عبد الله بن محمد الحضرمي الذي نفاه السلطان شهاب الدين الى السويد وما وقع بيني وبينه﴾

وكنت قد تزوجت ربيبته بنت زوجته وأحببتها حباً شديداً ولما بعث الوزير عنه ورده الى جزيرة المهل بعثت له التحف وتلقيته ومضيت معه الى القصر فسلم على الوزير وأنزله في دار جيدة فكنت أزوره بها واتفق ان اعتكفت في رمضان فزارني جميع الناس الا هو وزارني الوزير جمال الدين فدخل هو معه بحكم الموافقة فوقعت بيننا الوحشة فلما خرجت من الاعتكاف شكا الي اخوال زوجتي ربيبته أولاد الوزير جمال الدين السنجري فان أباهم أوصي عليهم الوزير عبد الله وان مالهم باق بيده وقد خرجوا عن حجره بحكم الشرع وطلبوا احضاره بمجلس الحكم وكانت عادتي اذا بعثت عن خصم من الخصوم ابعث له قطعة كاغد مكتوبة فعندما يقف عليها يبادر الى مجلس الحكم الشرعي والا عاقبته فبعثت اليه على العادة فاغضبه ذلك وحقدها لي وأضمر عداوتي ووكل من يتكلم عنه وبلغني عنه كلام قبيح وكانت عادة الناس من صغير وكبير ان يخدموا له كما يخدمون للوزير جمال الدين وخدمتهم أن يوصلوا السبابة الى الارض ثم يقبلونها ويضعونها على رؤسهم فامرت المنادي فنادى بدار السلطان على رؤس الاشهاد انه من خدم للوزير عبد الله كما يخدم

للوزير الكبير لزمه العقاب الشديد وأخذت عليه أن لا يترك الناس لذلك فزادت عداوته وتزوجت أيضاً زوجة أخرى بنت وزير معظم عندهم كان جده السلطان داود حفيد السلطان أحمد شنورازة ثم تزوجت زوجة كانت تحت السلطان شهاب الدين وعمرت ثلاث ديار بالبستان الذى أعطانيه الوزير وكانت الرابعة وهي ربيبة الوزير عبد الله تسكن في دارها وهي أحبهن الى فلما صاهرت من ذكرتها بني الوزير وأهل الجزيرة وتخوفوا مني لأجل ضعفهم وسعوا بيني وبين الوزير بالنمائم وتولى الوزير عبد الله كبر ذلك حتى تمكنت الوحشة

﴿ ذكر انفصالي عنهم وسبب ذلك ﴾

واتفق في بعض الايام ان عبداً من عبيد السلطان جلال الدين شكته زوجته الى الوزير وأعلمته انه عند سرية من سرارى السلطان يزني بها فبعث الوزير الشهود ودخلوا دار السرية فوجدوا الغلام نائماً معها فى فراش واحد وحبسوهما فلما أصبحت وعلمت بالخبر توجهت الى المشور وجلست في موضع جلوسي ولم أتكلم في شيء من أمرها فخرج الي بعض الخواص فقال يقول لك الوزير ألك حاجة فقلت لا وكان قصده ان أتكلم في شأن السرية والغلام اذ كانت عادتى ان لا تقطع قضية الا حكمت فيها فلما وقع التغير والوحشة قصرت في ذلك فانصرفت الي داري بعد ذلك وجلست بموضع الاحكام فاذا ببعض الوزراء فقال لى الوزير يقول لك انه وقع البارحة كيت وكيت لقضية السرية والغلام فاحكم فيهما بالشرع فقلت له هذه قضية لا ينبغي ان يكون الحكم فيها الا بدار السلطان فعدت اليها واجتمع الناس أو حضرت السرية والغلام فأمرت بضربهما للخلوة وأطلقت سراح المرأة وحبست الغلام وانصرفت الى داري فبعث الوزير الى جماعة من كبراء ناسه في شأن تسريح الغلام فقلت لهم أتشفعون في غلام زنجي يهتك حرمة مولاه وأنتم بالامس خلعتم السلطان شهاب الدين وقتلتموه بسبب دخوله لدار غلام له وأمرت بالغلام عند ذلك فضرب بقضبان الخيزران وهي أشد وقعا من السياط وشهرته بالجزيرة وفي عنقه حبل فذهبوا الى الوزير

فاعلموه فقام وقصدوا استشاط غضباً وجمع الوزراء ووجوه العسكر وبعث عني فجئته وكانت عادتي ان أخدم له فلم أخدم وقلت سلام عليكم ثم قلت للحاضرين اشهدوا على انى قد عزلت نفسي عن القضاء لعجزي عنه فكلمنى الوزير فصعدت وجلست بموضع أقابله فيه وجاوبته بأغلظ جواب واذن مؤذن المغرب فدخل الى داره وهو يقول ويقولون انى سلطان وها أناذا طلبته لاغضب عليه فغضب على وانما كان اعتزازي عليهم بسبب سلطان الهند لانهم تحققوا امكانتي عنده وان كانوا على بعد منه فخوفه فى قلوبهم متمكن فلما دخل الى داره بعث الى القاضي المعزول وكان جرئ اللسان فقال لي ان مولانا يقول لك كيف هتكت حرمته على رؤس الاشهاد ولم تخدم له فقلت له انما كنت أخدم له حين كان قلبي طيبا عليه فلما وقع التغير تركت ذلك وتحية المسلمين انما هى السلام وقد سلمت فبعثه الى ثانية فقال انما غرضك السفر عنا فاعط صدقات النساء وديون الناس وانصرف اذا شئت فخدمت له على هذا القول وذهبت الى داري فخلصت مما على من الدين وكان قد أعطاني في تلك الايام فرش دار وجهازها من أواني نحاس وسواها وكان يعطيني كل ما أطلبه ويحبني ويكرمني ولكنه غير خاطره وخوف مني فلما عرف اني قد خلصت الدين وعزمت على السفر ندم على ماقاله وتلكأ فى الاذن لي في السفر فحلفت بالايمان المغلظة ان لابد من سفري ونقلت ماعندي الي مسجد على البحر وطلقت احدي الزوجات وكانت احداهن حاملا فجعلت لها أجلا تسعة أشهر ان عدت فيها والا فامرها بيدها وحملت معي زوجتي التي كانت امرأة السلطان شهاب الدين لاسلمها لابيها بجزيرة ملوك وزوجتي الاولى التي بنتها أخت السلطانة وتوافقت مع الوزير عمر دهرد والوزير حسن قائد البحر على ان أمضى الى بلاد المعبر وكان ملكها سلفى فاتي منها بالعساكر لترجع الجزائر الى حكمه وانوب انا عنه فيها وجعلت بيني وبينهم علامة رفع أعلام بيض في المراكب فاذا رأوها ثاروا في البر ولم أكن حدثت نفسي بهذا قط حتي وقع ماوقع من التغير وكان الوزير خائفا مني يقول للناس لابد لهذا ان يأخذ الوزارة اما في حياتي أو بعد موتي ويكثر السؤال عن حالي ويقول سمعت ان ملك الهند بعث اليه الاموال ليثور بها على وكان يخاف من

سفري لئلا آتي بالجيوش من بلاد المعبر فبعث الى أن أقيم حتى يجهز لي مركبا فأبيت وشكت أخت السلطانة اليها بسفر أمهامي فارادت منعها فلم تقدر على ذلك فلما رأت عزمها على السفر قالت لها ان جميع ما عندك من الحلى هو من مال البندر فان كان لك شهود بأن جلال الدين وهبه لك والا فرده وكان حليا له خطر فردته اليهم وأتاني الوزراء والوجوه وأنا بالمسجد وطلبوا مني الرجوع فقلت لهم لولا أني حلفت لعدت فقالوا تذهب الى بعض الجزائر ليبر قسمك وتعود فقلت لهم نعم ارضاء لهم فلما كانت الليلة التي سافرت فيها أتيت لوداع الوزير فعانقني وبكى حتى قطرت دموعه على قدمى وبات تلك الليلة يحترس الجزيرة بنفسه خوفا ان يثور عليه أصهاري وأصحابي ثم سافرت ووصلت الى جزيرة الوزير على فأصابت زوجتي أوجاع عظيمة وأحبت الرجوع فطلقتها وتركتها هنالك وكتبت للوزير بذلك لانها أم زوجة ولده وطلقت التي كنت ضربت لها الاجل وبعثت عن جارية كنت أحبها وسرنا في تلك الجزائر من اقليم الى أقليم

﴿ ذكر النساء ذوات الثدي الواحد ﴾

وفى بعض تلك الجزائر رأيت امرأة لها ثدي واحد في صدرها ولها بنتان احداهما كمثلها ذات ثدي واحد والاخرى ذات ثديين الا ان أحدهما كبير فيه اللبن والآخر صغير لا لبن فيه فعجبت من شأنهن ووصلنا الي جزيرة من تلك الجزائر صغيرة ليس بها الادار واحدة فيها رجل حائك له زوجة واولاد ونخيلات نارجيل وقارب صغير يصطاد فيه السمك ويسير به الى حيث أراد من الجزائر وفى جزيرته ايضا شجيرات موز ولم نر فيها من طيور البر غير غرابين خرجا الينا لما وصلنا الجزيرة وطافا بمركبنا فغبطت والله ذلك الرجل ووددت ان لو كانت تلك الجزيرة لي فانقطعت فيها الى ان يأتيني اليقين ثم وصلت الى جزيرة ملوك حيث المركب الذي للناخوذة ابراهيم وهو الذى عزمت على السفر فيه الى المعبر فجاء الي ومعه أصحابه وأضافوني ضيافة حسنة وكان الوزير قد كتب لي ان أعطي بهذه الجزيرة مائة وعشرين بستوا من الكودة وهي الودع وعشرين قدحا من الاطوان وهو عسل النارجيل وعددا معلوما من التنبول والفوفل والسمك في كل يوم وأقمت بهذه

الجزيرة سبعين يوما وتزوجت بها امرأتين وهي من أحسن الجزائر خضرة نضرة ورأيت من عجائبها ان الغصن يقتطع من شجرها ويركز في الارض أو الحائط فيورق ويصير شجرة ورأيت الرمان بها لا ينقطع له ثمر بطول السنة وخاف أهل هذه الجزيرة من الناخوذة ابراهيم ان ينهبهم عند سفره فأرادوا امساك ما في مركبه من السلاح حتى يوم سفره فوقعت المشاجرة بسبب ذلك وعدنا الى المهل ولم ندخلها وكتبت الى الوزير معلما بذلك فكتب ان لا سبيل لاخذ السلاح وعدنا الى ملوك وسافرنا منها في نصف ربيع الثاني عام خمسة وأربعين وفي شعبان من هذه السنة توفي الوزير جمال الدين رحمه الله وكانت السلطانة حاملا منه فولدت اثر وفاته وتزوجها الوزير عبد الله وسافرنا ولم يكن معنا رئيس عارف ومسافة ما بين الجزائر والمعبر ثلاثة أيام فسرنا نحو تسعة أيام وفي التاسع منها خرجنا الي جزيرة سيلان ورأينا جبل سرنديب فيها ذاهبا في السماء كأنه عمود دخان ولما وصلناها قال البحرية ان هذا المرسى ليس في بلاد السلطان الذي يدخل التجار الى بلاده آمنين انما هذا مرسى في بلاد السلطان ايرى شكروتي وهو لعتاة المفسدين وله مراكب تقطع في البحر فخفنا ان ننزل بمرساه ثم اشتدت الريح فخفنا الغرق فقلت للناخوذة أنزلني الى الساحل وأنا آخذ لك الامان من هذا السلطان ففعل ذلك وأنزلني بالساحل فأتانا الكفار فقالوا ما أنتم فاخبرتهم اني سلف سلطان المعبر وصاحبه جئت لزيارته وان الذي في المركب هدية له فذهبوا الي سلطانهم فاعلموه بذلك فاستدعاني فذهبت له الى مدينة بطالة (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة والطاء المهمل وتشديدها) وهي حضرته مدينة صغيرة حسنة عليها سور خشب وابراج خشب وجميع سواحلها مملوءة باعواد القرفة تأتي بها السيول فتجمع بالساحل كأنها الروابي ويحملها أهل المعبر والمليبار دون ثمن الا انهم يهدون للسلطان في مقابلة ذلك الثوب ونحوه وبين بلاد المعبر وهذه الجزيرة مسيرة يوم وليلة وبها أيضاً من خشب البقم كثير ومن العود الهندي المعروف بالكلخي الا انه ليس كالقماري والقاقلي وسنذكره

﴿ ذكر سلطان سيلان ﴾

اف من

واسمه أيري شكروتي (بفتح الهمزة وسكون الياء وكسر الراء ثم ياء وشين معجم مفتوح وكاف مثله وراء مسكنة وواو مفتوح وتاء معلوة مكسورة وياء) وهو سلطان قوي في البحر رأيت مرة وأنا بالمعبر مائة مركب من مراكبه بين صغار وكبار وصلت الى هنالك وكانت بالمرسي ثمانية مراكب للسلطان برسم السفر الى اليمن فأمر السلطان بالاستعداد وحشد الناس لحماية أجفانه فلما يئسوا من انتهاز الفرصة فيها قالوا انما جئنا في حماية مراكب لنا تسير أيضا الى اليمن ولما دخلت على هذا السلطان الكافر قام الي وأجلسني الى جانبه وكلمني بأحسن كلام وقال ينزل أصحابك على الامان ويكونون في ضيافتي الى أن يسافروا فان سلطان المعبر بيني وبينه الصحبة ثم أمر بانزالي فاقمت عنده ثلاثة أيام في اكرام عظيم متزايد في كل يوم وكان يفهم اللسان الفارسي ويعجبه ما أحدثه به عن الملوك والبلاد ودخلت عليه يوما وعنده جواهر كثيرة أتي بها من مغاص الجوهر الذي ببلاده وأصحابه يميزون النفيس منها من غيره فقال لي هل رأيت مغاص الجوهر في البلاد التي جئت منها فقلت له نعم رأيته بجزيرة قيس وجزيرة كش التي لابن السواملي فقال سمعت بها ثم أخذ حبات منه فقال أيكون في تلك الجزيرة مثل هذه فقلت له رأيت ما هو دونها فأعجبه ذلك وقال هي لك وقال لي لا تستحي واطلب مني ما شئت فقلت له ليس مرادي منذ وصلت هذه الجزيرة الا زيارة القدم الكريمة قدم آدم عليه السلام وهم يسمونه (بابا) ويسمون حواء (ماما) فقال هذا هين نبعث معك من يوصلك فقلت ذلك أريد ثم قلت له وهذا المركب الذي جئت فيه يسافر آمنا الى المعبر واذا عدت أنا بعثتني في مراكبك فقال نعم فلما ذكرت ذلك لصاحب المركب قال لي لا أسافر حتى تعود ولو أقمت سنة بسببك فاخبرت السلطان بذلك فقال يقيم في ضيافتي حتى تعود فاعطاني دولة يحملها عبيده على أعناقهم وبعث معي أربعة من الجوكية الذين عادتهم السفر كل عام الى زيارة القدم وثلاثة من البراهمة وعشرة من سائر أصحابه وخمسة عشر رجلا يحملون الزاد أما الماء فهو بتلك الطريق كثير ونزلنا ذلك اليوم على واد جزناه في معدية مصنوعة من وهو عيدان الخيزران ثم رحلنا من هنالك الى منار مندلي (وضبط ذلك بفتح الميم والتونير

وألف وراء مسكنة وميم مفتوح ونون مسكن ودال مهمل مفتوح ولام مكسور وياء) مدينة حسنة هي آخر عمالة السلطان أضافنا أهلها ضيافة حسنة وضيافتهم عجول الجواميس يصطادونها بغابة هنالك ويأتون بها أحياء ويأتون بالارز والسمن والحوت والدجاج واللبن ولم نر بهذه المدينة مسلماً غير رجل خراساني انقطع بسبب مرضه فسافر معنا ورحلنا الى بندر سلاوات (وضبطه بفتح الباء الموحدة وسكون النون وفتح الدال المهمل وسكون الراء وفتح السين المهمل واللام والواو والف وتاء معلوة) بلدة صغيرة وسافرنا منها في اوعار كثيرة المياه وبها الفيلة الكثيرة الا انها لا تؤذي الزوار والغرباء وذلك ببركة الشيخ أبي عبدالله بن خفيف رحمه الله وهو أول من فتح هذا الطريق الي زيارة القدم وكان هؤلاء الكفار يمنعون المسلمين من ذلك ويؤذونهم ولا يؤاكلونهم ولا يبايعونهم فلما اتفق للشيخ أبي عبدالله ماذكرناه في السفر الاول من قتل الفيلة لاصحابه وسلامته من بينهم وحمل الفيل له على ظهره صار الكفار من ذلك العهد يعظمون المسلمين ويدخلونهم دورهم ويطعمون معهم ويطمئنون لهم بأهلهم وأولادهم وهم الى الآن يعظمون الشيخ المذكور أشد تعظيم ويسمونه الشيخ الكبير ثم وصلنا بعد ذلك الى مدينة كنكار (وضبط اسمها بضم الكاف الاولى وفتح النون والكاف الثانية وآخره راء) وهي حضرة السلطان الكبير بتلك البلاد وبناؤها في خندق بين جبلين على خور كبير يسمى خور الياقوت لان الياقوت يوجد به وبخارج هذه المدينة مسجد الشيخ عثمان الشيرازي المعروف بشاوش (بشينين معجمين بينهما واو مضموم) وسلطان هذه المدينة وأهلها يزورونه ويعظمونه وهو كان الدليل الى القدم فلما قطعت يده ورجله صار الادلاء أولاده وغلمانه وسبب قطعه انه ذبح بقرة وحكم كفار الهنود انه من ذبح بقرة ذبح كمثلها أو جعل في جلدها وحرق وكان الشيخ عثمان معظماً فقطعوا يده ورجله وأعطوه مجبى بعض الاسواق

﴿ ذكر سلطانها ﴾

وهو يعرف بالكنار (بضم الكاف وفتح النون وألف وراء) وعنده الفيل الابيض

لم أر في الدنيا فيلاً أبيض سواه يركبه في الأعياد ويجعل على جبهته أحجار الياقوت العظيمة واتفق له ان قام عليه أهل دولته وسملوا عينيه وولوا ولده وهو هنالك أعمى

﴿ ذكر الياقوت ﴾

والياقوت العجيب البهرمان انما يكون بهذه البلدة فمنه مايخرج من الخور وهو عزيز عندهم ومنه مايحفر عنه وجزيرة سيلان يوجد الياقوت في جميع مواضعها وهي متملكة فيشتري الانسان القطعة منها ويحفر عن الياقوت فيجد أحجارا بيضاء مشعبة وهي التي يتكون الياقوت في أجوافها فيعطيها الحكاكين فيحكونها حتى تنفلق عن أحجار الياقوت فمنه الاحمر ومنه الاصفر ومنه الازرق ويسمونه النيلم (بفتح النون واللام وسكون الياء آخر الحروف) وعادتهم ان ما بلغ ثمنه من أحجار الياقوت الى مائة فنم (بفتح الفاء والنون) فهو للسلطان يعطي ثمنه ويأخذه وما نقص عن تلك القيمة فهو لأصحابه وصرف مائة فنم ستة دنانير من الذهب وجميع النساء بجزيرة سيلان لهن القلائد من الياقوت الملون ويجعلنه في أيديهن وأرجلهن عوضا من الاسورة والخلاخيل وجواري السلطان يصنعن منه شبكة يجعلنها على رؤسهن ولقد رأيت على جبهة الفيل الابيض سبعة أحجار منه كل حجر أعظم من بيضة الدجاجة ورأيت عند السلطان ايري شكروتي سكرجة على مقدار الكف من الياقوت فيها دهن العود فجعلت أعجب منها فقال ان عندنا ما هو أضخم من ذلك ثم سافرنا من كنكار فنزلنا بمغارة تعرف باسم أسطا محمود اللوري (بضم اللام) وكان من الصالحين واحتفر تلك المغارة في سفح جبل عند خور صغير هنالك ثم رحلنا عنها ونزلنا بالخور المعروف بخور بوزنه (بالباء الموحدة وواو وزاي ونون وهاء) وبوزنه هي القرود

﴿ ذكر القرود ﴾

والقرود بتلك الجبال كثيرة جدا وهي سود الالوان لها أذناب طوال ولذكورها لحى كما هي للآدميين وأخبرني الشيخ عثمان وولده وسواهما ان هذه القرود لها مقدم تتبعه كأنه سلطان يشد على رأسه عصابة من أوراق الاشجار ويتوكأ على عصى ويكون

عن يمينه ويساره أربعة من القرود لها عصي بأيديها وانه اذا جلس القرد المقدم تقف القرود الاربعة على رأسه وتأتي أنثاه وأولاده فتقعد بين يديه كل يوم وتأتي القرود فتقعد على بعد منه ثم يكلمها أحد القرود الاربعة فتنصرف القرود كلها ثم يأتي كل قرد منها بموزة أو ليمونة أو شبه ذلك فيأكل القرد المقدم وأولاده والقرود الاربعة وأخبرني بعض الجوكية انه رأى القرود الاربعة بين يدي مقدمها وهي تضرب بعض القرود بالعصي ثم تنتف وبره بعد ضربه وذكر لي الثقات انه اذا ظفر قرد من هذه القرود بصبية لا تستطيع الدفاع عن نفسها جامعها وأخبرني بعض أهل هذه الجزيرة انه كان بداره قرد منها فدخلت بنت له بعض البيوت فدخل عليها فصاحت به فغلبها قال ودخلنا عليها وهو بين رجليها فقتلناه ثم كان رحيلنا الى خور الخيزران ومن هذا الخور أخرج أبو عبد الله بن خفيف الياقوتتين اللتين أعطاهما السلطان هذه الجزيرة حسبما ذكرناه في السفر الاول ثم رحلنا الى موضع يعرف ببيت العجوز وهو آخر العمارة ثم رحلنا الى مغارة باباطاهر وكان من الصالحين ثم رحلنا الى مغارة السبيك (بفتح السين المهمل وكسر الباء الموحدة وياء مد وكاف) وكان السبيك من سلاطين الكفار وانقطع للعبادة هنالك

﴿ ذكر العلق الطيار ﴾

وبهذا الموضع رأينا العلق الطيار ويسمونه الزلو (بضم الزاي واللام) ويكون بالاشجار والحشائش التي تقرب من الماء فاذا قرب الانسان منه وثب عليه فحيثما وقع من جسده خرج منه الدم الكثير والناس يستعدون له الليمون يعصرونه عليه فيسقط عنهم ويجردون الموضع الذي يقع عليه بسكين خشب معد لذلك ويذكران بعض الزوار مر بذلك الموضع فتعلقت به العلق فأظهر الجلد ولم يعصر عليها الليمون فنزف دمه ومات وكان اسمه باباخوزى (بالخاء المعجم المضموم والزاى) وهنالك مغارة تنسب اليه ثم رحلنا الى السبع مغارات ثم الى عقبة اسكندر وثم مغارة الاصفهاني وعين ماء وقلعة غير عامرة تحتها خور يعرف بغوطة كاه عارفان وهنالك مغارة النارنج ومغارة السلطان وعندها دروازة الجبل أي بابه

﴿ ذكر جبل سرنديب ﴾

وهو من أعلى جبال الدنيا رأيناه من البحر وبيننا وبينه مسيرة تسع ولما صعدناه كنا نرى السحاب أسفل منا قد حال بيننا وبين رؤية أسفله وفيه كثير من الاشجار التي لا يسقط لها ورق والازاهير الملونة والورد الاحمر على قدر الكف ويزعمون ان في ذلك الورد كتابة يقرأ منها اسم الله تعالى واسم رسوله عليه الصلاة والسلام وفي الجبل طريقان الى القدم أحدهما يعرف بطريق (بابا) والآخر بطريق (ماما) يعنون آدم وحواء عليهما السلام فاما طريق ماما فطريق سهل عليه يرجع الزوار اذا رجعوا ومن مضي عليه فهو عندهم كمن لم يزر وأما طريق بابا فصعب وعر المرتقى وفي أسفل الجبل حيث دروازته مغارة تنسب أيضاً للاسكندر وعين ماء ونحت الاولون فى الجبل شبه درج يصعد عليها وغرزوا فيها أوتادا الحديد وعلقوا منها السلاسل ليتمسك بها من يصعده وهى عشر سلاسل ثنتان في أسفل الجبل حيث الدروازة وسبع متوالية بعدها والعاشرة هي سلسلة الشهادة لان الانسان اذا وصل اليها ونظر الى أسفل الجبل أدركه الوهم فيتشهد خوف السقوط ثم اذا جاوزت هذه السلسلة وجدت طريقا مهملا ومن السلسلة العاشرة الى مغارة الخضر سبعة أميال وهي في موضع فسيح عندها عين ماء تنسب اليه أيضا ملآ بالحوت ولا يصطاده أحد وبالقرب منها حوضان منحوتان في الحجارة عن جنبتي الطريق وبمغارة الخضر يترك الزوار ما عندهم ويصعدون منها ميلين الي أعلى الجبل حيث القدم

﴿ ذكر القدم ﴾

واثر القدم الكريمة قدم أبينا آدم صلى الله عليه وسلم فى صخرة سوداء مرتفعة بموضع فسيح وقد غاصت القدم الكريمة فى الصخرة حتي عاد موضعها منخفضا وطولها أحد عشر شبرا واتى اليها أهل الصين قديما فقطعوا من الصخرة موضع الابهام وما يليه وجعلوه فى كنيسة بمدينة الزيتون يقصدونها من أقصي البلاد وفي الصخرة حيث القدم تسع حفر منحوتة يجعل الزاور من الكفار فيها الذهب واليواقيت والجواهر فترى

الفقراء اذا وصلوا مغارة الخضر يتسابقون منها الاخذ ما بالحفر ولم نجد نحن بها الا يسير حجيرات وذهب أعطيناها الدليل والعادة أن يقيم الزوار بمغارة الخضر ثلاثة أيام يأتون فيها الي القدم غدوة وعشيا وكذلك فعلنا ولما تمت الايام الثلاثة عدنا على طريق ماما فنزلنا بمغارة شيم وهو شيث ابن آدم عليهما السلام ثم الى خور السمك ثم الي قرية كرمله (بضم الكاف وسكون الراء وضم الميم) ثم الي قرية جبركاوان (بفتح الجيم والباء الموحدة وسكون الراء وفتح الكاف والواو وآخره نون) ثم الى قرية دل دينوة (بدالين مهملين مكسورين بينهما لام مسكن وياء مد ونون مفتوح وواو مفتوح وتاء تأنيث) ثم الى قرية آت قلنجة (بهمزة مفتوحة وتاء مثناة مسكنة وقاف ولام مفتوحين ونون مسكن وجيم مفتوح) وهنالك كان يشق الشيخ أبو عبد الله بن خفيف وكل هذه القري والمنازل هي بالجبل وعند أصل الجبل فى هذا الطريق درخت روان ودرخت هي (بفتح الدال المهمل والراء وسكون الخاء المعجم وتاء معلوة) وروان (بفتح الراء والواو وألف ونون) وهي شجرة عادية لا يسقط لها ورق ولم أر من رأي ورقها ويعرفونها أيضا بالماشية لان الناظر اليها من أعلى الجبل يراها بعيدة منه قريبة من أسفل الجبل والناظر اليها من أسفل الجبل يراها بعكس ذلك ورأيت هنالك جملة من الجوكيين ملازمين أسفل الجبل ينتظرون سقوط ورقها وهي بحيث لا يمكن التوصل اليها البتة ولهم أكاذيب في شأنها من جملتها ان من أكل من أوراقها عاد له الشباب ان كان شيخا وذلك باطل وتحت هذا الجبل الخور العظيم الذى يخرج منه الياقوت وماؤه يظهر في رأى العين شديد الزرقة ورحلنا من هنالك يومين الى مدينة دينور (وضبط اسمها بدال مهمل مكسور وياء مد ونون وواو مفتوحين وراء) مدينة عظيمة على البحر يسكنها التجار وبها الصنم المعروف بدينور فى كنيسة عظيمة فيها نحو الالف من البراهمة والجوكية ونحو خمسمائة من النساء بنات الهنود يغنين كل ليلة عند الصنم ويرقصن والمدينة ومجابيها وقف على الصنم وكل من بالكنيسة ومن يرد عليها يأكلون من ذلك والصنم من ذهب على قدر الآدمي وفي موضع العينين منه ياقوتتان عظيمتان أخبرت انهما

تضيئان بالليل كالقنديلين ثم رحلنا الى مدينة قالى (بالقاف وكسر اللام) وهي صغيرة على ستة فراسخ من دينور و بها رجل من المسلمين يعرف بالناخودة ابراهيم أضافنا بموضعه ورحلنا الى مدينة كلنبو (وضبط اسمها بفتح الكاف واللام وسكون النون وضم الباء الموحدة وواو) وهي من أحسن بلاد سرنديب واكبرها وبها يسكن الوزير حاكم البحر جالستي ومعه نحو خمسمائة من الحبشة ثم رحلنا فوصلنا بعد ثلاثة أيام الى بطالة وقد تقدم ذكرها ودخلنا الى سلطانها الذي تقدم ذكره ووجدت الناخودة ابراهيم في انتظاري فسافرنا بقصد بلاد المعبر وقويت الريح وكاد الماء يدخل في المركب ولم يكن لنا رئيس عارف ثم وصلنا الى حجارة كاد المركب ينكسر فيها ثم دخلنا بحراً قصيراً فتجلس المركب ورأينا الموت عيانا ورمي الناس بما معهم وتوادعوا وقطعنا صاري المركب فرمينا به وصنع البحرية معدية من الخشب وكان بيننا وبين البر فرسخان فاردت ان أنزل في المعدية وكان لي جاريتان وصاحبان من أصحابي فقالا أتنزل وتتركنا فآثرتهما على نفسي وقلت انزلا أنتما والجارية التي أحبها فقالت الجارية اني أحسن السباحة فاتعلق بحبل من حبال المعدية وأعوم معهم فنزل رفيقاي وأحدهما محمد بن فرحان التوزري والآخر رجل مصري والجارية معهم والاخري تسبح وربط البحرية في المعدية حبالا وسبحوا بها وجعلت معهم ماعز علي من المتاع والجواهر والعنبر فوصلوا الى البر سالمين لان الريح كانت تساعدهم وأقمت بالمركب ونزل صاحبه الى البر على الدقة وشرع البحرية في عمل أربع من المعادي فجاء الليل قبل تمامها ودخل معنا الماء فصعدت الى المؤخر وأقمت به حتي الصباح وحينئذ جاء الينا نفر من الكفار في قارب لهم ونزلنا معهم الى الساحل ببلاد المعبر فاعلمناهم انا من أصحاب سلطانهم وهم تحت ذمته فكتبوا اليه بذلك وهو على مسيرة يومين في الغزو وكتبت أنا اليه أعلمه بما اتفق علي وأدخلنا أولئك الكفار الى غيضة عظيمة فأتونا بفاكهة تشبه البطيخ يثمرها شجر المقل وفي داخلها شبه قطن فيه عسلية يستخرجونها ويصنعون منها حلواء يسمونها التل وهي تشبه السكر وأتوا بسمك طيب وأقمنا ثلاثة أيام ثم وصل من جهة السلطان أمير يعرف بقمر الدين معه جماعة

فرسان ورجال وجاؤا بالدولة وبعشرة أفراس فركبت وركب أصحابي وصاحب المركب واحدى الجاريتين وحملت الاخرى في الدولة ووصلنا الى حصن هركاتو (وضبط اسمه بفتح الهاء وسكون الراء وفتح الكاف وألف وتاء معلوة مضمومة وواو) وبتنا به وتركت فيه الجواري وبعض الغلمان والاصحاب ووصلنا في اليوم الثاني الي محلة السلطان

﴿ذكر سلطان بلاد المعبر﴾

هو غياث الدين الدامغاني وكان في أول أمره فارسا من فرسان الملك مجير بن أبي الرجاء أحد خدام السلطان محمد ثم خدم الامير حاجي بن السيد السلطان جلال الدين ثم ولى الملك وكان يدعي سراج الدين قبله فلما ولى تسمي غياث الدين وكانت بلاد المعبر تحت حكم السلطان محمد ملك دهلى ثم ثار بها صهري الشريف جلال الدين أحسن شاه وملك بها خمسة أعوام ثم قتل وولى أحد أمرائه وهو علاء الدين أديجي (بضم الهمزة وفتح الدال المهمل وسكون الياء آخر الحروف وكسر الجيم) فملك سنة ثم خرج الى غزو الكفار فاخذ لهم أموالا كثيرة وغنائم واسعة وعاد الي بلاده وغزاهم في السنة الثانية فهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة واتفق يوم قتله لهم ان رفع المغفر عن رأسه ليشرب فأصابه سهم غرب فمات من حينه فولوا صهره قطب الدين ثم لم يحمدوا سيرته فقتلوه بعد أربعين يوما وولى بعده السلطان غياث الدين وتزوج بنت السلطان الشريف جلال الدين التي كنت متزوجا أختها بدهلى

﴿ذكر وصولى الى السلطان غياث الدين﴾

ولما وصلنا الى قرب من منزله بعث بعض الحجاب لتلقينا وكان قاعدا في برج خشب وعادتهم بالهند كلها أن لا يدخل أحد على السلطان دون خف ولم يكن عندي خف فأعطاني بعض الكفار خفا وكان هنالك من المسلمين جماعة فعجبت من كون الكافر كان أتم مروءة منهم ودخلت على السلطان فأمر لى بالجلوس ودعا القاضي الحاج صدر الزمان بهاء الدين وأنزلني في جواره في ثلاثة من الاخبية وهم يسمونها الخيام وبعث بالفرش وبطعامهم وهو الارز واللحم وعادتهم هنالك ان يسقوا اللبن الرائب على الطعام كما يفعل ببلادنا ثم

جتمعت به بعد ذلك والقيت له أمر جزائر ذيبة المهل وان يبعث الجيش اليها فأخذ في
ذلك بالعزم وعين المراكب لذلك وعين الهدية لسلطانتها والخلع للوزراء والامراء
والعطايا لهم وفوض الى في عقد نكاحه مع أخت السلطانة وأمر بوسق ثلاثة مراكب
بالصدقة لفقراء الجزائر وقال لي يكون رجوعك بعد خمسة أيام فقال له قائد البحر
خواجة سرالك لا يمكن السفر الى الجزائر الا بعد ثلاثة أشهر من الآن فقال لى السلطان
اما اذا كان الامر هكذا فامض الى فتن حتى تقضي هذه الحركة وتعود الى حضر تنا متر ة
ومنها تكون الحركة فأقمت معه بخلال ما بعثت عن الجواري والاصحاب

﴿ ذكر ترتيب رحيله وشنيع فعله في قتل النساء والولدان ﴾

وكانت الارض التى نسلكها غيضة واحدة من الاشجار والقصب بحيث لا يسلكها أحد
فأمر السلطان أن يكون مع كل واحد ممن فى الجيش من كبير وصغير قادوم لقطع ذلك فاذا
نزلت المحلة ركب الى الغابة والناس معه فقطعوا تلك الاشجار من غدوة النهار الى الزوال
ثم يؤتى بالطعام فيأكل جميع الناس طائفة بعد أخرى ثم يعودون الى قطع الاشجار الى
العشى وكل من وجدوه من الكفار في الغيضة أسروه وصنعوا اخشبة محددة الطرفين
فجعلوها على كتفيه يحملها ومعه امرأته وأولاده ويؤتي بهم الى المحلة وعادتهم ان يصنعوا
على المحلة صورا من خشب يكون له أربعة أبواب ويسمونه الكتكر (بفتح الكافين
وسكون التاء المعلوة وآخره راء) ويصنعون على دار السلطان كتكرا ثانيا ويصنعون
خارج الكتكر الاكبر مصاطب ارتفاعها نحو نصف قامة ويوقدون عليها النار بالليل
ويبيت عندها العبيد والمشاؤن ومع كل واحد منهم حزمة من رقيق القصب فاذا أتي أحد
من الكفار ليضربوا على المحلة ليلا أوقد كل واحد منهم الحزمة التى بيده فعاد الليل شبه النهار
لكثرة الضياء وخرجت الفرسان في اتباع الكفار فاذا كان عند الصباح قسم الكفار
المأسورون بالامس أربعة أقسام وأتي الى كل باب من أبواب الكتكر بقسم منهم فركزت
الخشب التي كانوا يحملونها بالامس عنده ثم ركزوا فيها حتى تنفذهم ثم تذبح نساؤهم
ويربطن بشعورهن الى تلك الخشبات ويذبح الاولاد الصغار في حجورهن ويتركون

هنالك وتنزل المحلة ويشتغلون بقطع غيضة أخرى ويصنعون بمن أسروه كذلك وذلك أمر شنيع ما علمته لاحد من الملوك وبسببه عجل الله حينه ولقد رأيته يوما والقاضي عن يمينه وأنا عن شماله وهو يأكل معنا وقد أتي بكافر معه امرأته وولده سنه سبع فأشار الى السيافين بيده ان يقطعوا رأسه ثم قال لهم وزن أوو بسر او معناه وابنه وزوجته فقطعت رقابهم وصرفت بصري عنهم فلما قمت وجدت رؤسهم مطروحة بالارض وحضرت عنده يوما وقد أتي برجل من الكفار فتكلم بما لم أفهمه فاذا بجماعة من الزبانية قد استلوا سكاكينهم فبادرت القيام فقال لي الى أين فقلت أصلي العصر ففهم عني وضحك وأمر بقطع يديه ورجليه فلما عدت وجدته متشحطا في دمائه

﴿ ذكر هزيمته للكفار وهي من أعظم فتوحات الاسلام ﴾

وكان فيما يجاور بلاده سلطان كافر يسمي بلال ديو (بفتح الباء الموحدة ولام وألف ولام ثانية ودال مهمل مكسور وياء آخر الحروف مفتوحة وواو مسكن) وهو من كبار سلاطين الكفار يزيد عسكره على مائة ألف ومعه نحو عشرين ألفا من المسلمين أهل الدعارة وذوى الجنايات والعبيد الفارين فطمع في الاستيلاء على بلاد المعبر وكان عسكر المسلمين بها ستة آلاف منهم النصف من الجياد والنصف الثاني لا خير فيهم ولا غناء عندهم فلقوه بظاهر مدينة كبان فهزمهم ورجعوا الى حضرة مترة ونزل الكافر على كبان وهي من أكبر مدنهم وأحصنها وحاصرها عشرة أشهر ولم يبق لهم من الطعام الاقوت أربعة عشر يوما فبعث لهم الكافر ان يخرجوا على الامان ويتركوا له البلد فقالوا له لا بد من مطالعة سلطاننا بذلك فوعدهم الى تمام أربعة عشر يوما فكتب الي السلطان غياث الدين بأمرهم فقرأ كتابهم على الناس يوم الجمعة فبكوا وقالوا نبيع أنفسنا من الله فان الكافر ان أخذ تلك المدينة انتقل الي حصارنا فالموت تحت السيوف أولي بنا فتعاهدوا على الموت وخرجوا من الغد ونزعوا العمائم عن رؤسهم وجعلوها في أعناق الخيل وهي علامة من يريد الموت وجعلوا ذوى النجدة والابطال منهم في المقدمة وكانوا ثلاثمائة وجعلوا على الميمنة سيف الدين بهادور وكان فقيها ورعا شجاعا وعلى الميسرة الملك محمد

السلحدار وركب السلطان في القلب ومعه ثلاثة آلاف وجعل الثلاثة الآلاف الباقين ساقة لهم وعليهم أسد الدين كيخسرو الفارسي وقصدوا محلة الكافر عند القائلة وأهلها على غرة وخيلهم في المرعى فأغاروا عليها وظن الكفار انهم سراق فخرجوا اليهم على غير تعبية وقاتلوهم فوصل السلطان غياث الدين فانهزم الكفار شر هزيمة وأراد سلطانها أن يركب وكان ابن ثمانين سنة فأدركه ناصر الدين ابن أخي السلطان الذي ولي الملك بعده فأراد قتله ولم يعرفه فقال له أحد غلمانه هو السلطان فأسره وحمله الي عمه فأكرمه في الظاهر حتى جبي منه الاموال والفيلة والخيل وكان يعده السراح فلما استصفى ماعنده ذبحه وسلخه وملأ جلده بالتبن فعلق على سور مترة وو أيته بها معلقا* ولنعد الى كلامنا فنقول ورحلت عن المحلة فوصلت الى مدينة فتن (بفتح الفاء والتاء المثناة المشددة ونون) وهي كبيرة حسنة على الساحل ومرساها عجيب قد صنعت فيه قبة خشب كبيرة قائمة على الخشب الضخام يصعد اليها على طريق خشب مسقف فاذا جاء العدو ضموا اليها الاجفان التي تكون بالمرسى وصعدها الرجال والرماة فلا يصيب العدو فرصة وبهذه المدينة مسجد حسن مبني بالحجارة وبها العنب الكثير والرمان الطيب ولقيت الشيخ الصالح محمد النيسابوري أحد الفقراء المولهين الذين يسدلون شعورهم على أكتافهم ومعه سبع رباه يأكل مع الفقراء ويقعد معهم وكان معه نحو ثلاثين فقيراً لاحدهم غزالة تكون مع الاسد في موضع واحد فلا يعرض لها وأقمت بمدينة فتن وكان السلطان غياث الدين قد صنع له أحد الجوكية حبوبا للقوة على الجماع وذكروا ان من جملة اخلاطها برادة الحديد فأكل منها فوق الحاجة فمرض ووصل الي فتن فخرجت الي لقائه وأهديت له هدية فلما استقر بها بعث عن قائد البحر خواجه سرور فقال له لا تشتغل بسوى المراكب المعينة للسفر الى الجزائر وأراد ان يعطيني قيمة الهدية فأبيت ثم ندمت لانه مات فلم آخذ شيئاً وأقام بفتن نصف شهر ثم رحل الي حضرته وأقمت أنا بعده نصف شهر ثم رحلت الي حضرته وهي مدينة مترة (بضم الميم وسكون التاء المعلوة وفتح الراء) مدينة كبيرة متسعة الشوارع وأول من اتخذها حضرة صهري السلطان الشريف جلال الدين

أحسن شاه وجعلها شبيهة بدهلي وأحسن بناءها ولما قدمتها وجدت بها وباء يموت منه الناس موتاذريعا فمن مرض مات من ثاني يوم مرضه أو ثالثه وان أبطأ موته فالى الرابع فكنت اذا خرجت لا أرى الامريضا أو ميتا واشتريت بها جارية على انها صحيحة فماتت في يوم آخر ولقد جاءت الي في بعض الايام امرأة كان زوجها من وزراء السلطان أحسن شاه ومعها ابن لها سنه ثمانية أعوام نبيل كيس فطن فشكت ضعف حالها فاعطيتهما نفقة وهما صحيحان سويان فلما كان من الغد جاءت تطلب لولدها المذكور كفنا واذا به قد توفي من حينه وكنت أرى بمشور السلطان حين مات المئين من الخدم اللاتي أتي بهن لدق الارز المعمول منه الطعام لغير السلطان وهن مريضات قد طرحن أنفسهن في الشمس ولما دخل السلطان مترة وجد أمه وامرأته وولده مرضى فأقام بالمدينة ثلاثة أيام ثم خرج الى نهر على فرسخ منها كانت عليه كنيسة للكفار وخرجت اليه في يوم خميس فأمر بانزالي الي جانب القاضي فلما ضربت لي الاخبية رأيت الناس يسرعون ويموج بعضهم في بعض فمن قائل ان السلطان مات ومن قائل ان ولده هو الميت ثم تحقق ذلك فكان الولد هو الميت ولم يكن له سواه فكان موته مما زاد في مرضه وفي الخميس بعده توفيت أم السلطان

﴿ذكر وفاة السلطان وولاية ابن أخيه وانصرافي عنه﴾

وفي الخميس الثالث توفي السلطان غياث الدين وشعرت بذلك فبادرت الدخول الي المدينة خوف الفتنة ولقيت ناصر الدين ابن أخيه الوالي بعده خارجا الى المحلة قد وجه عنه اذ ليس للسلطان ولد فطلبني في الرجوع معه فأبيت وأثر ذلك في قلبه وكان ناصر الدين هذا خديما بدهلي قبل ان يملك عمه فلما ملك عمه هرب في زي الفقراء اليه فكان من القدر ملكه بعده ولما بويع مدحته الشعراء فأجزل لهم العطاء وأول من قام منشدا القاضي صدر الزمان فأعطاه خمسمائة دينار وخلعة ثم الوزير المسمي بالقاضي فأعطاه ألفي دينار دراهم وأعطاني أنا ثلاثمائة دينار وخلعة وبث الصدقات في الفقراء والمساكين ولما خطب الخطيب أول خطبة خطبها باسمه نثرت عليه الدنانير والدراهم في أطباق

الذهب والفضة وحمل عزاء السلطان غياث الدين فكانوا يختمون القرآن على قبره كل يوم ثم يقرأ العشارون ثم يؤتي بالطعام فيأكل الناس ثم يعطون الدراهم كل انسان على قدره وأقاموا على ذلك أربعين يوماً ثم يفعلون ذلك في مثل يوم وفاته من كل سنة وأول مابدأ به السلطان ناصر الدين ان عزل وزير عمه وطلبه بالاموال وولى الوزارة الملك بدر الدين الذي بعثه عمه الي وأنا بفتن ليتلقاني فتوفى سريعاً فولى الوزارة خواجه سرور قائد البحر وأمر أن يخاطب بخواجه جهان كما يخاطب الوزير بدهلي ومن خاطبه بغير ذلك غرم دنانير معلومة ثم ان السلطان ناصر الدين قتل ابن عمته المتزوج بنت السلطان غياث الدين وتزوجها بعده وبلغه أن الملك مسعود زاره في محبسه قبل موته فقتله أيضا وقتل الملك بهادور وكان من الشجعان الكرماء الفضلاء وأمر لي بجميع ما كان عينه عمه من المراكب برسم الجزائر ثم أصابتني الحمى القاتلة هنالك فظننت انها القاضية وألهمني الله الى التمر الهندي وهو هنالك كثير فأخذت نحو رطل منه وجعلته في الماء ثم شربته فأسهلني ثلاثة أيام وعافاني الله من مرضي فكرهت تلك المدينة وطلبت الاذن في السفر فقال لي السلطان كيف تسافر ولم يبق لايام السفر الى الجزائر غير شهر واحد أقم حتى نعطيك جميع ما أمر لك به خوند عالم فأبيت وكتب لي الى فتن لاسافر في أي مركب أردت وعدت الى فتن فوجدت ثمانية من المراكب تسافر الي اليمن فسافرت في أحدها ولقينا أربعة أجفان فقاتلتنا يسيرا ثم انصرفت ووصلنا الي كولم وكان في بقية مرض فأقمت بها ثلاثة أشهر ثم ركبت في مركب بقصد السلطان جمال الدين الهنوري فخرج علينا الكفار بين هنور وفاكنور

﴿ ذكر سلب الكفار لنا ﴾

ولما وصلنا الي الجزيرة الصغري بين هنور وفاكنور خرج علينا الكفار في اثنى عشر مركبا حربية وقاتلونا قتالا شديدا وتغلبوا علينا فاخذوا جميع ماعندي مما كنت أدخره للشدائد وأخذوا الجواهر واليواقيت التي أعطانيها ملك سيلان وأخذوا ثيابي

والزوادات التي كانت عندي مما أعطانيه الصالحون والاولياء ولم يتركوا لي ساتراخلا السراويل وأخذوا ماكان لجميع الناس وأنزلونا بالساحل فرجعت الى قالقوط فدخلت بعض المساجد فبعث الى أحد الفقهاء بثوب وبعث القاضي بعمامة وبعث بعض التجار بثوب آخر وتعرفت هنالك تزوج الوزير عبد الله بالسلطانة خديجة بعد موت الوزير جمال الدين وبأن زوجتي التي تركتها حاملا ولدت ولدا ذكرا فخطر لي السفر الي الجزائر وتذكرت العداوة التي بيني وبين الوزير عبد الله ففتحت المصحف فخرج لي تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا فاستخرت الله وسافرت فوصلت بعد عشرة أيام الي جزائر ذيبة المهل ونزلت منها بكنلوس فاكرمني واليها عبد العزيز المقدشاوي وأضافني وجهز لي كندرة ووصلت بعد ذلك الى هللي وهي الجزيرة التي تخرج السلطانة واخوتها اليها برسم التفرج والسياحة ويسمون ذلك التجر ويلعبون في المراكب ويبعث لها الوزراء والامراء بالهدايا والتحف متي كانت بها ووجدت بها أخت السلطانة وزوجها الخطيب محمد بن الوزير جمال الدين وأمها التي كانت زوجتي فجاء الخطيب الي وأتوا بالطعام ومر بعض أهل الجزيرة الى الوزير عبد الله فاعلموه بقدومي فسأل عن حالي وعمن قدم معي وأخبر أني جئت برسم حمل ولدي وكان سنه نحو عامين وأتته امه تشكو من ذلك فقال لها أنا لا أمنعه من حمل ولده وصادرني في دخول الجزيرة وأنزلني بدار تقابل برج قصره ليتطلع على حالي وبعث الي بكسوة كاملة وبالتنبول وماء الورد على عادتهم وجئت بثوبي حرير للرمي عند السلام فأخذوهما ولم يخرج الوزير الي ذلك اليوم وأتي الي بولدي فظهر لي ان اقامته معهم خير له فرددته اليهم وأقمت خمسة أيام وظهر لى ان تعجيل السفر أولي فطلبت الاذن فى ذلك فاستدعاني الوزير ودخلت عليه وأتوني بالثوبين اللذين أخذوهما مني فرميتهما عند السلام على العادة وأجلسني الى جانبه وسألني عن حالي وأكلت معه الطعام وغسلت يدي معه فى الطست وذلك شئ لا يفعله مع أحد وأتوا بالتنبول وانصرفت وبعث الي باثواب وبساتي من الودع وأحسن في أفعاله وأجمل وسافرت فأقمنا على ظهر البحر ثلاثا وأربعين ليلة ثم وصلنا الى بلاد بنجالة

(وضبطها بفتح الباء الموحدة وسكون النون وجيم معقود وألف ولام مفتوح) وهي بلاد متسعة كثيرة الأرز ولم أر في الدنيا أرخص أسعارا منها لكنها مظلمة وأهل خراسان يسمونها دوزخست (دوزخ) بور (بر) نعمة معناه جهنم ملآى بالنعم رأيت الأرز يباع في أسواقها خمسة وعشرين رطلا دهلية بدينار فضي والدينار الفضي هو ثمانية دراهم ودرهمهم كالدرهم النقرة سواء والرطل الدهلي عشرون رطلا مغربية وسمعتهم يقولون ان ذلك غلاء عندهم وحدثني محمد المصمودي المغربي وكان من الصالحين وسكن هذا البلد قديما ومات عندي بدهلي انه كانت له زوجة وخادم فكان يشتري قوت ثلاثتهم في السنة بثمانية دراهم وانه كان يشتري الأرز في قشره بحساب ثمانين رطلا دهلية بثمانية دراهم فاذا دقه خرج منه خمسون رطلا صافية وهي عشرة قناطير ورأيت البقرة تباع بها للحلب بثلاثة دنانير فضة وبقرهم الجواميس ورأيت الدجاج السمان تباع بحساب ثمان بدرهم واحد وفراخ الحمام يباع خمسة عشر منها بدرهم ورأيت الكبش السمين يباع بدرهمين ورطل السكر باربعة دراهم وهو رطل دهلي ورطل الجلاب بثمانية دراهم ورطل السمن باربعة دراهم ورطل السيرج بدرهمين ورأيت ثوب القطن الرقيق الجيد الذي ذرعه ثلاثون ذراعا يباع بدينارين ورأيت الجارية المليحة للفراش تباع بدينار من الذهب واحد وهو ديناران ونصف دينار من الذهب المغربي واشتريت بنحو هذه القيمة جارية تسمى عاشورة وكان لها جمال بارع واشتري بعض أصحابي غلاما صغير السن حسنا اسمه لؤلؤ بدينارين من الذهب وأول مدينة دخلناها من بلاد بنجالة مدينة سدكاوان (وضبط اسمها بضم السين وسكون الدال المهملين وفتح الكاف والواو وآخره نون) وهي مدينة عظيمة على ساحل البحر الاعظم ويجتمع بها نهر الكنك الذي يحج اليه الهنود ونهر الجون ويصبان في البحر ولهم في النهر مراكب كثيرة يقاتلون بها أهل بلاد اللكنوتي

﴿ ذكر سلطان بنجالة ﴾

وهو السلطان فخر الدين الملقب بفخره (بالفاء والخاء المعجم والراء) سلطان فاضل

محب في الغرباء وخصوصا الفقراء والمتصوفة وكانت مملكة هذه البلاد للسلطان ناصر الدين ابن السلطان غياث الدين بلبن وهو الذي ولى ولده معز الدين الملك بدهلي فتوجه لقتاله والتقيا بالنهر وسمي لقاؤهما لقاء السعدين وقد ذكرنا ذلك وانه ترك الملك لولده وعاد الى بنجالة فأقام بها الى أن توفي وولى ابنه شمس الدين الى ان توفي فولى ابنه شهاب الدين الى أن غلب عليه أخوه غياث الدين بهادور بور فاستنصر شهاب الدين بالسلطان غياث الدين تغلق فنصره وأخذ بهادور بور أسيرا ثم أطلقه ابنه محمد لما ملك على ان يقاسمه ملكه فنكث عليه فقاتله حتى قتله وولى على هذه البلاد صهر اله فقتله العسكر واستولى على ملكها على شاه وهو اذ ذاك ببلاد الكنوتى فلما رأي فخر الدين ان الملك قد خرج عن أولاد السلطان ناصر الدين وهو مولى لهم خالف بسدكاوان وبلاد بنجالة واستقل بالملك واشتدت الفتنة بينه وبين على شاه فاذا كانت أيام الشتاء والوحل أغار فخر الدين على بلاد الكنوتي في البحر لقوته فيه واذا عادت الايام التي لا مطر فيها أغار على شاة على بنجالة في البر لقوته فيه

﴿ حكاية ﴾

وانتهي حب الفقراء بالسلطان فخر الدين الي أن جعل أحدهم نائباعنه في الملك بسدكاوان وكان يسمى شيدا (بفتح الشين المعجم والدال المهمل بينهما ياء آخر الحروف) وخرج الى قتال عدو له فخالف عليه شيدا وأراد الاستبداد بالملك وقتل ولد السلطان فخر الدين ولم يكن له ولد غيره فلم بذلك فكر عائدا الى حضرته ففر شيدا ومن اتبعه الى مدينة سنركاوان وهي منيعة فبعث السلطان بالعساكر الى حصاره فخاف أهلها على أنفسهم فقبضوا على شيدا وبعثوه الى عسكر السلطان فكتبوا اليه بأمره فأمرهم أن يبعثوا اليه رأسه فبعثوه وقتل بسببه جماعة كبيرة من الفقراء ولما دخلت سدكاوان لم أر سلطانها ولا لقيته لانه مخالف على ملك الهند نخفت عاقبة ذلك وسافرت من سدكاوان بقصد جبال كامرو وهي (بفتح الكاف والميم وضم الراء) وبينها وبين سدكاوان مسيرة شهر وهي جبال متسعة متصلة بالصين وتتصل أيضا ببلاد التبت حيث غزلان المسك وأهل هذا الجبل يشبهون الترك ولهم قوة على الخدمة والغلام منهم يساوي

أضعاف ما يساويه الغلام من غيرهم وهم مشهورون بمعاناة السحر والاشتغال به وكان قصدي بالمسير الي هذه الجبال لقاء ولي من الاولياء بها وهو الشيخ جلال الدين التبريزي

﴿ذكر الشيخ جلال الدين﴾

وهذا الشيخ من كبار الاولياء وافراد الرجال له الكرامات الشهيرة والمآثر العظيمة وهو من المعمرين أخبرني رحمه الله انه ادرك الخليفة المستعصم بالله العباسي ببغداد وكان بها حين قتله وأخبرني أصحابه بعد هذه المدة انه مات وهو ابن مائة وخمسين وانه كان له نحو أربعين سنة يسرد الصوم ولا يفطر الا بعد مواصلة عشر وكانت له بقرة يفطر على حليبها ويقوم الليل كله وكان نحيف الجسم طوالا خفيف العارضين وعلى يديه أسلم أهل تلك الجبال ولذلك أقام بينهم

﴿كرامة له﴾

أخبرني بعض أصحابه انه استدعاهم قبل موته بيوم واحد وأوصاهم بتقوى الله وقال لهم اني أسافر عنكم غدا ان شاء الله وخليفتي عليكم الله الذي لا اله الا هو فلما صلى الظهر من الغد قبضه الله في آخر سجدة منها ووجدوا في جانب الغار الذي كان يسكنه قبرا محفورا عليه الكفن والحنوط فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه به رحمه الله

(كرامة له أيضا)

ولما قصدت زيارة هذا الشيخ لقيني أربعة من أصحابه على مسيرة يومين من موضع سكناه فاخبروني ان الشيخ قال للفقراء الذين معه قد جاءكم سائح المغرب فاستقبلوه وانهم أتوا لذلك بأمر الشيخ ولم يكن عنده علم بشيء من أمري وانما كوشف به وسرت معهم الى الشيخ فوصلت الى زاويته خارج الغار ولا عمارة عندها وأهل تلك البلاد من مسلم وكافر يقصدون زيارته ويأتون بالهدايا والتحف فيأكل منها الفقراء والواردون وأما الشيخ فقد اقتصر على بقرة يفطر على حليبها بعد عشر كما قدمناه ولما دخلت عليه قام الي وعانقني وسألني عن بلادي وأسفاري فاخبرته فقال لي أنت مسافر العرب فقال له من

حضر من أصحابه والعجم ياسيدنا فقال والعجم فا كرموه فاحتملوني الى الزاوية وأضافوني ثلاثة أيام

﴿ حكاية عجيبة فى ضمنها كرامات له ﴾

ولما كان يوم دخولى الى الشيخ رأيت عليه فرجية مرعز فأعجبتني وقلت في نفسي ليت الشيخ أعطانيها فلما دخلت عليه للوداع قام الى جانب الغار وجرد الفرجية وألبسنيها مع طاقية من رأسه ولبس مرقعة فأخبرنى الفقراء ان الشيخ لم تكن عادته ان يلبس تلك الفرجية وانما البسها عند قدومي وانه قال لهم هذه الفرجية يطلبها المغربي ويأخذها منه سلطان كافر ويعطيها لاخينا برهان الدين الصاغرجي وهي له وبرسمه كانت فلما أخبرني الفقراء بذلك قلت لهم قد حصلت لى بركة الشيخ بأن كسانى لباسه وأنا لا أدخل بهذه الفرجية على سلطان كافر ولا مسلم وانصرفت عن الشيخ فاتفق لي بعد مدة طويلة انى دخلت بلاد الصين وانتهيت الى مدينة الخنسا فافترق منى أصحابي لكثرة الزحام وكانت الفرجية على فبينا أنا في بعض الطرق اذا بالوزير فى موكب عظيم فوقع بصره على فاستدعانى وأخذ بيدي وسألنى عن مقدمى ولم يفارقني حتى وصلت الى دار السلطان معه فأردت الانفصال فمنعنى وأدخلني على السلطان فسألني عن سلاطين الاسلام فاجبته ونظر الي الفرجية فاستحسنها فقال لي الوزير جردها فلم يمكننى خلاف ذلك فأخذها وأمر لي بعشر خلع وفرس مجهز ونفقة وتغير خاطرى لذلك ثم تذكرت قول الشيخ انه يأخذها سلطان كافر فطال عجبى من ذلك ولما كان في السنة الاخرى دخلت دار ملك الصين بخان بالق فقصدت زاوية الشيخ برهان الدين الصاغرجي فوجدته يقرأ والفرجية عليه بعينها فعجبت من ذلك وقلبتها بيدي فقال لي لم تقلبها وأنت تعرفها فقلت له نعم هي التى أخذها لي سلطان الخنسا فقال لى هذه الفرجية صنعها أخى جلال الدين برسمي وكتب الى ان الفرجية تصلك على يد فلان ثم أخرج لى الكتاب فقرأته وعجبت من صدق يقين الشيخ وأعلمته بأول الحكاية فقال لى أخي جلال الدين أكبر من ذلك كله هو يتصرف في الكون وقد انتقل الي رحمة الله ثم قال لي بلغنى انه كان يصلي

الصبح كل يوم بمكة وانه يحج كل عام لانه كان يغيب عن الناس يومي عرفة والعيد فلا يعرف أين ذهب ولما ودعت الشيخ جلال الدين سافرت الى مدينة حبنق (وضبط اسمها بفتح الحاء المهملة والباء الموحدة وسكون النون وقاف) وهي من أكبر المدن وأحسنها يشقها النهر الذي ينزل من جبال كامرو ويسمى النهر الازرق ويسافر فيه الى بنجالة وبلاد اللكنوتي وعليه النواعير والبساتين والقرى يمنة ويسرة كما هي على نيل مصر وأهلها كفار تحت الذمة يؤخذ منهم نصف مايزدرعون ووظائف سوى ذلك وسافرنا في هذا النهر خمسة عشر يوما بين القرى والبساتين فكانا نمشي في سوق من الاسواق وفيه من المراكب مالايحصى كثرة وفي كل مركب منها طبل فاذا التقى المركبان ضرب كل واحد طبله وسلم بعضهم على بعض وأمر السلطان فخر الدين المذكور أن لايؤخذ بذلك النهر من الفقراء نول وان يعطي الزاد لمن لازاد له منهم واذا وصل الفقير الي مدينة أعطي نصف دينار وبعد خمسة عشر يوما من سفرنا في النهر كما ذكرناه وصلنا الى مدينة سنركاوان وسنر (بضم السين المهمل والنون وسكون الراء) وهى المدينة التي قبض أهلها على الفقير شيدا عندما لجأ اليها ولما وصلناها وجدنا بها جنكا يريد السفر الى بلاد الجاوة وبينهما أربعون يوما فركبنا فيه ووصلنا بعد خمسة عشر يوما الى بلاد البرهنكار الذين أفواههم كافواه الكلاب (وضبطها بفتح الباء الموحدة والراء والنون والكاف وسكون الهاء) وهذه الطائفة من الهمج لايرجعون الي دين الهنود ولا الى غيره وسكناهم في بيوت قصب مسقفة بحشيش الارض على شاطئ البحر وعندهم من أشجار الموز والفوفل والتنبول كثير ورجالهم على مثل صورنا الا ان أفواههم كافواه الكلاب وأما نساؤهم فلسن كذلك ولهن جمال بارع ورجالهم عرايا لايستترون الا ان الواحد منهم يجعل ذكره وأنثييه في جعبة من القصب منقوشة معلقة في بطنه ويستتر نساؤهم باوراق الشجر ومعهم جماعة من المسلمين من أهل بنجالة والجاوة ساكنون في حارة على حدة أخبرونا انهم يتناكحون كالبهائم لا يستترون بذلك ويكون للرجل منهم ثلاثون امرأة فمادون ذلك أو فوقه وانهم لايزنون واذا زنا أحدهم فحد الرجل ان يصلب حتي

يموت أو يؤتي صاحبه أو عبده فيصلب عوضا منه ويسرح هو وحد المرأة ان يأمر السلطان جميع خدامه فينكحونها واحدا بعد واحد بحضرته حتى تموت ويرمون بها في البحر ولاجل ذلك لا يتركون أحدا من أهل المراكب ينزل اليهم الى ان كان من المقيمين عندهم وانما يبايعون الناس ويشاورونهم على الساحل ويسوقون اليهم الماء على الفيلة لانه بعيد من الساحل ولا يتركونهم لاستقائه خوفاً على نسائهم لانهن يطمحن الى الرجال الحسان والفيلة كثيرة عندهم ولا يسعها أحد غير سلطانهم ثم تشتري منهم بالاثواب ولهم كلام غريب لا يفقهه الا من ساكنهم وأكثر التردد اليهم ولما وصلنا الي ساحلهم أتوا الينا في قوارب صغار كل قارب من خشبة واحدة منحوتة وجاؤا بالموز والارز والتنبول والفوفل والسمك

(ذكر سلطانهم)

وأتى الينا سلطانهم راكباً على فيل عليه شبه بردعة من الجلود ولباس السلطان ثوب من جلود المعز وقد جعل الوبر الي خارج وفوق رأسه ثلاث عصائب من الحرير ملونات وفي يده حربة من القصب ومعه نحو عشرين من أقاربه على الفيلة فبعثنا اليه هدية من الفافل والزنجبيل والقرفة والحوت الذي يكون بجزائر ذيبة المهل وأثوابا بنجالية وهم لا يلبسونها انما يكسونها الفيلة في أيام عيدهم ولهذا السلطان على كل مركب ينزل ببلاده جارية ومملوك وثياب لكسوة الفيل وحلي ذهب تجعله زوجته في محزمها وأصابع رجليها ومن لم يعط هذه الوظيفة صنعوا له سحرا يهيج به البحر فيهلك أو يقارب الهلاك (حكاية) واتفق في ليلة من ليالي اقامتنا بمرساهم ان غلاما لصاحب المركب ممن تردد الي هؤلاء الطائفة نزل من المركب ليلا وتواعد مع امرأة أحد كبرائهم الى موضع شبه الغار على الساحل وعلم بذلك زوجها فجاء في جمع من أصحابه الي الغار فوجدهما به فحملا الي سلطانهم فأمر بالغلام فقطعت انثياه وصلب وأمر بالمرأة فجامعها الناس حتى ماتت ثم جاء السلطان الى الساحل فاعتذر عما جرى وقال انا لا نجد بدا من امضاء احكامنا ووهب لصاحب المركب غلاما عوض الغلام المصلوب ثم سافرنا عن هؤلاء وبعد خمسة وعشرين

يوما وصلنا الى جزيرة الجاوة (بالجيم) وهي التي ينسب اليها اللبان الجاوي رأيناها على مسيرة نصف يوم وهي خضرة نضرة وأكثر أشجارها النارجيل والفوفل والقرنفل والعود الهندي والشكي والبركي والعنبة والجمون والنارنج الحلو وقصب الكافور وبيع أهلها وشراؤهم بقطع قصدير وبالذهب الصيني التبر غير المسبوك والكثير من أفاويه الطيب التي بها انما هو ببلاد الكفار منها وأما ببلاد المسلمين فهو أقل من ذلك ولما وصلنا المرسي خرج الينا أهلها في مراكب صغار ومعهم جوز النارجيل والموز والعنبة والسمك وعادتهم ان يهدوا ذلك للتجار فيكافئهم كل انسان على قدره وصعد الينا أيضا نائب صاحب البحر وشاهد من معنا من التجار وأذن لنا في النزول الى البر فنزلنا الى البندر وهي قرية كبيرة على ساحل البحر بها دور يسمونها السرحي (بفتح السين المهمل وسكون الراء وفتح الحاء المهمل) وبينها وبين البلد أربعة أميال ثم كتب بهروز نائب صاحب البحر الى السلطان فعرفه بقدومي فأمر الامير دولسة بلقائي والقاضي الشريف أمير سيد الشيرازي وتاج الدين الاصبهاني وسواهم من الفقهاء فخرجوا لذلك وجاؤا بفرس من مراكب السلطان وأفراس سواه فركبت وركب أصحابي ودخلنا الى حضرة السلطان وهي مدينة سمطرة (بضم السين المهمل والميم وسكون الطاء وفتح الراء) مدينة حسنة كبيرة عليها سور خشب وأبراج خشب

﴿ ذكر سلطان الجاوة ﴾

وهو السلطان الملك الظاهر من فضلاء الملوك وكرمائهم شافعي المذهب محب في الفقهاء يحضرون مجلسه للقراءة والمذاكرة وهو كثير الجهاد والغزو ومتواضع يأتي الى صلاة الجمعة ماشيا على قدميه وأهل بلاده شافعية محبون في الجهاد يخرجون معه تطوعا وهم غالبون على من يليهم من الكفار والكفار يعطونهم الجزية على الصلح

(ذكر دخولنا الى داره واحسانه الينا)

ولما قصدنا الى دار السلطان وجدنا بالقرب منه رماحا مركوزة عن جانبي الطريق وهي علامة على نزول الناس فلا يتجاوزها من كان راكبا فنزلنا عندها ودخلنا المشور فوجدنا

نائب السلطان وهو يسمي عمدة الملك فقام الينا وسلم علينا وسلامهم بالمصافحة وقعدنا معه وكتب بطاقة الى السلطان يعلمه بذلك وختمها ودفعها لبعض الفتيان فأتاه الجواب على ظهرها ثم جاء أحد الفتيان بقشة والبقشة (بضم الباء الموحدة وسكون القاف وفتح الشين المعجم) هي السبنية فأخذها النائب بيده وأخذ بيدي وأدخلني الي دويرة يسمونها فردخانة على وزن زردخانة (الاان أولها فاء) وهي موضع راحته بالنهار فان العادة ان يأتي السلطان الي المشور بعد الصبح ولا ينصرف الا بعد العشاء الآخرة وكذلك الوزراء والامراء الكبار وأخرج من البقشة ثلاث فوط احداها من خالص الحرير والاخرى حرير وقطن والاخري حرير وكتان وأخرج ثلاثة أثواب يسمونها التحتانيات من جنس الفوط وأخرج ثلاثة من الثياب مختلفة الاجناس تسمي الوسطانيات وأخرج ثلاثة أثواب من الارمات أحدها أبيض وأخرج ثلاث عمائم فلبست فوطة منها عوض السراويل على عادتهم وثوبا من كل جنس وأخذ أصحابي ما بقي منها ثم جاؤا بالطعام أكثره الارز ثم أتوا بنوع من الفقاع ثم أتوا بالتنبول وهو علامة الانصراف فأخذناه وقمنا وقام النائب لقيامنا وخرجنا عن المشور فركبنا وركب النائب معنا وأتوا بنا الي بستان عليه حائط خشب وفي وسطه دار بناؤها بالخشب مفروشة بقطائف قطن يسمونها المخملات (بالميم والخاء المعجم) ومنها مصبوغ وغير مصبوغ وفي البيت أسرة من الخيزران فوقها مضربات من الحرير ولحف خفاف ومخاد يسمونها البوالشت فجلسنا بالدار ومعنا النائب ثم جاء الامير دولسة بجاريتين وخادمين وقال لي يقول لك السلطان هذه على قدرنا لا على قدر السلطان محمد ثم خرج النائب وبقي الامير دولسة عندي وكانت بيني وبينه معرفة لانه كان ورد رسولا على السلطان بدهلي فقلت له متى تكون رؤية السلطان فقال لي ان العادة عندنا ان لا يسلم القادم على السلطان الا بعد ثلاث ليذهب عنه تعب السفر ويثوب اليه ذهنه فأقمنا ثلاثة أيام يأتي الينا الطعام ثلاث مرات في اليوم وتأتينا الفواكه والطرف مساء وصباحا فلما كان اليوم الرابع وهو يوم الجمعة أتاني الامير دولسة فقال لي يكون سلامك علي السلطان بمقصورة الجامع بعد الصلاة فأتيت المسجد وصليت

به الجمعة مع حاجبه قيران (بفتح القاف وسكون الياء آخر الحروف وفتح الراء)
ثم دخلت الى السلطان فوجدت القاضي أمير سيد والطلبة عن يمينه وشماله فصافحني
وسلمت عليه وأجلسني عن يساره وسألني عن السلطان محمد وعن أسفاري فأجبته وعاد
الى المذاكرة في الفقه على مذهب الشافعي ولم يزل كذلك الى صلاة العصر فلما صلاها دخل
بيتا هنالك فنزع الثياب التي كانت عليه وهي ثياب الفقهاء وبها يأتي المسجد يوم الجمعة ماشيا
ثم لبس ثياب الملك وهي الاقبية من الحرير والقطن

(ذكر انصرافه الى داره وترتيب السلام عليه)

ولما خرج من المسجد وجد الفيلة والخيل على بابه والعادة عندهم انه اذا ركب السلطان
الفيل ركب من معه الخيل واذا ركب الفرس ركبوا الفيلة ويكون أهل العلم عن يمينه فركب
ذلك اليوم على الفيل وركبنا الخيل وسرنا معه الى المشور فنزلنا حيث العادة ودخل
السلطان راكبا وقد اصطف في المشور الوزراء والامراء والكتاب وأرباب الدولة
ووجوه العسكر صفوفا فأول الصفوف صف الوزراء والكتاب ووزراؤه أربعة فسلموا
عليه وانصرفوا الى موضع وقوفهم ثم صف الامراء فسلموا ومضوا الى مواقفهم
وكذلك تفعل كل طائفة ثم صف الشرفاء والفقهاء ثم صف الندماء والحكماء والشعراء
ثم صف وجوه العسكر ثم صف الفتيان والمماليك ووقف السلطان على فيله ازاء قبة
الجلوس ورفع فوق رأسه شطر مرصع وجعل عن يمينه خمسون فيلا مزينة وعن شماله
مثلها وعن يمينه أيضا مائة فرس وعن شماله مثلها وهي خيل النوبة ووقف بين يديه خواص
الحجاب ثم أتي أهل الطرب من الرجال فغنوا بين يديه وأتي بخيل مجللة بالحرير لها
خلاخيل ذهب وارسان حرير مزركشة فرقصت الخيل بين يديه فعجبت من شأنها
وكنت رأيت مثل ذلك عند ملك الهند ولما كان عند الغروب دخل السلطان الى داره
وانصرف الناس الى منازلهم

(ذكر خلاف ابن أخيه وسبب ذلك)

وكان له ابن أخ متزوج بينته فولاه بعض البلاد وكان الفتي يتعشق بنتا لبعض الامراء ويريد

تزوجها والعادة هنالك انه اذا كانت لرجل من الناس أمير أو سوقي أو سواه بنت قد بلغت مبلغ النكاح فلا بد ان يستأمر السلطان في شأنها ويبعث السلطان من النساء من تنظر اليها فان أعجبته صفتها تزوجها والا تركها يزوجها أولياؤها ممن يشاؤ والناس هنالك يرغبون في تزوج السلطان بناتهم لما يحوزون به من الجاه والشرف ولما استأمر والد البنت التي تعشقها ابن أخي السلطان بعث السلطان من نظر اليها وتزوجها واشتد شغف الفتى بها ولم يجد سبيلا اليها ثم ان السلطان خرج الى الغزو وبينه وبين الكفار مسيرة شهر فخالفه ابن أخيه الى سمطرة ودخلها اذ لم يكن عليها سور حينئذ وادعى الملك وبايعه بعض الناس وامتنع آخرون وعلم عمه بذلك فقفل عائدا اليها فأخذ ابن أخيه ما قدر عليه من الاموال والذخائر وأخذ الجارية التي تعشقها وقصد بلاد الكفار بمل جاوة ولهذا بنى عمه السور على سمطرة وكانت اقامتي عنده بسمطرة خمسة عشر يوما ثم طلبت منه السفر اذ كان أوانه ولا يتهيأ السفر الي الصين في كل وقت فجهز لنا جنكا وزودنا وأحسن وأجمل جزاه الله خيرا وبعث معنا من أصحابه من يأتي لنا بالضيافة الى الجنك وسافرنا بطول بلاده احدى وعشرين ليلة ثم وصلنا الي مل جاوة (بضم الميم) وهي بلاد الكفار وطولها مسيرة شهرين وبها الأفاويه العطرة والعود الطيب القاقلي والقماري وقاقلة وقمارة من بعض بلادها وليس ببلاد السلطان الظاهر بالجاوة الا اللبان والكافور وشيء من القرنفل وشيء من العود الهندي وانما معظم ذلك بمل جاوة ولنذكر ما شاهدناه منها ووقفنا على أعيانه وحققناه

﴿ ذكر اللبان ﴾

وشجرة اللبان صغيرة تكون بقدر قامة الانسان الي مادون ذلك وأغصانها كاغصان الخرشف وأوراقها صغار رقاق وربما سقطت فبقيت الشجرة منها دون ورقة واللبان صمغية تكون أغصانها وهي في بلاد المسلمين أكثر منها في بلاد الكفار

﴿ ذكر الكافور ﴾

وأما شجر الكافور فهي قصب كقصب بلادنا الا ان الانابيب منها أطول وأغلظ ويكون

الكافور في داخل الانابيب فاذا كثرت القصبة وجد في داخل الانبوب مثل شكله من الكافور والسر العجيب فيه انه لا يتكون في تلك القصب حتى يذبح عند أصولها شيء من الحيوان والا لم يتكون شيء منه والطيب المتناهي في البرودة الذي يقتل منه وزن الدرهم بتجميد الروح وهو المسمى عندهم بالحردالة هو الذى يذبح عند قصبه الآدمي ويقوم مقام الآدمى فى ذلك الفيلة الصغار

﴿ ذكر العود الهندى ﴾

وأما العود الهندي فشجره يشبه شجر البلوط الا ان قشره رقيق وأوراقه كأوراق البلوط سواء ولا ثمر له وشجرته لا تعظم كل العظم وعروقه طويلة ممتدة وفيها الرائحة العطرة وأما عيدان شجرته وورقها فلا عطرية فيها وكل ما ببلاد المسلمين من شجره فهو متملك وأما الذى فى بلاد الكفار فأكثره غير متملك والمتملك منه ما كان بقاقلة وهو أطيب العود وكذلك القماري هو أطيب أنواع العود ويبيعونه لاهل الجاوة بالأثواب ومن القمارى صنف يطبع عليه كالشمع وأما العطاس فانه يقطع العرق منه ويدفن فى التراب أشهرا فتبقى فيه قوته وهو من أعجب أنواعه

﴿ ذكر القرنفل ﴾

وأما أشجار القرنفل فهي عادية ضخمة وهي ببلاد الكفار أكثر منها ببلاد الاسلام وليست بمتملكة لكثرتها والمجلوب الى بلادنا منها هو العيدان والذى يسميه أهل بلادنا نوار القرنفل هو الذي يسقط من زهره وهو شبيه بزهر النارنج وثمر القرنفل هو جوزبوا المعروفة في بلادنا بجوزة الطيب والزهر المتكون فيها هو البسباسة رأيت ذلك كله وشاهدته ووصلنا الى مرسي قاقلة فوجدنا به جملة من الجنوك معدة للسرقة ولمن يستعصي عليهم من الجنوك فان لهم على كل جنك وظيفة ثم نزلنا من الجنك الى مدينة قاقلة وهي بقافين آخرهما مضموم ولامها مفتوح وهي مدينة حسنة عليها سور من حجارة منحوتة عرضه بحيث تسير فيه ثلاثة من الفيلة وأول ما رأيت بخارجها الفيلة عليها الاحمال من العود الهندى يوقدونه فى بيوتهم وهو بقيمة الحطب عندنا أو أرخص ثمنا هذا اذا ابتاعوا فيما بينهم وأما

للتجار فيبيعون الحمل منه بثوب من ثياب القطن وهي أغلى عندهم من ثياب الحرير والفيلة بها كثيرة جداً عليها يركبون ويحملون وكل انسان يربط فيلته على بابه وكل صاحب حانوت يربط فيله عنده يركبه الى داره وتحمل وكذلك جميع أهل الصين والخطا على مثل هذا الترتيب

﴿ ذكر سلطان مل جاوة ﴾

وهو كافر رأيته خارج قصره جالس على قبة ليس بينه وبين الارض بساط ومعه أرباب دولته والعساكر يمرضون عليه مشاة ولا خيل هنالك الا عند السلطان وانما يركبون الفيلة وعليها يقاتلون فعرف شأني فاستدعاني فجئت وقلت السلام على من اتبع الهدى فلم يفقهوا الا لفظ السلام فرحب بي وأمر أن يفرش لي ثوب أقعد عليه فقلت للترجمان كيف أجلس على الثوب والسلطان قاعد على الارض فقال هكذا عادته يقعد على الارض تواضعا وأنت ضيف وجئت من سلطان كبير فيجب اكرامك فجلست وسألني عن السلطان فأوجز في سؤاله وقال لي تقيم عندنا في الضيافة ثلاثة أيام وحينئذ يكون انصرافك

(ذكر عجيبة رأيتها بمجلسه)

ورأيت في مجلس هذا السلطان رجلا بيده سكين شبه سكين المسفر قد وضعه على رقبة نفسه وتكلم بكلام كثير لم أفهمه ثم أمسك السكين بيديه معاً وقطع عنق نفسه فوقع رأسه لحدة السكين وشدة امساكه بالارض فعجبت من شأنه وقال لي السلطان أيفعل أحد هذا عندكم فقلت له ما رأيت هذا قط فضحك وقال هؤلاء عبيدنا يقتلون أنفسهم في محبتنا وأمر به فرفع وأحرق وخرج لاحراقه النواب وأرباب الدولة والعساكر والرعايا وأجري الرزق الواسع على أولاده وأهله واخوانه وعظموا لاجل فعله وأخبرني من كان حاضرا في ذلك المجلس ان الكلام الذي تكلم به كان تقريرا لمحبته في السلطان وانه يقتل نفسه في حبه كما قتل أبوه نفسه في حب أبيه وجده نفسه في حب جده ثم انصرفت عن المجلس وبعث الي بضيافة ثلاثة أيام وسافرنا في البحر فوصلنا بعد أربعة وثلاثين يوما الى البحر الكاهل وهو الراكد وفيه حمرة زعموا انها من تربة أرض تجاوره ولا ريح فيه

ولا موج ولا حركة مع اتساعه ولاجل هذا البحر تتبع كل جنك من جنوك الصين ثلاثة مراكب كما ذكرناه تجذف به فتجره ويكون في الجنك مع ذلك نحو عشرين مجذافا كبارا كالصوارى يجتمع على المجذاف منها ثلاثون رجلا أو نحوها ويقومون قياما صفين كل صف يقابل الآخر وفي المجذاف حبلان عظيمان كالطوابيس فتجذف احدى الطائفتين الحبل ثم تتركه وتجذف الطائفة الاخرى وهم يغنون عند ذلك باصواتهم الحسان وأكثر مايقولون لعلى لعلى وأقمنا على ظهر هذا البحر سبعة وثلاثين يوما وعجبت البحرية من التسهيل فيه فانهم يقيمون فيه خمسين يوما الى أربعين وهي أنهى مايكون من التيسير عليهم ثم وصلنا الى بلاد طوالسي وهي (بفتح الطاء المهمل والواو وكسر السين المهمل) وملكن هو المسمي بطوالسي وهي بلاد عريضة وملكها يضاهي ملك الصين وله الجنوك الكثيرة يقاتل بها أهل الصين حتي يصالحوه علي شئ وأهل هذه البلاد عبدة أوثان حسان الصور وأشبه الناس بالترك في صورهم والغالب على ألوانهم الحمرة ولهم شجاعة ونجدة ونساؤهم يركبن الخيل ويحسن الرماية ويقاتلن كالرجال سواء وأرسينا من مراسيهم بمدينة كيلوكري (وضبطها بكاف مفتوح وياء آخر الحروف مسكنة ولام مضموم وكاف مفتوح وراء مكسور) وهى من أحسن مدنهم وأكبرها وكان يسكن بها ابن ملكهم فلما أرسينا بالمرسي جاءت عساكرهم ونزل الناخودة اليهم ومعه هدية لابن الملك فسألهم عنه فاخبروه ان أباه ولاه بلدا غيرهم وولي بنته بتلك المدينة (واسمها أردجا بضم الهمزة وسكون الراء وضم الدال المهمل وجيم)

(ذكر هذه الملكة)

ولما كان في اليوم الثانى من حلولنا بمرسي كيلوكري استدعت هذه الملكة الناخودة صاحب المركب والكواني وهو الكاتب والتجار والرؤساء والتنديل وهو مقدم الرجال وسباه سالار وهو مقدم الرماة لضيافة صنعتها لهم على عادتها ورغب الناخودة مني ان أحضر معهم فابيت لانهم كفار لايجوز أكل طعامهم فلما حضروا عندها قالت لهم هل بقى أحد منكم لم يحضر فقال لها الناخودة لم يبق الا رجل واحد بخشى وهو القاضي بلسانهم

وبخشي (بفتح الباء الموحدة وسكون الخاء وكسر الشين المعجمين) وهو لا يأكل طعامكم فقالت ادعوه فجاء جنادرتها وأصحاب الناخوذة فقالوا أجب الملكة فاتيتها وهي بمجلسها الاعظم وبين يديها نسوة بأيديهن الازمة يعرضن ذلك عليها وحولها النساء القواعد وهن وزيراتها وقد جلسها تحت السرير على كراسي الصندل وبين يديها الرجال ومجلسها مفروش بالحرير وعليه ستور حرير وخشبه من الصندل وعليه صفائح الذهب وبالمجلس مساطب خشب منقوش عليها أوانى ذهب كثيرة من كبار وصغار كالخوابي والقلال والبواقيل أخبرني الناخوذة انها مملوءة بشراب مصنوع من السكر مخلوط بالافاويه يشربونه بعد الطعام وانه عطر الرائحة حلو المطعم يفرح ويطيب النكهة ويهضم ويعين على الباءة فلما سلمت على الملكة قالت لي بالتركية حسن مسن بخشي مسن (خوشميسن يخشميسن) معناه كيف حالك كيف أنت وأجلستني على قرب منها وكانت تحسن الكتاب العربي فقالت لبعض خدامها داوات وبتك كاتور (كتور) معناه الدواة والكاغد فأتى بذلك فكتبت فيه بسم الله الرحمن الرحيم فقالت ماهذا فقلت لها تضري (تنكري) نام وتضري (بفتح التاء المعلوة وسكون النون وفتح الضاد وراء وياء) ونام (بنون وألف وميم) ومعنى ذلك اسم الله فقالت خشن (خوش) ومعناه جيد ثم سألتني من أي البلاد قدمت فقلت لها من بلاد الهند فقالت بلاد الفلفل فقلت نعم فسألتني عن تلك البلاد وأخبارها فاجبتها فقالت لابد ان أغزوها وآخذها لنفسي فانه يعجبني كثرة مالها وعساكرها فقلت لها افعلي وأمرت لي بأثواب وحمل فيلين من الارز وبجاموستين وعشر من الضأن وأربعة أرطال جلاب وأربعة مرطبانات وهي ضخمة مملوءة بالزنجبيل والفلفل والليمون والعنبا كل ذلك مملوح مما يستعد للبحر وأخبرني الناخوذة ان هذه الملكة لها في عسكرها نسوة وخدم وجوار يقاتلن كالرجال وانها تخرج في العساكر من رجال ونساء فتغير على عدوها وتشاهد القتال وتبارز الابطال وأخبرني انها وقع بينها وبين بعض أعدائها قتال شديد وقتل كثير من عسكرها وكادوا ينهزمون فدفعت بنفسها وخرقت الجيوش حتى وصلت الى الملك الذى كانت تقاتله

فطعنته طعنة كان فيها حتفه فمات وانهزمت عساكره وجاءت برأسه على رمح فافتكه أهله منها بمال كثير فلما عادت الى أبيها ملكها تلك المدينة التى كانت بيد أخيها وأخبرني ان أبناء الملوك يخطبونها فتقول لا أتزوج الا من يبارزني فيغلبني فيتحامون مبارزتها خوف المعرة ان غلبتهم ثم سافرنا عن بلاد طوالسى فوصلنا بعد سبعة عشر يوما والريح مساعدة لنا ونحن نسير بها أشد السير وأحسنه الي بلاد الصين واقليم الصين متسع كثير الخيرات والفواكه والزرع والذهب والفضة لا يضاهيه في ذلك اقليم من أقاليم الارض ويخترقه النهر المعروف بآب حيات معنى ذلك ماء الحياة ويسمى أيضا نهر السبر (السرو) كاسم النهر الذى بالهند ومنبعه من جبال بقرب مدينة خان بالق تسمى كوه بوزنه معناه جبل القرود ويمر في وسط الصين مسيرة ستة أشهر الى أن ينتهي الى صين الصين وتكتنفه القرى والمزارع والبساتين والاسواق كنيل مصر الا ان هذا أكثر عمارة وعليه النواعير الكثيرة وببلاد الصين السكر الكثير مما يضاهي المصري بل يفضله والاعناب والاجاص وكنت أظن ان الاجاص العثمانى الذى بدمشق لا نظير له حتي رأيت الاجاص الذي بالصين وبها البطيخ العجيب يشبه بطيخ خوارزم وأصفهان وكل ما ببلادنا من الفواكه فان بها ما هو مثله وأحسن منه والقمح بها كثير جدا ولم أر قمحا اطيب منه وكذلك العدس والحمص

﴿ ذكر الفخار الصينى ﴾

وأما الفخار الصيني فلا يصنع منها الا بمدينة الزيتون وبصين كلان وهو من تراب جبال هنالك تقد فيه النار كالفحم وسنذكر ذلك ويضيفون اليه حجارة عندهم ويوقدون النار عليها ثلاثة أيام ثم يصبون عليها الماء فيعود الجميع ترابا ثم يخمرونه فالجيد منه ما خمر شهرا كاملا ولا يزاد على ذلك والدون ما خمر عشرة أيام وهو هنالك بقيمة الفخار ببلادنا وأرخص ثمنا ويحمل الى الهند وسائر الاقاليم حتي يصل الى بلادنا بالمغرب وهو أبدع أنواع الفخار

(ذكر دجاج الصين)

ودجاج الصين وديوكها ضخمة جداً أضخم من الاوز عندنا وبيض الدجاج عندهم أضخم من بيض الاوز عندنا وأما الاوز عندهم فلا ضخامة لها ولقد اشترينا دجاجة فأردنا طبخها فلم يسع لحمها في برمة واحدة فجعلناها في برمتين ويكون الديك بها على قدر النعامة وربما انتتف ريشها فيبقى بضعة حمراء وأول ما رأيت الديك الصيني بمدينة كولم فظننته نعامة وعجبت منه فقال لي صاحبه ان ببلاد الصين ما هو أعظم منه فلما وصلت الى الصين رأيت مصداق ما أخبرني به من ذلك

(ذكر بعض من أحوال أهل الصين)

وأهل الصين كفار يعبدون الاصنام ويحرقون موتاهم كما تفعل الهنود وملك الصين تتري من ذرية تنكيز خان وفي كل مدينة من مدن الصين مدينة للمسلمين ينفردون بسكناهم ولهم فيها المساجد لاقامة الجمعات وسواها وهم معظمون محترمون وكفار الصين يأكلون لحوم الخنازير والكلاب ويبيعونها في أسواقهم وهم أهل رفاهية وسعة عيش الا انهم لا يحتفلون في مطعم ولا ملبس وترى التاجر الكبير منهم الذي لا تحصى أمواله كثرة وعليه جبة قطن خشنة وجميع أهل الصين انما يحتفلون في أواني الذهب والفضة ولكل واحد منهم عكاز يعتمد عليه في المشي ويقولون هو الرجل الثالثة والحرير عندهم كثير جداً لأن الدود تتعلق بالثمار وتأكل منها فلا تحتاج الى كثير مؤنة ولذلك كثر وهو لباس الفقراء والمساكين بها ولولا التجار لما كانت له قيمة ويباع الثوب الواحد من القطن عندهم بالاثواب الكثيرة من الحرير وعادتهم ان يسبك التاجر ما يكون عنده من الذهب والفضة قطعاً تكون القطعة منها من قنطار فما فوقه وما دونه ويجعل ذلك على باب داره ومن كان له خمس قطع منها جعل في اصبعه خاتماً ومن كانت له عشر جعل خاتمين ومن كان له خمس عشرة سموه الستي (بفتح السين المهمل وكسر التاء المعلوة) وهو بمعنى الكارمي بمصر ويسمون القطعة الواحدة منها بركالة (بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وفتح الكاف واللام)

(ذكر دراهم الكاغد التي بها يبيعون ويشترون)

وأهل الصين لا يتبايعون بدينار ولا درهم وجميع ما يتحصل ببلادهم من ذلك يسبكونه قطعا كما ذكرناه وانما بيعهم وشراؤهم بقطع كاغد كل قطعة منها بقدر الكف مطبوعة بطابع السلطان وتسمى الخمس والعشرون قطعة منها بالشت (بباء موحدة وألف ولام مكسور وشين معجم مسكن وتاء معلوة) وهي بمعنى الدينار عندنا واذا تمزقت تلك الكواغد في يد انسان حملها الى دار كدار السكة عندنا فأخذ عوضها جددا ودفع تلك ولا يعطي على ذلك أجرة ولا سواها لان الذين يتولون عملها لهم الارزاق الجارية من قبل السلطان وقد وكل بتلك الدار أمير من كبار الامراء واذا مضى الانسان الى السوق بدرهم فضة أو دينار يريد شراء شيء لم يؤخذ منه ولا يلتفت اليه حتى يصرفه بالبالشت ويشتري به ما أراد

﴿ ذكر التراب الذي يوقدونه مكان الفحم ﴾

وجميع أهل الصين والخطا انما فحمهم تراب عندهم منعقد كالطفل عندنا ولونه لون الطفل تأتي الفيلة بالاحمال منه فيقطعونه قطعا على قدر قطع الفحم عندنا ويشعلون النار فيه فيقد كالفحم وهو أشد حرارة من نار الفحم واذا صار رمادا عجنوه بالماء ويبسوه وطبخوا به ثانية ولا يزالون يفعلون به كذلك الى أن يتلاشي ومن هذا التراب يصنعون أواني الفخار الصيني ويضيفون اليه حجارة سواه كما ذكرناه

(ذكر ما خصوا به من احكام الصناعات)

وأهل الصين أعظم الامم احكاما للصناعات وأشدهم اتقانا فيها وذلك مشهور من حالهم قد وصفه الناس في تصانيفهم فاطنبوا فيه وأما التصوير فلا يجاريهم أحد في احكامه من الروم ولا من سواهم فان لهم فيه اقتدارا عظيما ومن عجيب ما شاهدت لهم من ذلك اني ما دخلت قط مدينة من مدنهم ثم عدت اليها الا ورأيت صورتي وصور أصحابي منقوشة في الحيطان والكواغد موضوعة في الاسواق ولقد دخلت الى مدينة السلطان فمررت على سوق النقاشين ووصلت الى قصر السلطان مع أصحابي ونحن على زي العراقيين فلما عدت من القصر عشيا مررت بالسوق المذكورة فرأيت صورتي وصورة أصحابي منقوشة في كاغد قد ألصقوه بالحائط فجعل كل واحد منا ينظر الى صورة صاحبه لا تخطي شيأ من شبهه

وذكر لي ان السلطان أمرهم بذلك وأنهم أتوا الى القصر ونحن به فجعلوا ينظرون الينا ويصورون صورنا ونحن لم نشعر بذلك وتلك عادة لهم في تصوير كل من يمر بهم وتنتهي حالهم في ذلك الى ان الغريب اذا فعل مايوجب فراره عنهم بعثوا صورته الى البلاد وبحث عنه فحيثما وجد شبه تلك الصورة أخذ قال ابن جزي هذا مثل ماحكاه اهل التاريخ من قضية سابور ذي الاكتاف ملك الفرس حين دخل الى بلاد الروم متنكرا وحضر وليمة صنعها ملكهم وكانت صورته على بعض الاواني فنظر اليها بعض خدام قيصر فانطبعت على صورة سابور فقال لملكه ان هذه الصورة تخبرني ان كسرى معنا في هذا المجلس فكان الامر على ماقاله وجرى فيه ماهو مسطور في الكتب

(ذكر عادتهم في تقييد مافي المراكب)

وعادة اهل الصين اذا أراد جنك من جنوكهم السفر صعد اليه صاحب البحر وكتابه وكتبوا من يسافر فيه من الرماة والخدام والبحرية وحينئذ يباح لهم السفر فاذا عاد الجنك الى الصين صعدوا اليه أيضا وقابلوا ماكتبوه باشخاص الناس فان فقدوا أحدا من قيدوه طلبوا صاحب الجنك به فاما ان يأتي ببرهان على موته أو فراره أو غير ذلك مما يحدث عليه والا اخذ فيه فاذا فرغوا من ذلك أمروا صاحب المركب ان يملي عليهم تفسير الجميع مافيه من السلع قليلها وكثيرها ثم ينزل من فيه ويجلس حفاظ الديوان لمشاهدة ماعندهم فان عثروا على سلعة قد كتمت عنهم عاد الجنك بجميع مافيه مالا للمخزن وذلك نوع من الظلم مارأيته ببلاد من بلاد الكفار ولا المسلمين الا بالصين اللهم الا انه كان بالهند مايقرب منه وهو ان من عثر على سلعة له قد غاب على مغرمها أغرم أحد عشر مغرماً ثم رفع السلطان ذلك لما رفع المغارم

(ذكر عادتهم في منع التجار عن الفساد)

واذا قدم التاجر المسلم على بلد من بلاد الصين خير في النزول عند تاجر من المسلمين المتوطنين معين أو في الفندق فان احب النزول عند التاجر حصر ماله وضمنه التاجر المستوطن وانفق عليه منه بالمعروف فاذا أراد السفر بحث عن ماله فان وجد شيء منه قد

ضاع اغرمه التاجر المستوطن الذي ضمنه وان اراد النزول بالفندق سلم ماله لصاحب الفندق وضمنه وهو يشتري له ما أحب ويحاسبه فان أراد التسري اشترى له جارية وأسكنه بدار يكون بابها في الفندق وانفق عليهما والجواري رخيصات الأثمان الا ان اهل الصين أجمعين يبيعون أولادهم وبناتهم وليس ذلك عيبا عندهم غير انهم لا يجبرون علي السفر مع مشتريهم ولا يمنعون أيضا منه ان اختاروه وكذلك ان أراد التزوج تزوج وأما انفاق ماله في الفساد فشيء لا سبيل له اليه ويقولون لا نريد ان يسمع في بلاد المسلمين انهم يخسرون أموالهم في بلادنا فانها أرض فساد وحسن فائت

(ذكر حفظهم للمسافرين في الطرق)

وبلاد الصين آمن البلاد وأحسنها حالا للمسافرين فان الانسان يسافر منفردا مسيرة تسعة أشهر وتكون معه الاموال الطائلة فلا يخاف عليه وترتيب ذلك ان لهم في كل منزل ببلادهم فندقا عليه حاكم يسكن به في جماعة من الفرسان والرجال فاذا كان بعد المغرب أو العشاء الآخرة جاء الحاكم الي الفندق ومعه كاتبه فكتب أسماء جميع من يبيت به من المسافرين وختم عليها وأقفل باب الفندق عليهم فاذا كان بعد الصبح جاء ومعه كاتبه فدعا كل انسان باسمه وكتب بها تفسيرا وبعث معهم من يوصلهم الى المنزل الثاني له ويأتيه ببراءة من حاكمه ان الجميع قد وصلوا اليه وان لم يفعل طلبه بهم وهكذا العمل في كل منزل ببلادهم من صين الصين الى خان بالق وفي هذه الفنادق جميع ما يحتاج اليه المسافر من الازواد وخصوصا الدجاج والاوز وأما الغنم فهي قليلة عندهم * ولنعد الى ذكر سفرنا فنقول لما قطعنا البحر كانت أول مدينة وصلنا اليها مدينة الزيتون وهذه المدينة ليس بها زيتون ولا بجميع بلاد أهل الصين والهند ولكنه اسم وضع عليها وهي مدينة عظيمة كبيرة تصنع بها ثياب الكمخا والأطلس وتعرف بالنسبة اليها وتفضل على الثياب الخنساوية والخنبالقية ومرساها من أعظم مراسي الدنيا أو هو أعظمها رأيت به نحو مائة جنك كبار وأما الصغار فلا تحصي كثرة وهو خور كبير من البحر يدخل في البر حتى يختلط بالنهر الاعظم وهذه المدينة وجميع بلاد الصين يكون للانسان بها البستان

والارض ودارهُ في وسطها كمثل ماهي ببلدة سجلماسة ببلادنا وبهذا عظمت بلادهم والمسلمون ساكنون بمدينة على حدة وفي يوم وصولي اليها رأيت بها الامير الذي توجه الى الهند رسولا بالهدية ومضى في صحبتنا وغرق به الجنك فسلم علي وعرف صاحب الديوان بي فأنزلني في منزل حسن وجاء الي قاضي المسلمين تاج الدين الاردويلي وهو من الافاضل الكرماء وشيخ الاسلام كمال الدين عبد الله الاصفهاني وهو من الصلحاء وجاء الي كبار التجار فيهم شرف الدين التبريزي أحد التجار الذين استدنت منهم حين قدومي على الهند وأحسنهم معاملة حافظ القرآن مكثر للتلاوة وهؤلاء التجار لسكناهم في بلاد الكفار اذا قدم عليهم المسلم فرحوا به أشد الفرح وقالوا جاء من أرض الاسلام وله يعطون زكوات أموالهم فيعود غنيا كواحد منهم وكان بها من المشايخ الفضلاء برهان الدين الكازروني له زاوية خارج البلد واليه يدفع التجار النذور التي ينذرونها للشيخ أبي اسحق الكازروني ولما عرف صاحب الديوان اخباري كتب الى القان وهو ملكهم الاعظم يخبره بقدومي من جهة ملك الهند فطلبت منه أن يبعث معي من يوصلني الى بلاد الصين (صين الصين) وهم يسمونه صين كلان لأشاهد تلك البلاد وهي في عمالته بخلال ما يعود جواب القان فأجاب الي ذلك وبعث معي من أصحابه من يوصلني وركبت في النهر في مركب يشبه أجفان بلادنا الغزوية الا أن الجذافين يجذفون فيه قياما وجميعهم في وسط المركب والركاب في المقدم والمؤخر ويظللون على المركب بثياب تصنع من نبات ببلادهم يشبه الكتان وليس به وهو أرق من القنب وسافرنا في هذا النهر سبعة وعشرين يوما وفي كل يوم نرسو عند الزوال بقرية نشتري بها ما نحتاج اليه ونصلي الظهر ثم ننزل بالعشي الى أخرى هكذا الى أن وصلنا الى مدينة صين كلان (بفتح الكاف) وهي مدينة صين الصين وبها يصنع الفخار وبالزيتون أيضا وهنالك يصب نهر آب حياة في البحر ويسمونه مجمع البحرين وهي من أكبر المدن وأحسنها أسواقا ومن أعظم أسواقها سوق الفخار ومنها يحمل الى سائر بلاد الصين والى الهند واليمن وفي وسط هذه المدينة كنيسة عظيمة لها تسعة أبواب داخل كل باب اسطوان ومصاطب يقعد عليه

الساكنون بها وبين البابين الثاني والثالث منها موضع فيه بيوت يسكنها العميان وأهل الزمانات ولكل واحد منهم نفقته وكسوته من أوقاف الكنيسة وكذلك فيما بين الابواب كلها وفي داخلها المارستان للمرضي والمطبخة لطبخ الاغذية وفيها الاطباء والخدام وذكر لي ان الشيوخ الذين لا قدرة لهم على التكسب لهم نفقتهم وكسوتهم بهذه الكنيسة وكذلك الايتام والارامل ممن لا حال لهم وعمر هذه الكنيسة بعض ملوكهم وجعل هذه المدينة وما ليها من القري والبساتين وقفا عليها وصورة ذلك الملك مصورة بالكنيسة المذكورة وهم يعبدونها وفي بعض جهات هذه المدينة بلدة المسلمين لهم بها المسجد الجامع والزاوية والسوق ولهم قاض وشيخ ولا بد في كل بلد من بلاد الصين من شيخ الاسلام تكون أمور المسلمين كلها راجعة اليه وقاض يقضي بينهم وكان نزولي عند أوحد الدين السنجاري وهو أحد الفضلاء الاكابر ذو الاموال الطائلة وأقمت عنده أربعة عشر يوما وتحف القاضي وسائر المسلمين تتوالى علي وكل يوم يصنعون دعوة جديدة ويأتون اليها بالعشاريين الحسان والمغنين وليس وراء هذه المدينة مدينة لا للكفار ولا للمسلمين وبينها وبين سد يأجوج ومأجوج ستون يوما فيما ذكر لي يسكنها كفار رحالة يأكلون بني آدم اذا ظفروا بهم ولذلك لا تسلك بلادهم ولا يسافر اليها ولم أر بتلك البلاد من رأي السد ولا من رأى من رآه

(حكاية عجيبة)

ولما كنت بصين كلان سمعت أن بها شيخا كبيرا قد أناف على مائتي سنة وانه لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث ولا يباشر النساء مع قوته التامة وانه ساكن في غار بخارجها يتعبد فيه فتوجهت الي الغار فرأيته على بابه وهو نحيف شديد الحمرة عليه أثر العبادة ولا لحية له فسلمت عليه فأمسك يدي وشمها وقال للترجمان هذا من طرف الدنيا كما نحن من طرفها الآخر ثم قال لي لقد رأيت عجبا أتذكر يوم قدومك الجزيرة التي فيها الكنيسة والرجل الذي كان جالسا بين الاصنام واعطاك عشرة دنانير من الذهب فقلت نعم فقال أنا هو فقبلت يده وفكر ساعة ثم دخل الغار فلم يخرج الينا وكأنه ظهر منه الندم على

ما تكلم به فتهجمنا ودخلنا الغار عليه فلم نجده ووجدنا بعض أصحابه ومعه جملة بوالشت من الكاغد فقال هذه ضيافتكم فانصرفوا فقلنا له ننتظر الرجل فقال لو أقمتم عشر سنين لم تروه فان عادته اذا اطلع أحد على سر من أسراره لا يراه بعده ولا تحسب انه غاب عنك بل هو حاضر معك فعجبت من ذلك وانصرفت فاعلمت القاضي وشيخ الاسلام وأوحد الدين السنجاري بقضيته فقالوا كذلك عادته مع من يأتي اليه من الغرباء ولا يعلم أحد ما ينتحله من الاديان والذي ظننتموه أحد أصحابه هو هو وأخبروني انه كان غاب عن هذه البلاد نحو خمسين سنة ثم قدم عليها منذ سنة وكان السلاطين والامراء والكبراء يأتونه زائرين فيعطيهم التحف على أقدارهم ويأتيه الفقراء كل يوم فيعطي لكل أحد على قدره وليس في الغار الذي هو به ما يقع عليه البصر وانه يحدث عن السنين الماضية ويذكر النبي صلى الله عليه وسلم ويقول لو كنت معه لنصرته ويذكر الخليفتين عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب بأحسن الذكر ويثني عليهما ويلعن يزيد بن معاوية ويقع في معاوية وحدثوني عنه بأمور كثيرة وأخبرني أوحد الدين السنجاري قال دخلت عليه بالغار فأخذ بيدي فخيل لي اني في قصر عظيم وانه قاعد فيه على سرير وفوق رأسه تاج وعن جانبيه الوصائف الحسان والفواكه تتساقط في أنهار هنالك وتخيلت اني أخذت تفاحة لآكلها فاذا أنا بالغار وبين يديه وهو يضحك مني وأصابني مرض شديد لازمني شهوراً فلم أعد اليه وأهل تلك البلاد يعتقدون انه مسلم لكن لم يره أحد يصلي وأما الصيام فهو صائم أبداً وقال لي القاضي ذكرت له الصلاة في بعض الايام فقال لي أتدري أنت ما أصنع ان صلاتي غير صلاتك وأخباره كلها غريبة وفي اليوم الثاني من لقائه سافرت راجعاً الى مدينة الزيتون وبعد وصولي اليها بأيام جاء أمر القان بوصولي الى حضرته على البر والكرامة ان شئت في النهر والا ففي البر فاخترت السفر في النهر فجهزوا لي مركباً حسناً من المراكب المعدة لركوب الامراء وبعث الامير معنا أصحابه ووجه لنا الامير والقاضي والتجار المسلمون أزواداً كثيرة وسرنا في الضيافة نتغدى بقرية ونتعشى بأخرى فوصلنا بعد سفر عشرة أيام الى مدينة قنجنفو (وضبط اسمها بفتح القاف وسكون النون وفتح

الجيم وسكون النون الآخر وضم الفاء وواو) مدينة كبيرة حسنة فى بسيط أفيح والبساتين محدقة بها فكأنها غوطة دمشق وعند وصولنا خرج الينا القاضى وشيخ الاسلام والتجار ومعهم الاعلام والطبول والابواق والانفار وأهل الطرب وأتوا بالخيل فركبنا ومشوا بين أيدينا لم يركب معنا غير القاضي والشيخ وخرج أمير البلد وخدامه وضيف السلطان عندهم معظم أشد التعظيم ودخلنا المدينة ولها أربعة أسوار يسكن ما بين السور الاول والثاني عبيد السلطان من حراس المدينة وسمارها ويسمون البصوانان (الباسوانان) (بفتح الباء الموحدة وسكون الصاد المهمل وواو وألف ونون وألف ونون) ويسكن ما بين السور الثاني والثالث الجنود المركبون والامير الحاكم على البلد ويسكن داخل السور الثالث المسلمون وهنالك نزلنا عند شيخهم ظهير الدين القرلاني (بضم القاف وسكون الراء) ويسكن داخل السور الرابع الصينيون وهو أعظم المدن الاربعة ومقدار ما بين كل باب منها والذي يليه ثلاثة أميال وأربعة ولكل انسان كما ذكرناه بستانه وداره وأرضه (حكاية)

وبينا أنا يوما في دار ظهير الدين القرلاني اذا بمركب عظيم لبعض الفقهاء المعظمين عندهم فاستؤذن له علي وقالوا مولانا قوام الدين السبتي فعجبت من اسمه ودخل الي فلما حصلت المؤانسة بعد السلام سنح لي اني أعرفه فأطلت النظر اليه فقال أراك تنظر الى نظر من يعرفني فقلت له من أي البلاد أنت فقال من سبتة فقلت له وأنا من طنجة فجدد السلام علي وبكى حتى بكيت لبكائه فقلت له هل دخلت بلاد الهند فقال لي نعم دخلت حضرة دهلى فلما قال لي ذلك تذكرت له وقلت أأنت البشري قال نعم وكان وصل الى دهلى مع خاله أبي قاسم المرسي وهو يومئذ شاب لا نبات بعارضيه من حذاق الطلبة يحفظ الموطأ وكنت أعلمت سلطان الهند بأمره فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وطلب منه الاقامة عنده فأبى وكان قصده في بلاد الصين فعظم شأنه بها واكتسب الاموال الطائلة أخبرني ان له نحو خمسين غلاما ومثلهم من الجوارى واهدى الي منهم غلامين وجاريتين وتحفا كثيرة ولقيت اخاه بعد ذلك ببلاد السودان فيا بعد ما بينهما وكانت اقامتي بقنجنفو خمسة

عشر يوما وسافرت منها و بلاد الصين علي مافيها من الحسن لم تكن تعجبني بل كان خاطري شديد التغير بسبب غلبة الكفر عليها فمتى خرجت عن منزلي رأيت المناكير الكثيرة فاقلقني ذلك حتى كنت ألازم المنزل فلا أخرج الا لضرورة وكنت اذا رأيت المسلمين بها فكأني لقيت أهلي وأقاربي ومن تمام فضيلة هذا الفقيه البشري ان سافر معي لما رحلت عن قنجنفو أربعة أيام حتي وصلت الي مدينة بيوم قطلو (وهي بباء موحدة مفتوحة وياء آخر الحروف ساكنة وواو مفتوحة وميم وقاف مضموم وطاء مسكنة ولام مضموم وواو) مدينة صغيرة يسكنها الصينيون من جند وسوقة وليس بها للمسلمين الا اربعة من الدور وأهلها من جهة الفقيه المذكور ونزلنا بدار أحدهم وأقمنا عنده ثلاثة أيام ثم ودعت الفقيه وانصرفت فركبت النهر على العادة تتغدى بقرية وتتعشى بأخرى الى ان وصلنا بعد سبعة عشر يوما منها الى مدينة الخنسا واسمها على نحو اسم الخنساء الشاعرة ولا أدري أعربي هو أم وافق العربي وهذه المدينة أكبر مدينة رأيتها على وجه الارض طولها مسيرة ثلاثة أيام يرحل المسافر فيها وينزل وهي على ماذكرناه من ترتيب عمارة الصين كل أحد له بستانه وداره وهي منقسمة الى ست مدن سنذكرها وعند وصولنا اليها خرج الينا قاضيها فخر الدين وشيخ الاسلام بها وأولاد عثمان بن عفان المصري وهم كبراء المسلمين بها ومعهم علم أبيض والاطبال والانفار والابواق وخرج أميرها في موكبه ودخلنا المدينة وهي ست مدن على كل مدينة سور ويحدق بالجميع سور واحد فأول مدينة منها يسكنها حراس المدينة وأميرهم حدثني القاضي وسواه انهم اثنا عشر ألفا في زمام العسكرية وبتنا ليلة دخولنا في دار أميرهم وفي اليوم الثاني دخلنا المدينة الثانية على باب يعرف بباب اليهود ويسكن بها اليهود والنصارى والترك عبدة الشمس وهم كثير وأمير هذه المدينة من أهل الصين وبتنا عنده الليلة الثانية وفي اليوم الثالث دخلنا المدينة الثالثة ويسكنها المسلمون ومدينتهم حسنة وأسواقهم مرتبة كترتيبها في بلاد الاسلام وبها المساجد والمؤذنون سمعناهم يؤذنون بالظهر عند دخولنا ونزلنا منها بدار اولاد عثمان ابن عفان المصري وكان أحد التجار الكبار استحسن هذه المدينة فاستوطنها وعرفت

بالنسبة اليه واورث عقبه به الجاه والحرمة وهم على ما كان عليه أبوهم من الايثار على الفقراء والاعانة للمحتاجين ولهم زاوية تعرف بالعثمانية حسنة العمارة لها أوقاف كثيرة وبها طائفة من الصوفية وبنى عثمان المذكور المسجد الجامع بهذه المدينة ووقف عليه وعلى الزاوية اوقافا عظيمة وعدد المسلمين بهذه المدينة كثير وكانت اقامتنا عندهم خمسة عشر يوما فكنا كل يوم وليلة فى دعوة جديدة ولا يزالون يحتفلون فى أطعمتهم ويركبون معنا كل يوم للنزهة فى أقطار المدينة وركبوا معي يوما فدخلنا الى المدينة الرابعة وهي دار الامارة وبها سكنى الامير الكبير قرطي ولما دخلنا من بابها ذهب عني أصحابي ولقيني الوزير وذهب بي الى دار الامير الكبير قرطي فكان من أخذه الفرجية التى أعطانيها ولى الله جلال الدين الشيرازي ما قد ذكرته وهذه المدينة منفردة لسكنى عبيد السلطان وخدامه وهي أحسن المدن الست ويشقها أنهار ثلاثة أحدها خليج يخرج من النهر الاعظم وتأتي فيه القوارب الصغار الى هذه المدينة بالمرافق من الطعام وأحجار الوقد وفيه السفن للنزهة والمشور في وسط هذه المدينة وهو كبير جدا ودار الامارة فى وسطه وهو يحف بها من جميع الجهات وفيه سقائف فيها الصناع يصنعون الثياب النفيسة وآلات الحرب أخبرني الامير قرطي ان عددهم ألف وستمائة معلم كل واحد منهم يتبعه الثلاثة والاربعة من المتعلمين وهم أجمعون عبيد القان وفى أرجلهم القيود ومساكنهم خارج القصر ويباح لهم الخروج الى أسواق المدينة دون الخروج على بابها ويعرضون كل يوم على الامير مائة مائة فان نقص أحدهم طلب به أميره وعادتهم انه اذا خدم أحدهم عشر سنين فك عنه قيده وكان يخير في النظر بن اما ان يقيم فى الخدمة غير مقيد واما ان يسير حيث شاء من بلاد القان ولا يخرج عنها واذا بلغ سنه خمسين عاما أعتق من الاشغال وأنفق عليه وكذلك ينفق على من بلغ هذه السن أو نحوها من سواهم ومن بلغ ستين سنة عدوه كالصبي فلم تجر عليه الاحكام والشيوخ بالصين يعظمون تعظيما كثيرا ويسمى أحدهم آطا ومعناه الوالد.

(ذكر الامير الكبير قرطي)

وضبط اسمه (بضم القاف وسكون الراء وفتح الطاء المهمل وسكون الياء) وهو أمير

أمراء الصين اضافنا بداره وصنع الدعوة ويسمونها الطوي (بضم الطاء المهمل وفتح الواو) وحضرها كبار المدينة وأتي بالطباخين المسلمين فذبحوا وطبخوا الطعام وكان هذا الامير على عظمته يناولنا الطعام بيده ويقطع اللحم بيده وأقمنا في ضيافته ثلاثة ايام وبعث ولده معنا الى الخليج فركبنا في سفينة تشبه الحراقة وركب ابن الامير في أخرى ومعه أهل الطرب وأهل الموسيقى وكانوا يغنون بالصيني وبالعربي وبالفارسي وكان ابن الامير معجبا بالغناء الفارسي فغنوا اشعرا منه وأمرهم بتكريره مرارا حتى حفظته من أفواههم وله تلحين عجيب وهو (رجز)

تادل بمحنت داديم * دربحر فكرا فتاديم

جن (جون) درنماز استاديم * قوي بمحراب اندري (اندريم

واجتمعت بذلك الخليج من السفن طائفة كبيرة لهم القلاع الملونة ومظلات الحرير وسفنهم منقوشة أبدع نقش وجعلوا يتحاملون ويترامون بالنارنج والليمون وعدنا بالعشي الى دار الامير فبتنا بها وحضر أهل الطرب فغنوا بأنواع من الغناء العجيب

﴿حكاية المشعوذ﴾

وفي تلك الليلة حضر أحد المشعوذة وهو من عبيد القان فقال له الامير أرنا من عجائبك فاخذ كرة خشب لها ثقب فيها سيور طوال فرمي بها الى الهواء فارتفعت حتى غابت عن الابصار ونحن في وسط المشور أيام الحر الشديد فلما لم يبق من السير في يده الا يسير أمر متعلماله فتعلق به وصعد في الهواء الى أن غاب عن أبصارنا فدعاه فلم يجبه ثلاثاً فاخذ سكيناً بيده كالمغتاظ وتعلق بالسير الى أن غاب أيضاً ثم رمى بيد الصبي الى الارض ثم رمى برجله ثم بيده الاخرى ثم برجله الاخرى ثم بجسده ثم برأسه ثم هبط وهو ينفخ وثيابه ملطخة بالدم فقبل الارض بين يدى الامير وكلمه بالصيني وأمر له الامير بشيء ثم انه أخذ أعضاء الصبي فألصق بعضها ببعض وركضه برجله فقام سويا فعجبت منه وأصابني خفقان القلب كمثل ما كان أصابني عند ملك الهند حين رأيت مثل ذلك فسقوني دوا أذهب عني ما وجدت وكان القاضي أفخر الدين الى جانبي فقال لي والله ما كان من صعود

ولا نزول ولا قطع عضو وأمثال ذلك مشهور ذة وفي غد تلك الليلة دخلنا من باب المدينة الخامسة وهي من أكبر المدن يسكنها عامة الناس وأسواقها حسان وبها الحذاق بالصنائع وبها تصنع الثياب الخنساوية ومن عجيب ما يصنعون بها أطباقا يسمونها الدست وهي من القصب وقد ألصقت قطعة أبدع الصاق ودهنت بصبغ أحمر مشرق وتكون هذه الاطباق عشرة واحدا في جوف آخر لطو رقتها تظهر لرائيها كأنها طبق واحد ويصنعون غطاء يغطي جميعها ويصنعون من هذا القصب صحافا ومن عجائبها ان تقع من العلو فلا تنكسر ويجعل فيها الطعام السخن فلا يتغير صباغها ولا يحول وتجلب من هنالك الى الهند وخراسان وسواها ولما دخلنا هذه المدينة بتنا ليلة في ضيافة أميرها وبالغد دخلنا من باب يسمي كشتي وانان الى المدينة السادسة ويسكنها البحرية والصيادون والجلافطة والنجارون ويدعون دودكاران (درودكران) والأصباهية وهم الرماة والبيادة وهم الرجال وجميعهم عبيد السلطان ولا يسكن معهم سواهم وعددهم كثير وهذه المدينة على ساحل النهر الاعظم بتنا بها ليلة في ضيافة أميرها وجهز لنا الامير قرطي مركبا بما يحتاج اليه من زاد وسواه وبعث معنا أصحابه برسم التضييف وسافرنا من هذه المدينة وهي آخر عمال الصين ودخلنا الى بلاد الخطا (بكسر الخاء المعجم وطاء مهمل) وهي أحسن بلاد الدنيا عمارة ولا يكون في جميعها موضع غير معمور فانه ان بقي موضع غير معمور طلب أهله أومن يواليهم بخراجه والبساتين والقري والمزارع منتظمة بجانبي هذا النهر من مدينة الخنسا الي مدينة خان بالق وذلك مسيرة أربعة وستين يوما وليس بها أحد من المسلمين الامن كان حاضرا غير مقيم لانها ليست بدار مقام وليس بها مدينة مجتمعة انما هي قرى وبسائط فيها الزرع والفواكه والسكر ولم أر في الدنيا مثلها غير مسيرة أربعة أيام من الانبار الى عانة وكنا كل ليلة ننزل بالقرى لاجل الضيافة حتى وصلنا الى مدينة خان بالق (وضبط اسمها بخاء معجم وألف ونون مسكن وباء معقودة وألف ولام مكسور وقاف) وتسمى أيضا خانقو (بخاء معجم ونون مكسور وقاف وواو) وهي حضرة القان والقان هو سلطانهم الاعظم الذى مملكته بلاد الصين والخطا ولما وصلنا

اليها أرسينا على عشرة أميال منها على العادة عندهم وكتب الى أمراء البحر بخبرنا فاذنوا لنا في دخول مرساها فدخلناه ثم نزلنا الى المدينة وهي من أعظم مدن الدنيا وليست على ترتيب بلاد الصين في كون البساتين داخلها انما هي كسائر البلاد والبساتين بخارجها ومدينة السلطان في وسطها كالقصبة حسبما نذكره ونزلت عند الشيخ برهان الدين الصاغرجي وهو الذي بعث اليه ملك الهندبار بعين ألف دينار واستدعاه فاخذ الدنانير وقضى بها دينه وأبى ان يسير اليه وقدم على بلاد الصين فقدمه القان على جميع المسلمين الذين ببلاده وخاطبه بصدر الجهان

﴿ ذكر سلطان الصين والخطا الملقب بالقان ﴾

والقان عندهم سمة لكل من يلي الملك ملك الاقطار كمثل ما يسمى كل من ملك بلاد اللور بأتابك واسمه باشاى (بفتح الباء المعقودة والشين المعجمة وسكون الياء) وليس للكفار على وجه الارض مملكة أعظم من مملكته

﴿ ذكر قصره ﴾

وقصره في وسط المدينة المختصة بسكناه وأكثر عمارته بالخشب المنقوش وله ترتيب عجيب وعليه سبعة أبواب فالباب الاول منها يجلس به الكتوال وهو أمير البوابين وله مصاطب مرتفعة عن يمين الباب ويساره فيها المماليك البرددارية وهم حفاظ باب القصر وعددهم خمسمائة رجل وأخبرت انهم كانوا فيما تقدم ألف رجل والباب الثاني يجلس عليه الاصباهية وهم الرماة وعددهم خمسمائة والباب الثالث يجلس عليه النزارية (بالنون والزاى) وهم أصحاب الرماح وعددهم خمسمائة والباب الرابع يجلس عليه التغدارية (بالتاء المثناة والغين المعجم) وهم أصحاب السيوف والترسة والباب الخامس فيه ديوان الوزارة وبه سقائف كثيرة فالسقيفة العظمى يقعد بها الوزير على مرتبة هائلة مرتفعة ويسمون ذلك الموضع المسند وبين يدى الوزير دواة عظيمة من الذهب وتقابل هذه السقيفة سقيفة كاتب السر وعن يمينها سقيفة كتاب الرسائل وعن يمين سقيفة الوزير سقيفة كتاب الاشغال وتقابل هذه السقائف سقائف أربع احداها تسمي ديوان

الاشراف يقعد بها المشرف والثانية سقيفة ديوان المستخرج وأميرها من كبار الامراء والمستخرج هو ما يبقى قبل العمال وقبل الامراء من إقطاعاتهم والثالثة ديوان الغوث ويجلس فيها أحد الامراء الكبار ومعه الفقهاء والكتاب فمن لحقته مظلمة استغاث بهم والرابعة ديوان البريد يجلس فيها أمير الاخباريين والباب السادس من أبواب القصر يجلس عليه الجنداريه وأميرهم الاعظم والباب السابع يجلس عليه الفتيان ولهم ثلاث سقائف احداها سقيفة الحبشان منهم والثانية سقيفة الهنود والثالثة سقيفة الصينيين ولكل طائفة منهم أمير من الصينيين

﴿ ذكر خروج القان لقتال ابن عمه وقتله ﴾

ولما وصلنا حضرة خان بالق وجدنا القان غائباً عنها إذ ذاك وخرج للقاء ابن عمه فيروز القائم عليه بناحية قراقرم وبش بالغ من بلاد الخطا وبينها وبين الحضرة مسيرة ثلاثة أشهر عامرة وأخبرني صدر الجهان برهان الدين الصاغرجي ان القان لما جمع الجيوش وحشد الحشود اجتمع عليه من الفرسان مائة فوج كل فوج منها من عشرة آلاف فارس وأميرهم يسمي أمير طومان وكان خواص السلطان وأهل دخلته خمسين ألفا زائدا الي ذلك وكانت الرجالة خمسمائة ألف ولما خرج خالف عليه أكثر الامراء واتفقوا على خلعه لانه كان قد غير أحكام الياساق وهي الاحكام التي وضعها تنكيز خان جدهم الذى خرب بلاد الاسلام فمضوا الى ابن عمه القائم وكتبوا الى القان ان يخلع نفسه وتكون مدينة الخنسا اقطاعا له فأبى ذلك وقاتلهم فانهزم وقتل وبعد أيام من وصولنا الى حضرته ورد الخبر بذلك فزينت المدينة وضربت الطبول والابواق والانفار واستعمل اللعب والطرب مدة شهر ثم جيء بالقان المقتول وبحو مائة من المقتولين بني عمه وأقاربه وخواصه فحفر للقان ناووس عظيم وهو بيت تحت الارض وفرش بأحسن الفرش وجعل فيه القان بسلاحه وجعل معه ما كان في داره من أواني الذهب والفضة وجعل معه أربع من الجواري وستة من خواص المماليك معهم أواني شراب وبني باب البيت وجعل فوقه التراب حتى صار كالتل العظيم ثم جاؤا بأربعة أفراس فأجروها عند قبره حتى وقفت

ونصبوا خشبا على القبر وعلقوها عليه بعد ان أدخلوا في دبر كل فرس خشبة حتى خرجت من فمه وجعل أقارب القان المذكورون في نواويس ومعهم سلاحهم وأواني دورهم وصلبوا على قبور كبارهم وكانوا عشرة ثلاثة من الخيل على كل قبر وعلى قبور الباقين فرسا فرسا وكان هذا اليوم يوما مشهودا لم يتخلف عنه أحد من الرجال ولا النساء المسلمين والكفار وقد لبسوا أجمعين ثياب العزاء وهي الطيالسة البيض للكفار والثياب البيض للمسلمين وأقام خواتين القان وخواصه في الاخبية على قبره أربعين يوما وبعضهم يزيد على ذلك الى سنة وصنعت هنالك سوق يباع فيه ما يحتاجون اليه من طعام وسواه وهذه الافعال لا أذكر ان أمة تفعلها سواهم في هذا العصر فاما الكفار من الهنود وأهل الصين فيحرقون موتاهم وسواهم من الامم يدفنون الميت ولا يجعلون معه أحداً لكن أخبرني الثقات ببلاد السودان ان الكفار منهم اذا مات ملكهم صنعوا له ناووسا وأدخلوا معه بعض خواصه وخدامه وثلاثين من أبناء كبارهم وبناتهم بعد أن يكسروا أيديهم وأرجلهم ويجعلون معهم أواني الشراب وأخبرني بعض كبار مسوفة ممن يسكن بلاد كوبر مع السودان واختصه سلطانهم انه كان له ولد فلما مات سلطانهم أرادوا أن يدخلوا ولده مع من أدخلوه من أولادهم قال فقلت لهم كيف تفعلون ذلك وليس على دينكم ولا من ولدكم وفديته منهم بمال عريض ولما قتل القان كما ذكرناه واستولى ابن عمه فيروز على الملك اختار أن تكون حضرته مدينة قراقرم (وضبطها بفتح القاف الاولى والراء وضم الثانية وضم الراء الثانية) لقربها من بلاد بني عمه ملوك تركستان وما وراء النهر ثم خالفت عليه الامراء ممن لم يحضر لقتل القان وقطعوا الطرق وعظمت الفتن

﴿ ذكر رجوعي الى الصين ثم الى الهند ﴾

ولما وقع الخلاف وتسعرت الفتن أشار علي الشيخ برهان الدين وسواه ان أعود الى الصين قبل تمكن الفتن ووقفوا معي الى نائب السلطان فيروز فبعث معي ثلاثة من أصحابه وكتب لي بالضيافة وسرنا منحدرين في النهر الى الخنسا ثم الى قنجنفو ثم الى الزيتون فلما وصلتها وجدت الجنوك على السفر الى الهند وفي جملتها جنك للملك الظاهر صاحب

الجاوة أهله مسلمون وعرفني وكيله وسر بقدومي وصادفنا الريح الطيبة عشرة أيام فلما قاربنا بلاد طوالسي تغيرت الريح وأظلم الجو وكثر المطر وأقمنا عشرة أيام لا نرى الشمس ثم دخلنا بحراً لا نعرفه وخاف أهل الجنك فأرادوا الرجوع الى الصين فلم يتمكن ذلك وأقمنا اثنين وأربعين يوماً لا نعرفه في أي البحار نحن

(ذكر الرخ)

ولما كان في اليوم الثالث والاربعين ظهر لنا بعد طلوع الفجر جبل في البحر بيننا وبينه نحو عشرين ميلا والريح تحملنا الى صوبه فعجب البحرية وقالوا لسنا بقرب من البر ولا يعهد في البحر جبل وان اضطرتنا الريح اليه هلكنا فلجأ الناس الى التضرع والاخلاص وجددوا التوبة وابتهلنا الى الله بالدعاء وتوسلنا بنبيه صلى الله عليه وسلم ونذر التجار التصدقات الكثيرة وكتبتها لهم في زمام بخطي وسكنت الريح بعض سكون ثم رأينا ذلك الجبل عند طلوع الشمس قد ارتفع في الهواء وظهر الضوء فيما بينه وبين البحر فعجبنا من ذلك ورأيت البحرية يبكون ويودع بعضهم بعضاً فقلت ما شأنكم فقالوا ان الذي تخيلناه جبلا هو الرخ وان رآنا أهلكنا وبيننا إذ ذاك وبينه أقل من عشرة أميال ثم ان الله تعالى من علينا بريح طيبة صرفتنا عن صوبه فلم نره ولا عرفنا حقيقة صورته وبعد شهرين من ذلك اليوم وصلنا الى الجاوة ونزلنا الى سمطرة فوجدنا سلطانها الملك الظاهر قد قدم من غزاة له وجاء بسبي كثير فبعث لي جاريتين وغلامين وأنزلني على العادة وحضرت اعراس ولده مع بنت أخيه

(ذكر اعراس ولد الملك الظاهر)

وشاهدت يوم الجلوة فرأيتهم قد نصبوا في وسط المشور منبراً كبيراً وكسوه بثياب الحرير وجاءت العروس من داخل القصر على قدميها بادية الوجه ومعها نحو أربعين من الخواتين يرفعن أذيالها من نساء السلطان وأمرائه ووزرائه وكلهن باديات الوجوه ينظر اليهن كل من حضر من رفيع أو وضيع وليست تلك بعادة لهن الا في الاعراس خاصة

وصعدت العروس المنبر وبين يديها أهل الطرب رجالا ونساء يلعبون ويغنون ثم جاء الزوج على فيل مزين على ظهره سرير وفوقه قبة شبيه البوجة والتاج على رأس العروس المذكور وعن يمينه ويساره نحو مائة من أبناء الملوك والامراء قد لبسوا البياض وركبوا الخيل المزينة وعلى رؤسهم الشواشي المرصعة وهم أتراب العروس ليس فيهم ذو لحية ونثرت الدنانير والدراهم على الناس عند دخوله وقعد السلطان بمنظرة له يشاهد ذلك ونزل ابنه فقبل رجله وصعد المنبر الى العروس فقامت اليه وقبلت يده وجلس الى جانبها والخواتين يروحن عليها وجاؤا بالفوفل والتنبول فاخذه الزوج بيده وجعل منه في فمها ثم أخذت هي بيديها وجعلت في فمه ثم أخذ الزوج بفمه ورقة تنبول وجعلها في فمها وذلك كله على أعين الناس ثم فعلت هي كفعله ثم وضع عليها الستر ورفع المنبر وهما فيه الى داخل القصر وأكل الناس وانصرفوا ثم لما كان من الغد جمع الناس وجري له أبوه ولاية العهد و بايعه الناس وأعطاهم العطاء الجزل من الثياب والذهب وأقمت بهذه الجزيرة شهرين ثم ركبت في بعض الجنوك وأعطاني السلطان كثيرا من العود والكافور والقرنفل والصندل وردني وسافرت عنه فوصلت بعد أربعين يوما الي الى كولم فنزلت بها في جوار القزويني قاضي المسلمين وذلك في رمضان وحضرت بها صلاة العيد في مسجدها الجامع وعادتهم أن ياتوا المسجد ليلا فلا يزالون يذكرون الله الى الصبح ثم يذكرن الى حين صلاة العيد ثم يصلون ويخطب الخطيب وينصرفون ثم سافرنا من كولم الى قالقوط وأقمنا بها أياما وأردت العودة الي دهلى ثم خفت من ذلك فركبت البحر فوصلت بعد ثمان وعشرين ليلة الى ظفار وذلك في محرم سنة ثمان وأربعين ونزلت بدار خطيبها عيسي بن طأطأ

﴿ ذكر سلطانها ﴾

ووجدت سلطانها في هذه الكرة الملك الناصر بن الملك المغيث الذي كان ملكا بها حين وصولي اليها فيما تقدم ونائبه سيف الدين عمر أمير جندار التركى الاصل وأنزلنى هذا السلطان وأكرمنى ثم ركبت البحر فوصلت الى مسقط (بفتح الميم) وهى بلدة صغيرة بها السمك الكثير المعروف بقلب الماس ثم سافرنا الى مرسي القريات (وضبطها بضم

القاف وفتح الراء والياء آخر الحروف وألف وتاء مثناة) ثم سافرنا الى مرسى شبة (وضبط اسمها بفتح الشين المعجم وفتح الباء الموحدة وتشديدها) ثم الى مرسى كلبة ولفظها على لفظ مؤنثة الكلب ثم الى قلهات وقد تقدم ذكرها وهذه البلاد كلها من عمالة هرمز وهي محسوبة من بلاد عمان ثم سافرنا الى هرمز وأقمنا بها ثلاثاً وسافرنا في البر الى كورستان ثم الى اللار ثم الى خنج بال وقد تقدم ذكر جميعها ثم سافرنا الى كارزي (وضبط اسمها بفتح الكاف وسكون الراء وكسر الزاي) وأقمنا بها ثلاثا ثم سافرنا الى جكان (وضبط اسمها بفتح الجيم والميم والكاف وآخره نون) ثم سافرنا منها الى ميمن (وضبط اسمها بفتح الميمين وبينهما ياء آخر الحروف مسكنة وآخره نون) ثم سافرنا الى بسا (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة والسين المهمل مع تشديدها) ثم الى مدينة شيراز فوجدنا سلطانها أبا اسحق على ملكه الا انه كان غائبا عنها واقيت بها شيخنا الصالح العالم مجد الدين قاضي القضاة وهو قد كف بصره نفعه الله ونفع به ثم سافرت الى ماين ثم الي يزدخاص ثم الي كليل ثم الى كشك زر ثم الى أصبهان ثم الى تستر ثم الى الحويزا ثم الي البصرة وقد تقدم ذكر جميعها وزرت بالبصرة القبور الكريمة التي بها وهي قبر الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وحليمة السعدية وأبي بكرة وأنس بن مالك والحسن البصري وثابت البناني ومحمد بن سيرين ومالك بن دينار ومحمد بن واسع وحبيب العجمي وسهل بن عبد الله التستري رضي الله تعالى عنهم أجمعين ثم سافرنا من البصرة فوصلنا الي مشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وزرناه ثم توجهنا الى الكوفة فزرنا مسجدها المبارك ثم الى الحلة حيث مشهد صاحب الزمان واتفق في بعض تلك الايام ان وليها بعض الامراء فمنع أهلها من التوجه على عادتهم الى مسجد صاحب الزمان وانتظاره هنالك ومنع عنهم الدابة التي كانوا يأخذونها كل ليلة من الامير فاصابت ذلك الوالي علة مات منها سريعا فزاد ذلك في فتنة الرافضة وقالوا انما أصابه ذلك لاجل منعه الدابة فلم تمنع بعد ثم سافرت الى صرصر ثم الى مدينة بغداد وصلتها في شوال سنة ثمان وأربعين واقيت بها بعض المغاربة فعرفني بكائنة طريف واستيلاء الروم على الخضراء جبر الله صدع

الاسلام في ذلك

﴿ذكر سلطانها﴾

وكان سلطان بغداد والعراق في عهد دخولي اليها في التاريخ المذكور الشيخ حسن ابن عمة السلطان أبي سعيد رحمه الله ولما مات أبو سعيد استولى على ملكه بالعراق وتزوج تزوجته دلشاد بنت دمشق خواجة بن الامير الجوبان حسبما كان فعله السلطان أبو سعيد من تزوج زوجة الشيخ حسن وكان السلطان حسن غائباً عن بغداد في هذه المدة متوجها لقتال السلطان أتابك افراسياب صاحب بلاد اللور ثم رحلت من بغداد فوصلت الى مدينة الأنبار ثم الى هيت ثم الى الحديثة ثم الى عانة وهذه البلاد من أحسن البلاد وأخصبها والطريق فيما بينها كثير العمارة كأن الماشي في سوق من الاسواق وقد ذكرنا انا لم نر ما يشبه البلاد التى على نهر الصين الا هذه البلاد ثم وصلت الي مدينة الرحبة وهي التي تنسب الي مالك بن طوق ومدينة الرحبة أحسن بلاد العراق وأول بلاد الشام ثم سافرنا منها الي السخنة وهي بلدة حسنة أكثر سكانها الكفار من النصارى وانما سميت السخنة لحرارة مائها وفيها بيوت للرجال وبيوت للنساء يستحمون فيها ويستقون الماء ليلا ويجعلونه في السطوح ليبرد ثم سافرنا الى تدمر مدينة نبي الله سليمان عليه السلام التى بنتها له الجن كما قال النابغة (بسيط) (يبنون تدمر بالصفاح والعمد) ثم سافرنا منها الى مدينة دمشق الشام وكانت مدة مغيبي عنها عشرين سنة كاملة وكنت تركت بها زوجة لي حاملا وتعرفت وأنا ببلاد الهند انها ولدت ولدا ذكرا فبعثت حينئذ الى جده للام وكان من أهل مكناسة المغرب أربعين دينارا ذهبا هنديا فحين وصولي الى دمشق في هذه الكرة لم يكن لي هم الا السؤال عن ولدي فدخلت المسجد فوفق لي نور الدين السخاوي امام المالكية وكبيرهم فسلمت عليه فلم يعرفني فعرفته بنفسي وسألته عن الولد فقال مات منذ ثنتي عشرة سنة وأخبرني ان فقيها من أهل طنجة يسكن بالمدرسة الظاهرية فسرت اليه لأسأله عن والدي وأهلي فوجدته شيخا كبيرا فسلمت عليه وانتسبت له فأخبرني ان والدي توفي منذ خمس عشرة سنة وان الوالدة بقيد الحياة وأقمت بدمشق الشام بقية السنة

والغلاء شديد والخبز قد انتهى الى قيمة سبع أواقي بدرهم نقرة وأوقيتهم أربع أواقي مغربية وكان قاضي قضاة المالكية اذ ذاك جمال الدين المسلاتي وكان من أصحاب الشيخ علاء الدين القونوي وقدم معه دمشق فعرف بها ثم ولي القضاء وقاضي قضاة الشافعية تقي الدين بن السبكي وأمير دمشق ملك الامراء أرغون شاه *(حكاية)*

ومات في تلك الايام بعض كبراء دمشق وأوصى بمال للمساكين فكان المتولي لانفاذ الوصية يشتري الخبز ويفرقه عليهم كل يوم بعد العصر فاجتمعوا في بعض الليالي وتزاحموا واختطفوا الخبز الذي يفرق عليهم ومدوا أيديهم الى خبز الخبازين وبلغ ذلك الامير أرغون شاه فاخرج زبانيته فكانوا حيثما لقوا أحدا من المساكين قالوا له تعال تأخذ الخبز فاجتمع منهم عدد كثير فحبسهم تلك الليلة وركب من الغد وأحضرهم تحت القلعة وأمر بقطع أيديهم وأرجلهم وكان أكثرهم برآء عن ذلك وأخرج طائفة الحرافيش عن دمشق فانتقلوا الى حمص وحماه وحلب وذكر لي انه لم يعش بعد ذلك الا قليلا وقتل ثم سافرت من دمشق الى حمص ثم حماه ثم المعرة ثم سرمين ثم الي حلب وكان أمير حلب في هذا العهد الحاج رغطي (بضم الراء وسكون الغين المعجم وفتح الطاء المهمل وياء آخر الحروف مسكنة) 《 حكاية 》

واتفق في تلك الايام ان فقيرا يعرف بشيخ المشايخ وهو ساكن في جبل خارج مدينة عينتاب والناس يقصدونه وهم يتبركون به وله تلميذ ملازم له وكان متجردا عزبا لا زوجة له قال في بعض كلامه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يصبر عن النساء وأنا أصبر عنهن فشهد عليه بذلك وثبت عند القاضي ورفع أمره الي ملك الامراء وأتي به وبتلميذه الموافق له على قوله فافتى القضاة الاربعة وهم شهاب الدين المالكي وناصر الدين العديم الحنفي وتقي الدين بن الصائغ الشافعي وعز الدين الدمشقي الحنبلي بقتلهما معا فقتلا وفي أوائل شهر ربيع الاول عام تسعة وأربعين بلغنا الخبر في حلب ان الوباء وقع بغزة وانه انتهى عدد الموتى فيها الى زائد على الالف في يوم واحد فسافرت الى حمص فوجدت الوباء قد وقع بها ومات يوم دخولي اليها نحو ثلثمائة انسان ثم سافرت الي دمشق ووصلتها

يوم الخميس وكان أهلها قد صاموا ثلاثة أيام وخرجوا يوم الجمعة الى مسجد الاقدام حسبما ذكرناه في السفر الاول نخفف الله الوباء عنهم فانتهي عدد الموتي عندهم الى ألفين وأربعمائة في اليوم ثم سافرت الى عجلون ثم الي بيت المقدس ووجدت الوباء قد ارتفع عنه ولقيت خطيبه عز الدين بن جماعة ابن عم عز الدين قاضي القضاة بمصر وهو من الفضلاء الكرماء ومرتبه على الخطابة ألف درهم في الشهر (حكاية)

وصنع الخطيب عز الدين يوما دعوة ودعاني فيمن دعاه اليها فسألته عن سببها فاخبرني انه نذر أيام الوباء انه ان ارتفع ذلك ومر عليه يوم لا يصلى فيه علي ميت صنع الدعوة ثم قال لي ولما كان بالامس لم أصل على ميت فصنعت الدعوة التي نذرت ووجدت من كنت أعهده من جميع الاشياخ بالقدس قد انتقلوا الي جوار الله تعالي رحمهم الله فلم يبق منهم الا القليل مثل المحدث العالم الامام صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي ومثل الصالح شرف الدين الخشي شيخ زاوية المسجد الاقصي ولقيت الشيخ سليمان الشيرازي فاضافني ولم ألق بالشام ومصر من وصل الي قدم آدم عليه السلام سواه ثم سافرت عن القدس ورافقني الواعظ المحدث شرف الدين سليمان الملياني وشيخ المغاربة بالقدس الصوفي الفاضل طلحة العبد الوادي فوصلنا الى مدينة الخليل عليه السلام وزرناه ومن معه من الانبياء عليهم السلام ثم سرنا الي غزة فوجدنا معظمها خاليا من كثرة من مات بها في الوباء وأخبرنا قاضيها ان العدول بها كانوا ثمانين فبقي منهم الربع وان عدد الموتي بها انتهي الي ألف ومائة في اليوم ثم سافرنا في البر فوصلت الى دمياط ولقيت بها قطب الدين النقشواني وهو صائم الدهر ورافقني منها الي فارسكور وسمنود ثم الي أبي صير (بكسر الصاد المهمل وياء وراء) ونزلنا في زاوية لبعض المصريين بها (حكاية)

وبينما نحن بتلك الزاوية اذ دخل علينا أحد الفقراء فسلم وعرضنا عليه الطعام فأبى وقال انما قصدت زيارتكم ولم يزل ليلته تلك ساجدا وراكعا ثم صلينا الصبح واشتغلنا بالذكر والفقير بركن الزاوية فجاء الشيخ بالطعام ودعاه فلم يجبه فمضي اليه فوجده ميتا فصلينا عليه ودفناه رحمة الله عليه ثم سافرت الى المحلة الكبيرة ثم الي نحرارية ثم الي

إبيار ثم الى دمنهور ثم الي الاسكندرية فوجدت الوباء قد خف بها بعد ان بلغ عدد الموتى الي ألف وثمانين في اليوم ثم سافرت الى القاهرة وبلغني ان عدد الموتي أيام الوباء انتهي فيها الي أحد وعشرين ألفا في اليوم ووجدت جميع من كان بها من المشايخ الذين أعرفهم قد ماتوا رحمهم الله تعالي

﴿ ذكر سلطانها ﴾

وكان ملك ديار مصر في هذا العهد الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون وبعد ذلك خلع عن الملك وولي أخوه الملك الصالح ولما وصلت القاهرة وجدت قاضي القضاة عز الدين ابن قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة قد توجه الي مكة في ركب عظيم يسمونه الرجبي لسفرهم في شهر رجب وأخبرت ان الوباء لم يزل معهم حتى وصلوا عقبة أيلة فارتفع عنهم ثم سافرت من القاهرة على بلاد الصعيد وقد تقدم ذكرها الى عيذاب وركبت منها البحر فوصلت الى جدة ثم سافرت منها الي مكة شرفها الله تعالى وكرمها فوصلتها في الثاني والعشرين لشعبان سنة تسع وأربعين ونزلت في جوار امام المالكية الصالح الولي الفاضل أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن المدعو بخليل فصمت شهر رمضان بمكة وكنت أعتمر كل يوم على مذهب الشافعي ولقيت ممن أعهده من أشياخها شهاب الدين الحنفي وشهاب الدين الطبري وأبا محمد اليافعي ونجم الدين الاصفوني والحرازي وحججت في تلك السنة ثم سافرت مع الركب الشامي الي طيبة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزرت قبره المكرم المطيب زاده الله طيبا وتشريفا وصليت في المسجد الكريم طهره الله وزاده تعظيما وزرت من بالبقيع من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم ولقيت من الاشياخ أبا محمد بن فرحون ثم سافرنا من المدينة الشريفة الي العلاء وتبوك ثم الى بيت المقدس ثم الى مدينة الخليل صلى الله عليه وسلم ثم الى غزة ثم الي منازل الرمل وقد تقدم ذكر ذلك كله ثم الي القاهرة وهنالك تعرفنا أن مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين المتوكل على رب العالمين أبا عنان أيده الله تعالي قد ضم الله به نشر الدولة المرينية وشفي ببركته بعد اشفائها البلاد المغربية وأفاض الاحسان على

الخاص والعام وغمر جميع الناس بسابغ الانعام فتشوفت النفوس الى المثول ببابه وأملت لثم ركابه فعند ذلك قصدت القدوم على حضرته العلية مع ماشقني من تذكار الاوطان والحنين الي الاهل والخلان والمحبة الى بلادي التي لها الفضل عندي على البلدان (طويل)

بلاد بها نيطت على تمائمي * وأول أرض مس جلدي ترابها

فركبت البحر في قرقورة لبعض التونسيين صغيرة وذلك في صفر سنة خمسين وسرت حتي نزلت بجربة وسافر المركب المذكور الي تونس فاستولي العدو عليه ثم سافرت في مركب صغير الى قابس فنزلت في ضيافة الاخوين الفاضلين أبي مروان وأبي العباس ابني مكي أميري جربة وقابس وحضرت عندهما مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركبت في مركب الي سفاقس ثم توجهت في البحر الى بليانة ومنها سرت في البر مع العرب فوصلت بعد مشقات الى مدينة تونس والعرب محاصرون لها

(ذكر سلطانها)

وكانت تونس في ايالة مولانا أمير المسلمين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين علم الاعلام وأوحد الملوك الكرام أسد الآساد وجواد الأجواد القانت الأواب الخاشع العادل أبي الحسن ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين ناصر دين الاسلام الذي سارت الامثال بجوده وشاع في الاقطار أثر كرمه وفضله ذي المناقب والمفاخر والفضائل والمآثر الملك العادل الفاضل أبي سعيد ابن مولانا أمير المسلمين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين قاهر الكفار ومبيدها ومبدي آثار الجهاد ومعيدها ناصر الايمان الشديد السطوة في ذات الرحمان العابد الزاهد الراكع الساجد الخاشع الصالح أبي يوسف ابن عبد الحق رضي الله عنهم أجمعين وأبقى الملك في عقبهم الي يوم الدين ولما وصلت تونس قصدت الحاج أبا الحسن النامسي لما بيني وبينه من مودات القرابة والبلدية فأنزلني بداره وتوجه معي الي المشور فدخلت المشور الكريم وقبلت يد مولانا أبي الحسن رضي الله عنه وأمرني بالقعود فقعدت وسألني عن الحجاز

الشريف وسلطان مصر فأجبته وسألني عن ابن تيفراجين فأخبرته بما فعلت المغاربة معه وإرادتهم قتله بالاسكندرية ومالقي من إذايتهم انتصارا منهم لمولانا أبي الحسن رضي الله عنه وكان في مجلسه من الفقهاء الإمام أبو عبدالله السطي والامام أبو عبدالله محمد بن الصباغ ومن أهل تونس قاضيها أبو على عمر بن عبدالرفيع وأبو عبدالله بن هرون وانصرفت عن المجلس الكريم فلما كان بعد العصر استدعاني مولانا أبو الحسن وهو ببرج يشرف على موضع القتال ومعه الشيوخ الجلة أبو عمرو عثمان بن عبدالواحد التنالفتي وأبو حسون زيان ابن أمريون العلوى وأبو زكريا يحيى بن سليمان العسكري والحاج أبو الحسن النميسي فسألني عن ملك الهند فأجبته عما سأل ولم أزل أتردد الى مجلسه الكريم أيام اقامتي بتونس وكانت ستة وثلاثين يوما ولقيت بتونس اذ ذاك الشيخ الامام خاتمة العلماء وكبيرهم أبا عبدالله الابلي وكان في فراش المرض وباحثني عن كثير من أمور رحلتي ثم سافرت من تونس في البحر مع القطلانيين فوصلنا الى جزيرة سردانية من جزور الروم ولها مرسي عجيب عليه خشب كبار دائرة به وله مدخل كأنه باب لايفتح الاباذن منهم وفيها حصون دخلنا أحدها وبه أسواق كثيرة ونذرت لله تعالى ان خلصنا الله منها صوم شهرين متتابعين لاننا تعرفنا ان أهلها عازمون على اتباعنا اذا خرجنا عنها ليأسرونا ثم خرجنا عنها فوصلنا بعد عشر الى مدينة تنس ثم الى مازونة ثم الى مستغانم ثم الى تلمسان فقصدت العباد وزرت الشيخ أبا مدين رضي الله عنه ونفع به ثم خرجت عنها على طريق ندرومة وسلكت طريق أخندقان وبت بزاوية الشيخ ابراهيم ثم سافرنا منها فبينما نحن بقرب اذغنغان اذ خرج علينا خمسون راجلا وفارسان وكان معي الحاج ابن قريعات الطنجي وأخوه محمد المستشهد بعد ذلك في البحر فعزمنا على قتالهم ورفعنا علما ثم سالمونا وسالمناهم والحمد لله ووصلت الى مدينة تازي وبها تعرفت خبر موت والدتي بالوباء رحمها الله تعالى ثم سافرت عن تازى فوصلت يوم الجمعة في أواخر شهر شعبان المكرم من عام خمسين وسبعمائة الى حضرة فاس فمثلت بين يدى مولانا الاعظم الامام الاكرم أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين أبي عنان وصل الله علوه وكبت

عدوه فأنستني هيبته هيبة سلطان العراق وحسنه حسن ملك الهند وحسن أخلاقه حسن خلق ملك اليمن وشجاعته شجاعة ملك الترك وحلمه حلم ملك الروم وديانته ديانة ملك تركستان وعلمه علم ملك الجاوة وكان بين يديه وزيره الفاضل ذو المكارم الشهيرة والمآثر الكثيرة أبو زيان بن ودرار فسألني عن الديار المصرية إذ كان قد وصل اليها فأجبته عما سأل وغمرني من احسان مولانا أيده الله تعالى بما أعجز في شكره والله ولي مكافأته وألقيت عصي التسيار ببلاده الشريفة بعد ان تحققت بفضل الانصاف انها أحسن البلدان لان الفواكه بها متيسرة والمياه والاقوات غير متعذرة وقل إقليم يجمع ذلك كله ولقد أحسن من قال (بحث)

الغرب أحسن أرض * ولي دليل عليه

البدر يرقب منه * والشمس تسعى اليه

ودراهم الغرب صغيرة وفوائدها كثيرة واذا تأملت أسعاره مع أسعار ديار مصر والشام ظهر لك الحق في ذلك ولاح فضل بلاد المغرب فأقول ان لحوم الاغنام بديار مصر تباع بحساب ثمان عشرة أوقية بدرهم نقرة والدرهم النقرة ستة دراهم من دراهم المغرب وبالمغرب يباع اللحم اذا غلا سعره ثمان عشرة أوقية بدرهمين وهما ثلث النقرة وأما السمن فلا يوجد بمصر في أكثر الاوقات والذي يستعمله أهل مصر من أنواع الادام لا يلتفت اليه بالمغرب ولأن أكثر ذلك العدس والحمص يطبخونه في قدور راسيات ويجعلون عليه السيرج والبسلا وهو صنف من الجلبان يطبخونه ويجعلون عليه الزيت والقرع يطبخونه ويخلطونه باللبن والبقلة الحمقاء يطبخونها كذلك وأعلى أغصان اللوز يطبخونها ويجعلون عليها اللبن والقلقاس يطبخونه وهذا كله متيسر بالمغرب لكن أغنى الله عنه بكثرة اللحم والسمن والزبد والعسل وسوى ذلك وأما الخضر فهي أقل الاشياء ببلاد مصر وأما الفواكه فأكثرها مجلوبة من الشام وأما العنب فاذا كان رخيصا يبيع عندهم ثلاثة أرطال من أرطالهم بدرهم نقرة ورطلهم ثنتا عشرة أوقية وأما بلاد الشام فالفواكه بها كثيرة الا انها ببلاد المغرب أرخص منها ثمنا فان العنب يباع بها بحساب رطل من أرطالهم بدرهم نقرة

ورطلهم ثلاثة أرطال مغربية واذا رخص ثمنه بيع بحساب رطلين بدرهم نقرة والاجاص يباع بحساب عشر أواق بدرهم نقرة وأما الرمان والسفرجل فتباع الحبة منه بثمانية فلوس وهي درهم من دراهم المغرب وأما الخضر فيباع بالدرهم النقرة منها أقل مما يباع في بلادنا بالدرهم الصغير وأما اللحم فيباع فيها الرطل منه من ارطالهم بدرهمين ونصف درهم نقرة فاذا تأملت ذلك كله تبين لك ان بلاد المغرب أرخص البلاد أسعارا وأكثرها خيرات وأعظمها مرافق وفوائد ولقد زاد الله بلاد المغرب شرفا الى شرفها وفضلا الى فضلها بامامة مولانا أمير المؤمنين الذي مد ظلال الأمن في اقطارها وأطلع شمس العدل في أرجائها وأفاض سحاب الاحسان في باديتها وحاضرتها وطهرها من المفسدين وأقام بها رسوم الدنيا والدين وأنا أذكر ماعاينته وتحققته من عدله وحلمه وشجاعته واشتغاله بالعلم وتفقهه وصدقته الجارية ورفع المظالم

﴿ ذكر بعض فضائل مولانا أيده الله ﴾

أما عدله فأشهر من أن يسطر في كتاب فمن ذلك جلوسه للمشتكين من رعيته وتخصيصه يوم الجمعة للمساكين منهم وتقسيمه ذلك اليوم بين الرجال والنساء وتقديمه النساء لضعفهن فتقرأ قصصهن بعد صلاة الجمعة الى العصر ومن وصلت نوبتها نودي باسمها ووقفت بين يديه الكريمتين يكلمها دون واسطة فان كانت متظلمة عجل انصافها أو طالبة احسان وقع اسعافها ثم اذا صليت العصر قرئت قصص الرجال وفعل مثل ذلك فيها ويحضر المجلس الفقهاء والقضاة فيرد اليهم ما تعلق بالاحكام الشرعية وهذا شيء لم أر في الملوك من يفعله على هذا التمام ويظهر فيه مثل هذا العدل فان ملك الهند عين بعض أمرائه لأخذ القصص من الناس وتلخيصها ورفعها اليه دون حضور أربابها بين يديه وأما حلمه فقد شاهدت منه العجائب فانه أيده الله عفا عن الكثير ممن تعرض لقتال عساكره والمخالفة عليه وعن أهل الجرائم الكبار التي لا يعفو عن جرائمهم الا من وثق بربه وعلم علم اليقين معنى قوله تعالى والعافين عن الناس قال ابن جزي من أعجب ما شاهدته من حلم مولانا أيده الله اني منذ قدومي على بابه الكريم في آخر عام ثلاثة وخمسين الى هذا العهد وهو أوائل عام سبعة

وخمسين لم أشاهد أحدا أمر بقتله الا من قتله الشرع في حد من حدود الله وحسن أخلاقه أو حرابة هذا على اتساع المملكة وانفساح البلاد واختلاف الطوائف وموديانه ذلك فيما تقدم من الأعصار ولا فيما تباعد من الاقطار وأما شجاعته فقد علم ما له من المكارم المواطن الكريمة من الثبات والاقدام مثل يوم قتال بني عبدالوادي وغيرهم ولقد صحل خبر ذلك اليوم ببلاد السودان وذكر ذلك عند سلطانهم فقال هكذا والا فلا قال ابن جزى لم يزل الملوك الاقدمون تتفاخر بقتل الآساد وهزائم الأعادي ومولانا أيده الله كان قتل الأسد عليه أهون من قتل الشاة على الاسد فانه لما خرج الاسد على الجيش بوادي النجارين من المعمورة بحوز سلا وتحامته الابطال وفرت أمامه الفرسان والرجال برز اليه مولانا أيده الله غير محتفل به ولا متهيب منه فطعنه بالرمح ما بين عينيه طعنة خر بها صريعا لليدين وللفم وأما هزائم الاعادى فانها اتفقت للملوك بثبوت جيوشهم واقدام فرسانهم فيكون حظ الملوك الثبوت والتحريض على القتال وأما مولانا أيده الله فانه أقدم على عدوه منفردا بنفسه الكريمة بعد علمه بفرار الناس وتحققه انه لم يبق معه من يقاتل فعند ذلك وقع الرعب في قلوب الاعداء وانهزموا أمامه فكان من العجائب فرار الامم أمام واحد وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والعاقبة للمتقين وما هو الا ثمرة ما يمتن به أعلى مقامه من التوكل على الله والتفويض اليه وأما اشتغاله بالعلم فهاهو أيده الله تعالى يعقد مجالس العلم في كل يوم بعد صلاة الصبح ويحضر لذلك أعلام الفقهاء ونجباء الطلبة بمسجد قصره الكريم فيقرأ بين يديه تفسير القرآن العظيم وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم وفروع مذهب مالك رضى الله عنه وكتب المتصوفة وفي كل علم منها له القدح المعلى يجلو مشكلاته بنور فهمه ويلقي نكته الرائقة من حفظه وهذا شأن الائمة المهتدين والخلفا الراشدين ولم أر من ملوك الدنيا من بلغت عنايته بالعلم الى هذه النهاية فقد رأيت ملك الهند يتذاكر بين يديه بعد صلاة الصبح في العلوم المعقولات خاصة ورأيت ملك الجاوة يتذاكر بين يديه بعد صلاة الجمعة في الفروع على مذهب الشافعي خاصة وكنت أعجب من ملازمة ملك تركستان لصلاتي العشاء الآخرة والصبح في الجماعة حتى رأيت ملازمة

مولانا أيده الله في الصلوات كلها في الجماعة ولقيام رمضان والله يختص برحمته من يشاء
قال ابن جزي لو ان عالماً ليس له شغل الا بالعلم ليلاً ونهاراً لم يكن يصل الى أدنى مراتب
مولانا أيده الله في العلوم مع اشتغاله بأمور الامة وتدبيره لسياسة الاقاليم النائية ومباشرته
من حال ملكه مالم يباشره أحد من الملوك ونظره بنفسه في شكايات المظلومين ومع ذلك
كله فلا تقع بمجلسه الكريم مسئلة علم في أي علم كان إلا جلا مشكلها وباحث في دقائقها
واستخرج غوامضها واستدرك على علماء مجلسه مافاتهم من مغلقاتها ثم سما أيده الله الى
العلم الشريف التصوفي في فهم اشارات القوم وتخلق بأخلاقهم وظهرت آثار ذلك في
تواضعه مع رفعته وشفقته على رعيته ورفقه في أمره كله واعطي الآداب حظا جزيلا من
نفسه فاستعمل أحسنها منزعا وأعظمها موقعا وصارت عنه الرسالة الكريمة والقصيدة
الاثنان بعثهما الى الروضة الشريفة المقدسة الطاهرة روضة سيد المرسلين وشفيع المذنبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتبهما بخط يده الذي يخجل الروض حسنا وذلك شيء لم
يتعاط أحد من ملوك الزمان إنشاءه ولا رام إدراكه ومن تأمل التوقيعات الصادرة
عنه أيده الله تعالى وأحاط علما بمحصولها لاح له فضل ما وهب الله لمولانا من البلاغة
التي فطره عليها وجمع له بين الطبيعي والمكتسب منها وأما صدقاته الجارية وما أمر به
من عمارة الزوايا بجميع بلاده لاطعام الطعام للوارد والصادر فذلك مالم يفعله أحد من
الملوك غير السلطان أتابك أحمد وقد زاد عليه مولانا أيده الله بالتصدق على المساكين
بالطعام كل يوم والتصدق بالزرع على المستترين من أهل البيوت قال ابن جزي اخترع
مولانا أيده الله في الكرم والصدقات امور الم تخطر في الاوهام ولا تهدت اليها السلاطين
فمنها اجراء الصدقات على المساكين بكل بلد من بلاده على الدوام ومنها تعيين الصدقة
الوافرة للمسجونين في جميع البلاد أيضا ومنها كون تلك الصدقات خبزا مخبوزا متيسرا
للانتفاع به ومنها كسوة المساكين والضعفاء والعجائز والمشايخ والملازمين للمساجد
بجميع بلاده ومنها تعيين الضحايا لهؤلاء الاصناف في عيد الاضحى ومنها التصدق بما يجتمع
في مجابي أبواب بلاده يوم سبعة وعشرين من رمضان اكراما لذلك اليوم الكريم وقياما بحقه

ومنها اطعام الناس في جميع البلاد ليلة المولد الكريم واجتماعهم لاقامة رسمه ومنها اعذار اليتامى من الصبيان وكسوتهم يوم عاشوراء ومنها صدقته على الزمنى والضعفاء بأزواج الحرث يقيمون بها أودهم ومنها صدقته على المساكين بحضرته بالطنافس الوثيرة والقطائف الجياد يفترشونها عند رقادهم وتلك مكرمة لا يعلم لها نظير ومنها بناء المرستانات في كل بلد من بلاده وتعيين الاوقاف الكثيرة لمؤن المرضى وتعيين الاطباء لمعالجتهم والتصرف في طبهم الى غير ذلك مما أبدع فيه من أنواع المكارم وضروب المآثر كافى الله أياديه وشكر نعمه وأما رفعه للمظالم عن الرعية فمنها الرتب التي كانت تؤخذ بالطرقات أمر أيده الله بمحو رسمها وكان لها مجبي عظيم فلم يلتفت اليه وما عند الله خير وأبقى وأما كفه أيدى الظلام فأمر مشهور وقد سمعته أيده الله يقول لعماله لا تظلموا الرعية ويؤكد عليهم في ذلك الوصية قال ابن جزي ولو لم يكن من رفق مولانا أيده الله برعيته الا رفعه التضييف الذي كانت عمال الزكاة وولاة البلاد تأخذه من الرعايا لكفى ذلك أثرا في العدل ظاهرا ونورا في الرفق باهرا فكيف وقد رفع من المظالم وبسط من المرافق مالا يحيط به الحصر وقد صدر في أيام تضييف هذا من أمره الكريم في الرفق بالمسجونين ورفع الوظائف الثقيلة التي كانت تؤخذ منهم ماهو اللائق باحسانه والمعهود من رأفته وشمل الامر بذلك جميع الاقطار وكذلك صدر من التنكيل بمن ثبت جوره من القضاة والحكام مافيه زجر الظلمة وردع المعتدين واما فعله في معاونة اهل الاندلس على الجهاد ومحافظته على امداد الثغور بالاموال والاقوات والسلاح وفته في عضد العدو باعداد العدد واظهار القوة فذلك أمر شهير لم يغب علمه عن اهل المغرب والمشرق ولا سبق اليه أحد من الملوك قال ابن جزي حسب المتشوف الى علم ماعند مولانا أيده الله من سداد القطر للمسلمين ودفاع القوم الكافرين ما فعله في فداء مدينة طرابلس افريقية فانها لما استولى العدو عليها ومد يد العدوان اليها ورأى أيده الله ان بعث الجيوش الى نصرتها لا يتأتى لبعد الاقطار كتب الى خدامه ببلاد افريقية ان يفدوها بالمال ففديت بخمسين ألف دينار من الذهب العين فلما بلغه خبر ذلك قال الحمد لله الذى استرجعها من أيدى

الكفار بهذا النزر اليسير وأمر للحين ببعث ذلك المدد الى افريقية وعادت المدينة الى الاسلام على يديه ولم يخطر في الاوهام ان أحدا تكون عنده خمسة قناطير من الذهب نزرا يسيرا حتى جاء بها مولانا أيده الله مكرمة بعيدة ومأثرة فائقة قل في الملوك أمثالها وعز عليهم مثالها ومما شاع من أفعال مولانا أيده الله في الجهاد انشاؤه الاجفان بجميع السواحل واستكثاره من عدد البحر وهذا في زمان الصلح والمهادنة اعدادا الايام الغزاة وأخذا بالحزم في قطع اطماع الكفار وأ كذلك بتوجهه أيده الله بنفسه الى جبال جاناتة في العام الفارط ليباشر قطع الخشب للانشاء ويظهر قدر ماله بذلك من الاعتناء ويتولى بذاته اعمال الجهاد مترجياً ثواب الله تعالى وموقنا بحسن الجزاء (رجع) ومن أعظم حسناته أيده الله عمارة المسجد الجديد بالمدينة البيضاء دار ملكه العلي وهو الذي امتاز بالحسن واتقان البناء واشراق النور وبديع الترتيب وعمارة المدرسة الكبري بالموضع المعروف بالقصر مما يجاور قصبة فاس ولا نظير لها في المعمور اتساعاً وحسناً وابداعاً وكثرة ماء وحسن وضع ولم أر في مدارس الشام ومصر والعراق وخراسان مايشبهها وعمارة الزاوية العظمي على غدير الحمص خارج المدينة البيضاء فلا مثل لها أيضاً في عجب وضعها وبديع صنعها وأبدع زاوية رأيتها بالشرق زاوية سرياقص (سرياقوس) التي بناها الملك الناصر وهذه أبدع منها وأشد إحكاما واتقاناً والله سبحانه ينفع مولانا أيده الله بمقاصده الشريفة ويكافيء فضائله المنيفة ويديم للاسلام والمسلمين أيامه وينصر ألويته المظفرة واعلامه ولنعد الى ذكر الرحلة فنقول ولما حصلت لي مشاهدة هذا المقام الكريم وعمني فضل احسانه العميم قصدت زيارة قبر الوالدة فوصلت الى بلدي طنجة وزرتها وتوجهت الى مدينة سبتة فأقمت بها أشهرا وأصابني بها المرض ثلاثة أشهر ثم عافاني الله فأردت ان يكون لي حظ من الجهاد والرباط فركبت البحر من سبتة في شطي لاهل أصيلا فوصلت الى بلاد الاندلس حرسها الله تعالى حيث الاجر موفور للساكن والثواب مذخور للمقيم والظاعن وكان ذلك إثر موت طاغية الروم الفونس وحصاره الجبل عشرة أشهر وظنه انه يستولي على ما بقي من بلاد الاندلس للمسلمين فاخذه الله من

حيث لم يحتسب ومات بالوباء الذي كان أشد الناس خوفا منه واول بلد شاهدته من البلاد الاندلسية جبل الفتح فلقيت به خطيبه الفاضل أبا زكريا يحيي بن السراج الرندي وقاضيه عيسى البربري وعنده نزلت وتطوفت معه على الجبل فرأيت عجائب ما بني به مولانا أبو الحسن رضى الله عنه وأعد فيه من العدد وما زاد على ذلك مولانا أيده الله ووددت أن لو كنت ممن رابط به الى نهاية العمر قال ابن جزى جبل الفتح هو معقل الاسلام المعترض شجى في حلوق عبدة الاصنام حسنة مولانا أبي الحسن رضي الله عنه المنسوبة اليه وقربته التي قدمها نوراً بين يديه محل عدد الجهاد ومقر آساد الاجناد والثغر الذى افتر عن نصر الايمان واذاق أهل الاندلس بعد مرارة الخوف حلاوة الأمان ومنه كان مبدأ الفتح الاكبر وبه نزل طارق بن زياد مولى موسى بن نصير عند جوازه فنسب اليه فيقال له جبل طارق وجبل الفتح لان مبدأه كان منه وبقايا السور الذي بناه ومن معه باقية الى الآن تسمى بسور العرب شاهدتها أيام اقامتي به عند حصار الجزيرة أعادها الله ثم فتحه مولانا أبو الحسن رضوان الله عليه واسترجعه من أيدى الروم بعد تملكهم له عشرين سنة ونيفا وبعث الى حصاره ولده الامير الجليل أبا مالك وأيده بالاموال الطائلة والعساكر الجرارة وكان فتحه بعد حصار ستة أشهر وذلك في عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة ولم يكن حينئذ على ما هو الآن عليه فبني به مولانا أبو الحسن رحمة الله عليه المأثرة العظمى بأعلى الحصن وكانت قبل ذلك برجا صغيراً تهدم بأحجار المجانيق فبناها مكانه وبنى به دار الصناعة ولم يكن به دار صنعة وبنى السور الاعظم المحيط بالتربة الحمراء الآخذ من دار الصنعة الى القرمدة ثم جدد مولانا أمير المؤمنين أبو عنان أيده الله عهد تحصينه وتحسينه وزاد بها بناء السور بطرف الفتح وهو أعظم أسواره غناء وأعمها نفعا وبعث اليه العدد الوافرة والاقوات والمرافق العامة وعامل الله تعالى فيه بحسن النية وصدق الاخلاص ولما كان في الاشهر الاخيرة من عام ستة وخمسين وقع بجبل الفتح ما ظهر فيه أثر يقين مولانا أيده الله وثمرة توكله في أموره على الله وبان مصداق ما اطرد له من السعادة الكافية وذلك ان عامل الجبل الخائن الذى ختم له بالشقاء عيسى بن الحسن بن أبي منديل نزع يده المغلولة

عن الطاعة وفارق عصمة الجماعة وأظهر النفاق وجمح في الغدر والشقاق وتعاطي ماليس من رجاله وعمي عن مبدإ حاله السيء ومآله وتوهم الناس ان ذلك مبدأ فتنه تنفق على اطفائها كرائم الاموال ويستعد لاتقائها بالفرسان والرجال فحكمت سعادة مولانا أيده الله ببطلان هذا التوهم وقضي صدق يقينه بانخراق العادة في هذا الفتنة فلم تكن الا أيام يسيرة وراجع أهل الجبل بصائرهم وثاروا على الثائر وخالفوا الشقي المخالف وقاموا بالواجب من الطاعة وقبضوا عليه وعلى ولده المساعد له في النفاق وأتي بهما مصفدين الى الحضرة العلية فنفذ فيهما حكم الله في المحاربين واراح الله من شرهما ولما خمدت نار الفتنة أظهر مولانا أيده الله من العناية ببلاد الاندلس مالم يكن في حساب أهلها وبعث الى جبل الفتح ولده الاسعد المبارك الارشد أبابكر المدعو من السماة السلطانية بالسعيد أسعده الله تعالى وبعث معه أنجاد الفرسان ووجوه القبائل وكفاة الرجال وأدر عليهم الارزاق ووسع لهم الاقطاع وحرر بلادهم من المغارم وبذل لهم جزيل الاحسان وبلغ من اهتمامه بأمور الجبل أن أمر أيده الله ببناء شكل يشبه شكل الجبل المذكور فمثل فيه أشكال اسواره وابراجه وحصنه وأبوابه ودار صنعته ومساجده ومخازن عدده وأهرية زرعه وصورة الجبل وما اتصل به من التربة الحمراء فصنع ذلك بالمشور السعيد فكان شكلا عجيبا أتقنه الصناع اتقانا يعرف قدره من شاهد الجبل وشاهد هذا المثال وما ذلك الا لتشوقه أيده الله الى استطلاع أحواله وتهممه بتحصينه واعداده والله تعالى يجعل نصر الاسلام بالجزيرة الغربية على يديه ويحقق مايؤمله في فتح بلاد الكفار وشت شمل عباد الصليب وتذكرت حين هذا التقييد قول الاديب البليغ المفلق أبي عبدالله محمد بن غالب الرصافي البلنسي رحمه الله في وصف هذا الجبل المبارك من قصيدته الشهيرة في مدح عبد المؤمن بن علي التي أولها (بسيط)

لو جئت نار الهدي من جانب الطور * قبست ماشئت من علم ومن نور

وفيها يقول في وصف الجبل وهو من البديع الذي لم يسبق اليه بعد وصفه السفن وجوازها

حتى رمت جبل الفتحين من جبل * معظم القدر في الاجبال مذكور
من شامخ الأنف في سحنائه طلس * له من الغيم جيب غير مزرور
تمسي النجوم على تكليل مفرقه * في الجو حائمة مثل الدنانير
فربما مسحته من ذوائبها * بكل فضل على فوديه مجرور
وادرد من ثناياه بما أخذت * منه معاجم أعواد الدهارير
محنك حلب الايام أشطرها * وساقها سوق حادي العير للعير
مقيد الخطو جوال الخواطر في * عجيب أمريه من ماض ومنظور
قدواصل الصمت والاطراق مفتكرا * بادي السكينة مغفر الاسارير
كأنه مكمد مما تعبده * خوف الوعيدين من دك وتسيير
أخلق به وجبال الارض راجفة * أن يطمئن غدا من كل محذور

ثم استمر في قصيدته على مدح عبد المؤمن بن علي قال ابن جزي ولنعد الى كلام الشيخ أبي عبد الله قال ثم خرجت من جبل الفتح الى مدينة رندة وهي من أمنع معاقل المسلمين وأجملها وضعا وكان قائدها اذ ذاك الشيخ أبو الربيع سليمان بن داود العسكري وقاضيها ابن عمي الفقيه أبو القاسم محمد بن يحيى بن بطوطه ولقيت بها الفقيه القاضي الاديب أبا الحجاج يوسف بن موسى المنتشاقري وأضافني بمنزله ولقيت بها أيضاً خطيبها الصالح الحاج الفاضل أبا اسحق ابراهيم المعروف بالشندرخ المتوفي بعد ذلك بمدينة سلا من بلاد المغرب ولقيت بها جماعة من الصالحين منهم عبد الله الصفار وسواه وأقمت بها خمسة أيام ثم سافرت منها الى مدينة مربلة والطريق فيما بينهما صعب شديد الوعورة ومربلة بليدة حسنة خصبة ووجدت بها جماعة من الفرسان متوجهين الى مالقة فأردت التوجه في صحبتهم ثم ان الله تعالى عصمني بفضله فتوجهوا قبلي فأسروا في الطريق كما سنذكره وخرجت في أثرهم فلما جاوزت حوز مربلة ودخلت في حوز سهيل مررت بفرس ميت في بعض الخنادق ثم مررت بقفة حوت مطروحة بالارض فرابني ذلك وكان أمامي برج الناظور فقلت في نفسي لو ظهر ههنا عدو لانذر به صاحب البرج ثم تقدمت الى دار

هنالك فوجدت عليه فرساً مقتولا فبينما أنا هنالك اذ سمعت الصياح من خلفي وكنت قد تقدمت أصحابي فعدت اليهم فوجدت معهم قائد حصن سهيل فاعلمني ان أربعة أجفان للعدو ظهرت هنالك ونزل بعض عمارتها الى البر ولم يكن الناظور بالبرج فمر بهم الفرسان الخارجون من مربلة وكانوا اثني عشر فقتل النصارى أحدهم وفر واحد وأسر العشرة وقتل معهم رجل حوات وهو الذى وجدت قفته مطروحة بالارض وأشار على ذلك القائد بالمبيت معه فى موضعه ليوصلنى منه الى مالقة فبت عنده بحصن الرابط المنسوبة الى سهيل والاجفان المذكورة مرساة عليه وركب معي بالغد فوصلنا الي مدينة مالقة احدى قواعد الاندلس وبلادها الحسان جامعة بين مرافق البر والبحر كثيرة الخيرات والفواكه رأيت العنب يباع في أسواقها بحساب ثمانية أرطال بدرهم صغير ورمانها المرسي الياقوتي لا نظير له فى الدنيا وأما التين واللوز فيجلبان منها ومن أحوازها الى بلاد المشرق والمغرب قال ابن جزى والى ذلك أشار الخطيب أبو محمد عبد الوهاب بن على المالقى فى قوله وهو من مليح التجنيس (سريع)

مالقة حييت ياتينها * فالفلك من أجلك ياتينها

نهي طبيبي عنك فى علة * مالطبيبي عن حياتي نها

وذيلها قاضى الجماعة أبو عبد الله بن عبد الملك بقوله فى قصد المجانسة (سريع)

وحمص لا تنس لها تينها * واذكر مع التين زياتينها

(رجع) وبمالقة يصنع الفخار المذهب العجيب ويجلب منها الى أقاصي البلاد ومسجدها كبير الساحة شهير البركة وصحنه لا نظير له في الحسن فيه أشجار النارنج البعيدة ولما دخلت مالقة وجدت قاضيها الخطيب الفاضل أبا عبد الله ابن خطيبها الفاضل أبي جعفر ابن خطيبها ولى الله تعالى أبي عبد الله الطنجالي قاعدا بالجامع الاعظم ومعه الفقهاء ووجوه الناس يجمعون مالا برسم فداء الاساري الذين تقدم ذكرهم فقلت له الحمد لله الذي عافاني ولم يجعلني منهم وأخبرته بما اتفق لي بعدهم فعجب من ذلك وبعث الي بالضيافة رحمه الله وأضافني أيضاً خطيبها أبو عبد الله الساحلي المعروف بالمعمم ثم سافرت

منها الى مدينة باش و بينهما أربعة وعشرون ميلا وهي مدينة حسنة بها مسجد عجيب وفيها الاعناب والفواكه والتين كمثل مابمالقة ثم سافرنا منها الى الحمة وهي بلدة صغيرة لها مسجد بديع الوضع عجيب البناء وبها العين الحارة على ضفة واديها وبينها وبين البلد ميل أو نحوه وهنالك بيت لاستحمام الرجال وبيت لاستحمام النساء ثم سافرت منها الى مدينة غرناطة قاعدة بلاد الاندلس وعروس مدنها وخارجها لا نظير له في بلاد الدنيا وهو مسيرة أربعين ميلا يخترقه نهر شنيل المشهور وسواه من الانهار الكثيرة والبساتين والجنان والرياضات والقصور والكروم محدقة بها من كل جهة ومن عجيب مواضعها عين الدمع وهو جبل فيه الرياضات والبساتين لا مثل لها بسواها قال ابن جزى لولا خشيت ان أنسب الى العصبية لأطلت القول في وصف غرناطة فقد وجدت مكانه ولكن ما اشتهر كاشتهارها لا معنى لاطالة القول فيه ولله در شيخنا أبي بكر محمد بن أحمد بن شيرين البسق نزيل غرناطة حيث يقول (طويل)

رعى الله من غرناطة متبوأ * يسر حزينا أو يجير طريداً
تبرم منها صاحبي عند ما رأى * مسارحها بالثلج عدن جليداً
هى الثغر صان الله من أهلت به * وما خير ثغر لا يكون برودا

﴿ رجع ذكر سلطانها ﴾

وكان ملك غرناطة في عهد دخولي اليها السلطان أبو الحجاج يوسف بن السلطان أبي الوليد اسماعيل بن فرج بن اسماعيل بن يوسف بن نصر ولم ألقه بسبب مرض كان به وبعثت الى والدته الحرة الصالحة الفاضلة بدنانير ذهب ارتفقت بها ولقيت بغرناطة جملة من فضلائها منهم قاضي الجماعة بها الشريف البليغ أبو القاسم محمد بن احمد بن محمد الحسيني السبتي ومنهم فقيهها المدرس الخطيب العالم أبو عبد الله محمد بن ابراهيم البياني ومنهم عالمها ومقرئها الخطيب ابو سعيد فرج بن قاسم الشهير بابن لب ومنهم قاضي الجماعة نادرة العصر وطرفة الدهر أبو البركات محمد بن محمد بن ابراهيم السلمي البلفيقي قدم عليها من المرية في تلك الايام فوقع الاجتماع به في بستان الفقيه أبي القاسم محمد بن الفقيه الكاتب الجليل أبي

عبدالله بن عاصم وأقمنا هنالك يومين وليلة قال ابن جزى كنت معهم في ذلك البستان ومتعنا الشيخ أبو عبدالله باخبار رحلته وقيدت عنه أسماء الاعلام الذين لقيهم فيها واستفدنا منه الفوائد العجيبة وكان معنا جملة من وجوه أهل غرناطة منهم الشاعر المجيد الغريب الشأن أبو جعفر أحمد بن رضوان بن عبد العظيم الجذامي وهذا الفتى أمره عجيب فانه نشأ بالبادية ولم يطلب العلم ولا مارس الطلبة ثم انه نبغ بالشعر الجيد الذي يندر وقوعه من كبار البلغاء وصدور الطلبة مثل قوله (رمل)

يامن اختار فؤادى منزلا * بابه العين التى ترمقه

فتح الباب سهادى بعدكم * فابعثوا طيفكم يغلقه

(رجع) ولقيت بغرناطة شيخ الشيوخ والمتصوفين بها الفقيه أبا علي عمر بن الشيخ الصالح الولي أبي عبدالله محمد بن المحروق وأقمت أياما بزاويته التي بخارج غرناطة وأكرمني أشد الاكرام وتوجهت معه الى زيارة الزاوية الشهيرة البركة المعروفة برابطة العقاب والعقاب جبل مطل على خارج غرناطة وبينهما نحو ثمانية أميال وهو مجاور لمدينة البيرة الخربة ولقيت أيضاً ابن أخيه الفقيه أبا الحسن على بن أحمد بن المحروق بزاويته المنسوبة للجام بأعلى ربض نجد من خارج غرناطة المتصل بجبل السبيكة وهو شيخ المتسببين من الفقراء وبغرناطة جملة من فقراء العجم استوطنوها لشبهها ببلادهم منهم الحاج أبو عبد الله السمرقندى والحاج أحمد التبريزي والحاج ابراهيم القونوي والحاج حسين الخراساني والحاجان على ورشيد الهنديان وسواهم ثم رحلت من غرناطة الى الحمة ثم الي بلش ثم الى مالقة ثم الى حصن ذكوان وهو حصن حسن كثير المياه والاشجار والفواكه ثم سافرت منه الى رندة ثم الى قرية بنى رياح فأنزلني شيخنا أبو الحسن على سليمان الرياحي وهو أحد كرماء الرجال وفضلاء الاعيان يطعم الصادر والوارد وأضافني ضيافة حسنة ثم سافرت الى جبل الفتح وركبت البحر فى الجفن الذى جزت فيه أولا وهو لاهل أصيلا فوصلت الى سبتة وكان قائدها اذذاك الشيخ أبو مهدى عيسى بن سليمان بن منصور وقاضيها الفقيه أبو محمد الزجندرى ثم سافرت منها الى أصيلا

وأقمت بها شهورا ثم سافرت منها الى مدينة سلا ثم سافرت من سلا فوصلت الى مدينة مراكش وهي من اجمل المدن فسيحة الارجاء متسعة الاقطار كثيرة الخيرات بها المساجد الضخمة كمسجدها الاعظم المعروف بمسجد الكتبيين وبها الصومعة الهائلة العجيبة صعدتها وظهر لي جميع البلد منها وقد استولى عليه الخراب فما شبهته الا ببغداد الا ان أسواق بغداد احسن وبمراكش المدرسة العجيبة التي تميزت بحسن الوضع واتقان الصنعة وهي من بناء الامام مولانا أمير المسلمين أبي الحسن رضوان الله عليه قال ابن جزي في مراكش يقول قاضيها التاريخي أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأوسي (بسيط)

لله مراكش الغراء من بلد * وحبذا أهلها السادات من سكن

ان حلها نازح الاوطان مغترب * أسلوه بالانس عن أهل وعن وطن

بين الحديث بها أو العيان لها * ينشا التحاسد بين العين والاذن

﴿رجع﴾ ثم سافرنا من مراكش صحبة الركاب العلي ركاب مولانا أيده الله فوصلنا الى مدينة سلا ثم الى مدينة مكناسة العجيبة الخضر النضرة ذات البساتين والجنات المحيطة بها بحائر الزيتون من جميع نواحيها ثم وصلنا الى حضرة فاس حرسها الله تعالى فوادعت بها مولانا أيده الله وتوجهت برسم السفر الى بلاد السودان فوصلت الى مدينة سجلماسة وهي من أحسن المدن وبها التمر الكثير الطيب وتشبهها مدينة البصرة في كثرة التمر لكن تمر سجلماسة أطيب وصنف ايرار منه لا نظير له في البلاد ونزلت منها عند الفقيه أبي محمد البشرى وهو الذى لقيت أخاه بمدينة قنجنفو من بلاد الصين فياشد ما تباعدا فاكرمني غاية الاكرام واشتريت بها الجمال وعلفتها أربعة أشهر ثم سافرت في غرة شهر الله المحرم سنة ثلاث وخمسين في رفقة مقدمها أبو محمد يندكان المسوفي رحمه الله وفيها جماعة من تجار سجلماسة وغيرهم فوصلنا بعد خمسة وعشرين يوما الى تغازى (وضبط اسمها بفتح التاء المثناة والغين المعجم وألف وزاى مفتوح) أيضاً وهي قرية لا خير فيها ومن عجائبها ان بناء بيوتها ومسجدها من حجارة الملح وسقفها من جلود

الجمال ولا شجر بها انما هي رمل فيه معدن الملح يحفر عليه في الارض فيوجد منه ألواح ضخام متراكبة كانها قد نحتت ووضعت تحت الارض يحمل الجمل منها لوحين ولا يسكنها الا عبيد مسوفة الذين يحفرون على الملح ويتعيشون بما يجلب اليهم من تمر درعة وسجلماسة ومن لحوم الجمال ومن انلى المجلوب من بلاد السودان ويصل السودان من بلادهم فيحملون منها الملح ويباع الحمل منه بايوالاتن بعشرة مثاقيل الى ثمانية وبمدينة مالي بثلاثين مثقالا الى عشرين وربما انتهى الى أربعين مثقالا وبالملح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة يقطعونه قطعا ويتبايعون به وقريه تغازي على حقارتها يتعامل فيها بالقناطير المقنطرة من التبر وأقمنا بها عشرة أيام في جهد لان ماءها زعاق وهي أكثر المواضع ذبابا ومنها يرفع الماء لدخول الصحراء التي بعدها وهي مسيرة عشرة لا ماء فيها الا في النادر ووجدنا نحن بها ماء كثيرا في غدران أبقاها المطر ولقد وجدنا في بعض الايام غديرا بين تلين من حجارة ماؤه عذب فتروينا منه وغسلنا ثيابنا والكمأة بتلك الصحراء كثير ويكثر القمل بها حتى يجعل الناس في اعناقهم خيوطا فيها الزئبق فيقتلها وكنا في تلك الايام نتقدم امام القافلة فاذا وجدنا مكانا يصلح للرعي رعينا الدواب به ولم نزل كذلك حتى ضاع في الصحراء رجل يعرف بابن زيري فلم أتقدم بعد ذلك ولا تأخرت وكان ابن زيري وقعت بينه وبين ابن خاله ويعرف بابن عدي منازعة ومشاتمة فتأخر عن الرفقة فضل فلما نزل الناس لم يظهر له خبر فأشرت على ابن خاله بأن يكتري من مسوفة من يقص أثره لعله يجده فأبي وانتدب في اليوم الثاني رجل من مسوفة دون أجرة لطلبه فوجد أثره وهو يسلك الجادة طورا ويخرج عنها تارة ولم يقع له على خبر ولقد لقينا قافلة في طريقنا فاخبرونا ان بعض رجال انقطعوا عنهم فوجدنا أحدهم ميتا تحت شجيرة من أشجار الرمل وعليه ثيابه وفي يده سوط وكان الماء على نحو ميل منه ثم وصلنا الى تاسرهلا (بفتح التاء المثناة والسين المهمل والراء وسكون الهاء) وهي احساء ماء تنزل القوافل عليها ويقيمون ثلاثة أيام فيستريحون ويصلحون أسقيتهم ويملؤنها بالماء ويخيطون عليها التلاليس خوف الريح ومن هنالك يبعث التكشيف

﴿ ذكر التكشيف ﴾

والتكشيف اسم لكل رجل من مسوفة يكتريه أهل القافلة فيتقدم الى ايوالاتن بكتب الناس الى أصحابهم بها ليكتروا لهم الدور ويخرجون للقائهم بالماء مسيرة أربع ومن لم يكن له صاحب بايوالاتن كتب الي من شهر بالفضل من التجار بها فيشاركه في ذلك وربما هلك التكشيف في هذه الصحراء فلا يعلم أهل ايوالاتن بالقافلة فيهلك أهلها أو الكثير منهم وتلك الصحراء كثيرة الشياطين فان كان التكشيف منفردا لعبت به واستهوته حتي يضل عن قصده فيهلك اذ لا طريق يظهر بها ولا أثر انما هي رمال تسفيها الريح فترى جبالا من الرمل في مكان ثم تراها قد انتقلت الي سواه والدليل هنالك من كثر ترددهو كان له قلب ذكي ورأيت من العجائب ان الدليل الذى كان لنا هو أعور العين الواحدة مريض الثانية وهو أعرف الناس بالطريق واكترينا التكشيف في هذه السفرة بمائة مثقال من الذهب وهو من مسوفة وفي ليلة اليوم السابع رأينا نيران الذين خرجوا للقائنا فاستبشرنا بذلك وهذه الصحراء منيرة مشرقة ينشرح الصدر فيها وتطيب النفس وهي آمنة من السراق والبقر الوحشية بها كثير يأتى القطيع منها حتى يقرب من الناس فيصطادونه بالكلاب والنشاب لكن لحمها يولد أكله العطش فيتحاماه كثير من الناس لذلك ومن العجائب ان هذه البقر اذا قتلت وجد في كروشها الماء ولقد رأيت أهل مسوفة يعصرون الكرش منها ويشربون الماء الذي فيه والحيات أيضا بهذه الصحراء كثيرة

(حكاية)

وكان في القافلة تاجر تلمسانى يعرف بالحاج زيان ومن عادته ان يقبض على الحيات ويعبث بها وكنت أنهاه عن ذلك فلا ينتهي فلما كان ذات يوم أدخل يده في جحر ضب ليخرجه فوجد مكانه حية فاخذها بيده وأراد الركوب فلسعته في سبابته اليمنى وأصابه وجع شديد فكويت يده وزاد ألمه عشي النهار فنحر جملا وأدخل يده في كرشه وتركها كذلك ليلة ثم تناثر لحم أصبعه فقطعها من الاصل وأخبرنا أهل مسوفة ان تلك الحية كانت قد شربت الماء قبل لسعه ولو لم تكن شربت لقتلته ولما وصل الينا الذين استقبلونا

بالمساء شربت خيلنا ودخلنا صحراء شديدة الحر ليست كالتي عهدناها وكنا نرحل بعد صلاة العصر ونسري الليل كله وننزل عند الصباح وتأتي الرجال من مسوفة وبردامة وغيرهم باحمال الماء للبيع ثم وصلنا الى مدينة أيوالاتن في غرة شهر ربيع الاول بعد سفر شهرين كاملين من سجلماسة وهي أول عمالة السودان ونائب السلطان بها فربا حسين وفربا (بفتح الفاء وسكون الراء وفتح الباء الموحدة) ومعناه النائب ولما وصلناها جعل التجار أمتعتهم في رحبة وتكفل السودان بحفظها وتوجهوا الي الفربا وهو جالس على بساط في سقيف وأعوانه بين يديه بأيديهم الرماح والقسي وكبراء مسوفة من ورائه ووقف التجار بين يديه وهو يكلمهم بترجمان على قربهم منه احتقاراً لهم فعند ذلك ندمت على قدومي بلادهم لسوء أدبهم واحتقارهم للابيض وقصدت دار ابن بداء وهو رجل فاضل من أهل سلا كنت كتبت له ان يكترى لي دارا ففعل ذلك ثم ان مشرف ايوالاتن ويسمى منشاجو (بفتح الميم وسكون النون وفتح الشين المعجم وألف وجيم مضموم وواو) استدعى من جاء في القافلة الي ضيافته فأبيت من حضور ذلك فعزم الاصحاب على أشد العزم فتوجهت فيمن توجه ثم أتي بالضيافة وهي جريش انلي مخلوطا بيسير عسل ولبن قد وضعوه في نصف قرعة صيروه شبه الجفنة فشرب الحاضرون وانصرفوا فقلت لهم ألهذا دعانا الاسود قالوا نعم وهو الضيافة الكبيرة عندهم فايقنت حينئذ ان لا خير يرتجي منهم واردت ان أسافر مع حجاج ايوالاتن ثم ظهر لى ان اتوجه لمشاهدة حضرة ملكهم وكانت اقامتي بايوالاتن نحو خمسين يوما وأكرمني أهلها وأضافوني منهم قاضيها محمد بن عبد الله بن ينومر وأخوه الفقيه المدرس يحيي وبلدة ايوالاتن شديدة الحر وفيها يسير نخيلات يزدرعون في ظلالها البطيخ وماؤهم من احساء بها ولحم الضأن كثير بها وثياب اهلها حسان مصرية واكثر السكان بها من مسوفة ولنسائها الجمال الفائق وهي اعظم شأنا من الرجال

(ذكر مسوفة الساكنين بايوالاتن)

وشأن هؤلاء القوم عجيب وأمرهم غريب فأما رجالهم فلا غيرة لديهم ولا ينتسب

أحدهم الى أبيه بل ينتسب لخاله ولا يرث الرجل الا أبناء أخته دون بنيه وذلك شي
ما رأيته في الدنيا الا عند كفار بلاد المليبار من الهنود واما هؤلاء فهم مسلمون محافظون
على الصلوات وتعلم الفقه وحفظ القرآن واما نساؤهم فلا يحتشمن من الرجال ولا
يحتجبن مع مواظبتهن على الصلوات ومن أراد التزوج منهن تزوج لكنهن لا يسافرن
مع الزوج ولو أرادت احداهن ذلك لمنعها اهلها والنساء هنالك يكون لهن الاصدقاء
والاصحاب من الرجال الاجانب وكذلك للرجال صواحب من النساء الاجنبيات
ويدخل أحدهم داره فيجد امرأته ومعها صاحبها فلا ينكر ذلك *(حكاية)*
دخلت يوما على القاضي بايوالاتن بعد اذنه في الدخول فوجدت عنده امرأة صغيرة السن
بديعة الحسن فلما رأيتها ارتبت واردت الرجوع فضحكت مني ولم يدركها خجل وقال
لي القاضي لم ترجع انها صاحبتي فعجبت من شأنهما فانه من الفقهاء الحجاج وأخبرت
انه استأذن السلطان في الحج في ذلك العام مع صاحبته لا أدري أهي هذه أم لا فلم يأذن له

(حكاية نحوها)

دخلت يوما على أبي محمد يندكان المسوفي الذي قدمنا في صحبته فوجدته قاعدا على بساط
وفي وسط داره سرير مظلل عليه امرأة معها رجل قاعد وهما يتحدثان فقلت له ما هذه
المرأة فقال هي زوجتي فقلت وما الرجل الذي معها فقال هو صاحبها فقلت له أترضى
بهذا وأنت قد سكنت بلادنا وعرفت امور الشرع فقال لي مصاحبة النساء للرجال عندنا
على خير وحسن طريقة لا تهمة فيها ولسن كنساء بلادكم فعجبت من رعونته وانصرفت
عنه فلم أعد اليه بعدها واستدعاني مرات فلم أجبه ولما عزمت على السفر الى مالي وبينها
وبين ايوالاتن مسيرة اربعة وعشرين يوما للمجد اكتريت دليلا من مسوفة اذ لا حاجة
الى السفر في رفقة لأمن تلك الطريق وخرجت في ثلاثة من أصحابي وتلك الطريق
كثيرة الاشجار وأشجارها عادية ضخمة تستظل القافلة بظل الشجرة منها وبعضها لا
أغصان لها ولا ورق ولكن ظل جسدها بحيث يستظل به الانسان وبعض تلك الاشجار
قد استأسن داخلها واستنقع فيه ماء المطر فكأنها بئر ويشرب الناس من الماء الذي فيها

ويكون في بعضها النحل والعسل فيشتاره الناس منها ولقد مررت بشجرة منها فوجدت في داخلها رجلا حائكا قد نصب بها مرمته وهو ينسج فعجبت منه قال ابن جزي ببلاد الاندلس شجرتين من شجر القسطل في جوف كل واحدة منهما حائك ينسج الثياب أحداهما بسند وادي آش والاخرى ببشارة غرناطة (رجع) وفي أشجار هذه الغابة التي بين ايوالاتن ومالي ما يشبه ثمرة الاجاص والتفاح والخوخ والمشمش وليست بها وفيها أشجار تثمر شبه الفقوس فاذا طاب انفلق عن شيء شبه الدقيق فيطبخونه ويأكلونه ويباع بالاسواق ويستخرجون من هذه الارض حبات كالفول فيقلونها ويأكلونها وطعمها كطعم الحمص المقلو وربما طحنوها وصنعوا منها شبه الاسفنج وقلوه بالغرتي والغرتي (بفتح الغين المعجم وسكون الراء وكسر التاء المثناة) وهو ثمر كالاجاص شديد الحلاوة مضر بالبيضان اذا أكلوه ويدق عظمه فيستخرج منه زيت لهم فيه منافع فمنها انهم يطبخون به ويسرجون السرج ويقلون به هذا الاسفنج ويدهنون به ويخلطونه بتراب عندهم ويسطحون به الدور كما تسطح بالجير وهو عندهم كثير متيسر ويحمل من بلد الى بلد في قرع كبار تسع القرعة منها قدر ما تسعه القلة ببلادنا والقرع ببلاد السودان يعظم ومنه يصنعون الجفان يقطعون القرعة نصفين فيصنعون منها جفنتين وينقشونها نقشا حسنا واذا سافر أحدهم يتبعه عبيده وجواريه يحملون فرشه وأوانيه التي يأكل ويشرب فيها وهي من القرع والمسافر بهذه البلاد لا يحمل زادا ولا اداما ولا دينارا ولا درهما انما يحمل قطع الملح وحلي الزجاج الذي يسميه الناس النظم وبعض السلع العطرية وأكثر ما يعجبهم منها القرنفل والمصطكي وتاسرغنت وهو بخورهم فاذا وصل قرية جاء نساء السودان بأنلي واللبن والدجاج ودقيق النبق والارز والفوني وهو كحب الخردل يصنع من الكسكسو والعصيدة ودقيق اللوبيا فيشتري منهن ما أحب من ذلك الا أن الأرز يضر أكله بالبيضان والفوني خير منه وبعد مسيرة عشرة أيام من أيوالاتن وصلنا الى قرية زاغري (وضبطها بفتح الزاي والغين المعجم وكسر الراء) وهي قرية كبيرة يسكنها تجار السودان ويسمون ونجراتة (بفتح الواو وسكون النون وفتح الجيم والرا

وألف وتاء مثناة وتاء تأنيث) ويسكن معهم جماعة من البيضان يذهبون مذهب الاباضية من الخوارج ويسمون صغنغو (بفتح الصاد المهمل والغين المعجم الاول والنون وضم الغين الثاني وواو) والسنيون المالكيون من البيض يسمون عندهم توري (بضم التاء المثناة وواو وراء مكسورة) ومن هذه القرية يجلب انلي الى ايوالاتن ثم سرنا من زاغرى فوصلنا الى النهر الاعظم وهو النيل وعليه بلدة كارسخو (بفتح الكاف وسكون الراء وفتح السين المهمل وضم الخاء المعجم وواو) والنيل يحدر منها الى كابرة (بفتح الباء الموحدة والراء) ثم الى زاغة (بفتح الزاى والغين المعجم) ولكابرة وزاغة سلطانان يؤديان الطاعة لملك مالي وأهل زاغة قدماء في الاسلام لهم ديانة وطلب للعلم ثم يحدر النيل من زاغة الى تنبكتو ثم الى كوكو وسنذكرهما ثم الى بلدة مولى (بضم الميم وكسر اللام) من بلاد الليميين وهي آخر عمالة مالي ثم الي يوفي واسمها (بضم الياء آخر الحروف وواو وفاء مكسورة) وهي من أكبر بلاد السودان وسلطانها من أعظم سلاطينهم ولا يدخلها الابيض من الناس لانهم يقتلونه قبل الوصول اليها ثم يحدر منها الى بلاد النوبة وهم على دين النصرانية ثم الى دنقلة وهي أكبر بلادهم (وضبطها بضم الدال والقاف وسكون النون بينهما وفتح اللام) وسلطانها يدعي بابن كنز الدين أسلم على أيام الملك الناصر ثم يحدر الي جنادل وهي آخر عمالة السودان وأول عمالة اسوان من صعيد مصر ورأيت التمساح بهذا الموضع من النيل بالقرب من الساحل كأنه قارب صغير ولقد نزلت يوما الى النيل لقضاء حاجة فاذا بأحد السودان قد جاء ووقف فيما بيني وبين النهر فعجبت من سوء أدبه وقلة حيائه وذكرت ذلك لبعض الناس فقال انما فعل ذلك خوفا عليك من التمساح فحال بينك وبينه ثم سرنا من كارسخو فوصلنا الى نهر صنصرة (بفتح الصادين المهملين والراء وسكون النون) وهو على نحو عشرة أميال من مالي وعادتهم ان يمنع الناس من دخولها الا بالاذن وكنت كتبت قبل ذلك لجماعة البيضان وكبيرهم محمد بن الفقيه الجزولي وشمس الدين بن النقويش المصري ليكتروا لي دارا فلما وصلت الى النهر

المذكور حزت في المدية ولم يمنعني أحد فوصلت الى مدينــة مالي حضرة ملك السودان فنزلت عند مقبرتها ووصلت الى محلة البيضان وقصدت محمد بن الفقيه فوجدته قد اكترى لي دارا ازاء داره فتوجهت اليها وجاء صــهره الفقيه المقري عبد الواحد بشمعة وطعام ثم جاء ابن الفقيه الى من الغد وشمس الدين (بن) النقويش وعلى الزودى المراكشى وهو من الطلبة ولقيت القاضي بمــالي عبد الرحمن جاءني وهو من السودان حاج فاضــل له مكارم أخلاق بعث الى بقرة في ضيافتــه ولقيت الترجمــان دوغا (بضم الدال وواو وغين معجم) وهو من أفاضل السودان وكبارهم وبعث الي بثور وبعث الي الفقيه عبد الواحــد غرارتين من الفوني وقرعة من الغرتي وبعث الي ابن الفقيه الأرز والفوني وبعث الي شمس الدين بضيافة وقاموا بحقي أتم قيام شكر الله حسن أفعالهم وكان ابن الفقيه متزوجا بينت عم السلطان فكانت تتفقدنا بالطعام وغيره وا كلنا بعد عشرة ايام من وصولنا عصيدة تصنع من شيء شبه القلقاس يسمي القافي (بقاف وألف وفاء) وهي عنــدهم مفضلة على سائر الطعام فاصبحنا جميعا مرضى وكنا ستة فمــات أحدنا وذهبت انا لصــلاة الصبح فغشى على فيها وطلبت من بعض المصريين دواء مسهلا فاتى بشيء يسمي بيــدر (بفتح البــاء الموحدة وتسكين الياء آخر الحروف وفتح الدال المهــمل وراء) وهو عروق نبات وخلطه بالانيسون والسكر ولته بالمــاء فشربته وتقيأت ما أكلته مع صفراء كثيرة وعافاني الله من الهلاك ولكني مرضت شهرين

(ذكر سلطان مالى)

وهو السلطان منسى سليمان ومنسى (بفتح الميم وسكون النون وفتح السين المهــمل) ومعناه السلطان وسليمان اسمه وهو ملك بخيــل لا يرجى منه كبير عطاء واتفق اني أقمت هذه المدة ولم أره بسبب مرضي ثم انه صنع طعاما برسم غداء مولانا أبي الحسن رضي الله الله عنه واســتدعي الامراء والفقهاء والقاضي والخطيب وحضرت معهم فأتوا بالربعات وختم القرآن ودعوا لمولانا أبي الحسن رحمه الله ودعوا لمنسى سليمان ولمــا فرغ من ذلك تقدمت فسلمت على منسي سليمان وأعلمه القاضي والخطيب وابن الفقيه بحالي فأجابهم

بلسانهم فقالوا لي يقول لك السلطان اشكر الله فقلت الحمد لله والشكر على كل حال

(ذكر ضيافتهم التافهة وتعظيمهم لها)

ولما انصرفت بعث الى الضيافة فوجهت الى دار القاضي وبعث القاضي بها مع رجاله الى دار ابن الفقيه فخرج ابن الفقيه من داره مسرعا حافي القدمين فدخل علي وقال قم قد جاءك قماش السلطان وهديته فقمت وظننت انها الخلع والاموال فاذا هي ثلاثة أقراص من الخبز وقطعة لحم بقري مقلو بالغرتي وقرعة فيها لبن رائب فعندما رأيتها ضحكت وطال تعجبي من ضعف عقولهم وتعظيمهم للشيء الحقير

(ذكر كلامي للسلطان بعد ذلك واحسانه الي)

وأقمت بعد بعث هذه الضيافة شهرين لم يصل الي فيهما شيء من قبل السلطان ودخل شهر رمضان وكنت خلال ذلك أتردد الى المشور وأسلم عليه واقعد مع القاضي والخطيب فتكلمت مع دوغا الترجمان فقال تكلم عنده وأنا أعبر عنك بما يجب فجلس في أوائل رمضان وقمت بين يديه وقلت له اني سافرت بلاد الدنيا ولقيت ملوكها ولي ببلادك منذ أربعة أشهر ولم تضفني ولا أعطيتني شيئا فماذا أقول عنك عند السلاطين فقال اني لم أرك ولا علمت بك فقام القاضي وابن الفقيه فردا عليه وقالا انه قد سلم عليك وبعثت اليه الطعام فأمر لي عند ذلك بدار انزل بها ونفقة تجري علي ثم فرق على القاضي والخطيب والفقهاء مالا ليلة سبع وعشرين من رمضان يسمونه الزكاة وأعطاني معهم ثلاثة وثلاثين مثقالا وثلثا وأحسن الي عند سفري بمائة مثقال ذهبا

(ذكر جلوسه بقبته)

وله قبة مرتفعة بابها بداخل داره يقعد فيها أكثر الاوقات ولها من جهة المشور طيقان ثلاثة من الخشب مغشاة بصفائح الفضة وتحتها ثلاثة مغشاة بصفائح الذهب أو هي فضة مذهبة وعليها ستور ملف فاذا كان يوم جلوسه بالقبة رفعت الستور فعلم انه يجلس فاذا جلس أخرج من شباك احدي الطاقات شرابة حرير قد ربط فيها منديل مصري مرقوم فاذا رأى الناس المنديل ضربت الاطبال والابواق ثم يخرج من باب القصر نحو

ثلاثمائة من العبيد في أيدي بعضهم القسي وفي أيدي بعضهم الرماح الصغار والدرق فيقف أصحاب الرماح منهم ميمنة وميسرة ويجلس أصحاب القسي كذلك ثم يؤتى بفرسين مسرجين ملجمين ومعهما كبشان يذكرون انهما ينفعان من العين وعند جلوسه يخرج ثلاثة من عبيده مسرعين فيدعون نائبه قنجا موسى وتأتى الفرارية (بفتح الفاء) وهم الامراء ويأتي الخطيب والفقهاء فيقعدون امام السلحدارية يمنة ويسرة في المشور ويقف دوغا الترجمان على باب المشور وعليه الثياب الفاخرة من الزردخانة وغيرها وعلى رأسه عمامة ذات حواشي لهم في تعميمها صنعة بديعة وهو متقلد سيفا غمده من الذهب وفي رجليه الخف والمهاميز ولا يلبس أحد ذلك اليوم خفا غيره ويكون في يده رمحان صغيران أحدهما من ذهب والآخر من فضة وأسنتهما من الحديد ويجلس الاجناد والولاة والفتيان ومسوفة وغيرهم خارج المشور في شارع هنالك متسع فيه أشجار وكل فراري بين يديه أصحابه بالرماح والقسي والاطبال والابواق وبوقاتهم من أنياب الفيلة وآلات الطرب المصنوعة من القصب والقرع وتضرب بالسطاعة ولها صوت عجيب وكل فراري له كنانة قد علقها بين كتفيه وقوسه بيده وهو راكب فرسا وأصحابه بين مشاة وركبان ويكون بداخل المشور تحت الطيقان رجل واقف فمن أراد أن يكلم السلطان كلم دوغا ويكلم دوغا لذلك الواقف ويكلم الواقف السلطان

﴿ ذكر جلوسه بالمشور ﴾

ويجلس أيضا في بعض الايام بالمشور وهنالك مصطبة تحت شجرة لها ثلاث درجات يسمونها البنبي (بفتح الباء المعقودة الاولى وكسر الثانية وسكون النون بينهما) وتفرش بالحرير وتجعل المخاد عليها ويرفع الشطر وهو شبه قبة من الحرير وعليه طائر من ذهب على قدر البازي ويخرج السلطان من باب في ركن القصر وقوسه بيده وكنانته بين كتفيه وعلى رأسه شاشية ذهب مشدودة بعصابة ذهب لها أطراف مثل السكاكين رقاق طولها أزيد من شبر وأكثر لباسه جبة حمراء موبرة من الثياب الرومية التي تسمى المطنفس ويخرج بين يديه المغنون بأيديهم قنابر الذهب والفضة وخلفه نحو ثلاثمائة من العبيد

أصحاب السلاح ويمشي مشيار ويداويكثر التأني وربما وقف ينظر في الناس ثم يصعد برفق كما يصعد الخطيب المنبر وعند جلوسه تضرب الطبول والابواق والانفار ويخرج ثلاثة من العبيد مسرعين فيدعون النائب والفرارية فيدخلون ويجلسون ويؤتي بالفرسين والكبشين معهما ويقف دوغا على الباب وسائر الناس في الشارع تحت الاشجار

(ذكر تذلل السودان لملكهم وتتريبهم له وغير ذلك من أحوالهم)

والسودان أعظم الناس تواضعاً لملكهم وأشدهم تذللا له ويحلفون باسمه فيقولون منسي سليمان كي فاذا دعا بأحدهم عند جلوسه بالقبة التي ذكرناها نزع المدعو ثيابه ولبس ثيابا خلقة ونزع عمامته وجعل شاشية وسخة ودخل رافعا ثيابه وسراويله الى نصف ساقه وتقدم بذلة ومسكنة وضرب الارض بمرفقيه ضربا شديداً ووقف كالراكع يسمع كلامه واذا كلم أحدهم السلطان فرد عليه جوابه كشف ثيابه عن ظهره ورمى بالتراب على رأسه وظهره كما يفعل المغتسل بالماء وكنت أعجب منهم كيف لا تعمي أعينهم واذا تكلم السلطان في مجلسه بكلام وضع الحاضرون عمائمهم عن رؤسهم وأنصتوا للكلام وربما قام أحدهم بين يديه فيذكر أفعاله في خدمته ويقول فعلت كذا يوم كذا وقتلت كذا يوم كذا فيصدقه من علم ذلك وتصديقهم أن ينزع أحدهم في وترقوسه ثم يرسلها كما يفعل اذا رمى فاذا قال له السلطان صدقت أو شكره نزع ثيابه وترب وذلك عندهم من الادب قال ابن جزى وأخبرني الصاحب العلامة الفقيه أبو القاسم بن رضوان أعزه الله انه لما قدم الحاج موسي الونجراتي رسولا عن منسي سليمان الي مولانا أبي الحسن رضي الله عنه كان اذا دخل المجلس الكريم حمل بعض ناسه معه قفة تراب فيترب مهما قال له مولانا كلاما حسنا كما يفعل ببلاده

(ذكر فعله في صلاة العيد وأيامه)

وحضرت بها عيد الاضحى والفطر فخرج الناس الي المصلى وهو بمقربة من قصر السلطان وعليهم الثياب البيض الحسان وركب السلطان وعلى رأسه الطيلسان والسودانه

لا يلبسون الطيلسان الا في العيد ماعدى القاضي والخطيب والفقهاء فانهم يلبسونه في سائر الايام وكانوا يوم العيد بين يدي السلطان وهم يهللون ويكبرون وبين يديه العلامات الحمر من الحرير ونصب عند المصلى خباء فدخل السلطان اليها وأصلح من شأنه ثم خرج الى المصلى فقضيت الصلاة والخطبة ثم نزل الخطيب وقعد بين يدي السلطان وتكلم بكلام كثير وهنالك رجل بيده رمح يبين للناس بلسانهم كلام الخطيب وذلك وعظ وتذكير وثناء على السلطان وتحريض على لزوم طاعته وأداء حقه ويجلس السلطان في أيام العيدين بعد العصر على البنبي وتأتي السلحدارية بالسلاح العجيب من تراكش الذهب والفضة والسيوف المحلاة بالذهب واغمادها منه ورماح الذهب والفضة ودبابيس البلور ويقف على رأسه أربعة من الامراء يشردون الذباب وفي أيديهم حلية من الفضة تشبه ركاب السرج ويجلس الفرارية والقاضي والخطيب على العادة ويأتي دوغاء الترجمان بنسائه الاربع وجواريه وهن نحو مائة عليهن الملابس الحسان وعلى رؤسهن عصائب الذهب والفضة فيها تفافيح وفضة وينصب لدوغا كرسي يجلس عليه ويضرب الآلة التي هي من قصب وتحتها قريعات ويغني بشعر يمدح السلطان فيه ريذكر غزواته وأفعاله ويغني النساء والجواري معه ويلعبن بالقسي ويكون معهن نحو ثلاثين من غلمانه عليهم جباب الملف الحمر وفي رؤسهم الشواشي البيض وكل واحد منهم متقلد طبله يضربه ثم يأتي أصحابه من الصبيان فيلعبون ويتقلبون في الهواء كما يفعل السندي ولهم في ذلك رشاقة وخفة بديعة ويلعبون بالسيوف أجمل لعب ويلعب دوغاء بالسيف لعبا بديعاً وعند ذلك يأمر السلطان له بالاحسان فيأتي بصرة فيها مائتا مثقال من التبر ويذكر له مافيها على رؤس الناس وتقوم الفرارية فينزعون في قسيهم شكرا للسلطان وبالغد يعطي كل واحد منهم لدوغاء عطاء على قدره وفي كل يوم جمعة بعد العصر يفعل دوغاء مثل هذا الترتيب الذي ذكرناه

﴿ ذكر الأضحوكة في انشاد الشعراء للسلطان ﴾

واذا كان يوم العيد وأتم دوغاء لعبه جاء الشعراء ويسمون الجلا (بضم الجيم) واحدهم

جالي وقد دخل كل واحد منهم في جوف صورة مصنوعة من الريش تشبه الشقشاق وجعل لها رأس من الخشب لها منقاراً أحمر كأنه رأس الشقشاق ويقفون بين يدي السلطان بتلك الهيئة المضحكة فينشدون أشعارهم وذكر لي ان شعرهم نوع من الوعظ يقولون فيه للسلطان ان هذا البنبي الذي عليه جلس فوقه من الملوك فلان وكان من أحسن أفعاله كذا وفلان وكان من أفعاله كذا فافعل أنت من الخير مايذكر بعدك ثم يصعد كبير الشعراء على درج البنبي ويضع رأسه في حجر السلطان ثم يصعد الى أعلى البنبي فيضع رأسه على كتف السلطان الايمن ثم على كتفه الايسر وهو يتكلم بلسانهم ثم ينزل وأخبرت ان هذا الفعل لم يزل قديما عندهم قبل الاسلام فاستمروا عليه (حكاية)

وحضرت مجلس السلطان في بعض الايام فأتي أحد فقهائهم وكان قدم من بلاد بعيدة وقام بين يدي السلطان وتكلم كلاما كثيرا فقام القاضي فصدقه ثم صدقهما السلطان فوضع كل واحد منهما عمامته عن رأسه وترب بين يديه وكان الى جانبي رجل من البيضان فقال لي أتعرف ماقالوه فقلت لا أعرف فقال ان الفقيه أخبر ان الجراد وقع ببلادهم فخرج أحد صلحائهم الى موضع الجراد فهاله أمرها فقال هذا جراد كثير فأجابته جرادة منها وقالت ان البلاد التي يكثر فيها الظلم يبعثنا الله لفساد زرعها فصدقه القاضي والسلطان وقال عند ذلك للامراء اني بريء من الظلم ومن ظلم منكم عاقبته ومن علم بظالم ولم يعلمني به فذنوب ذلك الظالم في عنقه والله حسيبه وسائله ولما قال هذا الكلام وضع الفرارية عمائمهم عن رؤسهم وتبرؤا من الظلم *(حكاية)*

وحضرت الجمعة يوما فقام أحد التجار من طلبة مسوفة ويسمي بابي حفص فقال يا أهل المسجد أشهدكم ان منسي سليمان في دعوتي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قال ذلك خرج اليه جماعة رجال من مقصورة السلطان فقالوا له من ظلمك من أخذ لك شيئاً فقال منشاجو ايوالاتن يعني مشرفها أخذ مني ماقيمته ستمائة مثقال وأراد ان يعطيني في مقابلته مائة مثقال خاصة فبعث السلطان عنه للحين فحضر بعد أيام وصرفهما للقاضي فثبت للتاجر حقه فأخذه وبعد ذلك عزل المشرف عن عمله *(حكاية)*

واتفق فى أيام اقامتي بمالي ان السلطان غضب على زوجته الكبري بنت عمه المدعوة بقاسا ومعنى قاسا عندهم الملكة وهي شريكته في الملك على عادة السودان ويذكر اسمها مع اسمه على المنبر وسجنها عند بعض الفرارية وولى في مكانها زوجته الاخري بنجو ولم تكن من بنات الملوك فأكثر الناس الكلام في ذلك وأنكروا فعله ودخل بنات عمه على بنجو يهنئنها بالملكة فجعلن الرماد على أذرعهن ولم يتربن رؤسهن ثم ان السلطان سرح قاسا من ثقافها فدخلن عليها بنات عمه يهنئنها بالسراح وتربن على العادة فشكت بنجو الى السلطان بذلك فغضب على بنات عمه فخفن منه واستجرن بالجامع فعفا عنهن واستدعاهن وعادتهن اذا دخلن على السلطان ان يتجردن عن ثيابهن ويدخلن عرايا ففعلن ذلك ورضي عنهن وصرن يأتين باب السلطان غدوا وعشياً مدة سبعة أيام وكذلك يفعل كل من عفا عنه السلطان وسارت قاسا تركب كل يوم في جواريها وعبيدها وعلى رؤسهم التراب وتقف عند المشور متنقبة لا يرى وجهها وأكثر الامراء الكلام في شأنها فجمعهم السلطان في المشور وقال لهم دوغا على لسانه انكم قد أكثرتم الكلام في أمر قاسا وانها أذنبت ذنباً كبيراً ثم أتي بجارية من جواريها مقيدة مغلولة فقيل لها تكلمي بما عندك فاخبرت ان قاسا بعثتها الى جاطل ابن عم السلطان الهارب عنه الى كنبرنى واستدعته ليخلع السلطان عن ملكه وقالت له أنا وجميع العساكر طوع أمرك فلما سمع الامراء ذلك قالوا ان هذا ذنب كبير وهي تستحق القتل عليه فخافت قاسا من ذلك واستجارت بدار الخطيب وعادتهم ان يستجيروا هنالك بالمسجد وان لم يتمكن فبدار الخطيب وكان السودان يكرهون منسى سليمان لبخله وكان قبله منسى مغا وقبل منسي مغا منسى موسي وكان كريما فاضلا يحب البيضان ويحسن اليهم وهو الذى اعطي لابي اسحق الساحلي في يوم واحد أربعة آلاف مثقال واخبرني بعض الثقات انه أعطي لمدرك بن فقوص ثلاثة آلاف مثقال في يوم واحد وكان جده سارق جاطة أسلم على يدى جد مدرك هذا

(حكاية)

وأخبرني الفقيه مدرك هذا ان رجلا من أهل تلمسان يعرف بابن شيخ اللبن كان قد أحسن الى السلطان منسي موسي في صغره بسبعة مثاقيل وثلث وهو يومئذ صبي غير معتبر

ثم اتفق ان جاء اليه في خصومة وهو سلطان فعرفه وأدناه وأدناه منه حتى جلس معه على البني ثم قرره على فعله معه وقال للامراء ما جزاء من فعل معه فعله من الخير فقالوا له الحسنة بعشر أمثالها فاعطه سبعين مثقالا فاعطاه عند ذلك سبعمائة مثقال وكسوة وعبيداً وخدماً وأمره ان لا ينقطع عنه وأخبرني بهذه الحكاية أيضا ولد ابن شيخ اللبن المذكور وهو من الطلبة يعلم القرآن بمالي

﴿ ذكر ما استحسنته من افعال السودان وما استقبحته منها ﴾

فمن افعالهم الحسنة قلة الظلم فهم أبعد الناس عنه وسلطانهم لا يسامح أحداً في شيء منه ومنها شمول الامن في بلادهم فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان ولو كان القناطير المقنطرة انما يتركونه بيد ثقة من البيضان حتى يأخذه مستحقه ومنها مواظبتهم للصلوات والتزامهم لها في الجماعات وضربهم أولادهم عليها واذا كان يوم الجمعة ولم يبكر الانسان الى المسجد لم يجد أين يصلي لكثرة الزحام ومن عادتهم ان يبعث كل انسان غلامه بسجادته فيبسطها له بموضع يستحقه بها حتى يذهب الى المسجد وسجاداتهم من سعف شجر يشبه النخل ولا ثمر له ومنها لباسهم الثياب البيض الحسان يوم الجمعة ولو لم يكن لاحدهم الا قميص خلق غسله ونظفه وشهد به الجمعة ومنها اعتناؤهم بحفظ القرآن العظيم وهم يجعلون لاولادهم القيود اذا ظهر في حقهم التقصير في حفظه فلا تفك عنهم حتى يحفظوه ولقد دخلت على القاضي يوم العيد وأولاده مقيدون فقلت له ألا تسرحهم فقال لا أفعل حتى يحفظوا القرآن ومررت يوما بشاب منهم حسن الصورة عليه ثياب فاخرة وفي رجله قيد ثقيل فقلت لمن كان معي ما فعل هذا أقتل ففهم عني الشاب وضحك وقيل لي انما قيد حتى يحفظ القرآن ومن مساوي افعالهم كون الخدم والجواري والبنات الصغار يظهرن للناس عرايا باديات العورات ولقد كنت أرى في رمضان كثيراً منهن على تلك الصورة فان عادة الفرارية أن يفطروا بدار السلطان ويأتي كل واحد منهم بطعامه تحمله العشرون فما فوقهن من جواريه وهن عرايا ومنها دخول النساء على السلطان عرايا غير مستترات وتعري بناته

ولقد رأيت في ليلة سبع وعشرين من رمضان نحو مائة جارية خرجن بالطعام من قصره عرايا ومعهن بنتان له ناهدان ليس عليهما ستر ومنها جعلهم التراب والرماد على رؤسهم تأدباً ومنها ماذكرته من الاضحوكة في انشاد الشعراء ومنها ان كثيراً منهم يأكلون الجيف والكلاب والحمير

﴿ ذكر سفري عن مالي ﴾

وكان دخولي اليها في الرابع عشر لجمادى الاولى سنة ثلاث وخمسين وخروجي عنها في الثاني والعشرين لمحرم سنة أربع وخمسين ورافقني تاجر يعرف بابي بكر بن يعقوب وقصدنا طريق ميمة وكان لي جمل أركبه لان الخيل غالية الاثمان يساوي أحدها مائة مثقال فوصلنا الى خليج كبير يخرج من النيل لايجاز الا في المراكب وذلك الموضع كثير البعوض فلا يمر أحد به الا بالليل ووصلنا الخليج ثلث الليل والليل مقمر

﴿ ذكر الخيل التي تكون بالنيل ﴾

ولما وصلنا الخليج رأيت على ضفته ست عشرة دابة ضخمة الخلقة فعجبت منها وظننتها فيلة لكثرتها هنالك ثم اني رأيتها دخلت في النهر فقلت لابي بكر بن يعقوب ماهذه الدواب فقال هي خيل البحر خرجت ترعى في البر وهي أغلظ من الخيل ولها أعراف وأذناب ورؤسها كرؤس الخيل وأرجلها كارجل الفيلة ورأيت هذه الخيل مرة أخرى لما ركبنا النيل من تنبكتو إلى كوكو وهي تعوم في الماء وترفع رؤسها وتنفخ وخاف منها أهل المركب فقربوا من البر لئلا تغرقهم ولهم حيلة في صيدها حسنة وذلك ان لهم رماحاً مثقوبة قد جعل في ثقبها شرائط وثيقة فيضربون الفرس منها فان صادفت الضربة رجله أو عنقه أنفذته وجذبوه بالحبل حتى يصل الى الساحل فيقتلونه ويأكلون لحمه ومن عظامها بالساحل كثير وكان نزولنا عند هذا الخليج بقرية كبيرة عليها حاكم من السودان حاج فاضل يسمي فربامغا (بفتح الميم والغين المعجم) وهو ممن حج مع السلطان منسي موسي لما حج

(حكاية)

أخبرني فربامغا ان منسى موسي لما وصل الى هذا الخليج كان معه قاض من البيضان

يكنى بابي العباس ويعرف بالدكالي فأحسن اليه بأربعة آلاف مثقال انفقته فلما وصلوا الي ميمة شكا الى السلطان بان الاربعة آلاف مثقال سرقت له من داره فاستحضر السلطان أمير ميمة وتوعده بالقتل ان لم يحضر من سرقها وطلب الامير السارق فلم يجد أحداولا سارق يكون بتلك البلاد فدخل دار القاضي واشتد على خدامه وهددهم فقالت له احدي جواريه ماضاع له شئ وانما دفنها بيده في ذلك الموضع وأشارت له الى الموضع فاخرجها الامير وآتى بها السلطان وعرفه الخبر فغضب على القاضي ونفاه الى بلاد الكفار الذين يأكلون بني آدم فأقام عندهم أربع سنين ثم رده الى بلده وانما لم يأكله الكفار لبياضه لانهم يقولون ان أكل الابيض مضر لانه لم ينضج والاسود هو النضج بزعمهم

(حكاية)

قدمت على السلطان منسى سليمان جماعة من هؤلاء السودان الذين يأكلون بني آدم معهم أمير لهم وعادتهم ان يجعلوا في آذانهم أقراطا كبارا وتكون فتحة القرط منها نصف شبر ويلتحفون في ملاحف الحرير وفي بلادهم يكون معدن الذهب فأكرمهم السلطان وأعطاهم في الضيافة خادما فذبحوها وأكلوها ولطخوا وجوههم وأيديهم بدمها وأتوا السلطان شاكرين وأخبرت ان عادتهم متي ماوفدوا عليه ان يفعلوا ذلك وذكرلي عنهم انهم يقولون ان أطيب مافي لحوم الآدميات الكف والثدي ثم رحلنا من هذه القرية التي عند الخليج فوصلنا الى بلدة قرى منساوقري (بضم القاف وكسر الراء) ومات لي بها الجمل الذي كنت أركبه فاخبرني راعيه بذلك فخرجت لأنظر اليه فوجدت السودان قد أكلوه كعادتهم في أكل الجيف فبعثت غلامين كنت استأجرتهما على خدمتي ليشتريالي جملا بزاغري وهي على مسيرة يومين وأقام معي بعض أصحاب أبي بكر بن يعقوب وتوجه هو لينتظرنا بميمة فاقمت ستة أيام أضافني فيها بعض الحجاج بهذه البلدة حتى وصل الغلامان بالجمل

(حكاية)

في أيام اقامتي بهذه البلدة رأيت ليلة فيما يرى النائم كأن انسانا يقول لي يا محمد بن بطوطة لا تقرأ سورة يس في كل يوم فمن يومئذ ماتركت قراءتها كل يوم في سفر ولا حضر

ثم رحلت الى بلدة ميمة (بكسر الميم الاول وفتح الثاني) فنزلنا على آبار بخارجها ثم سافرنا منها الى مدينة تنبكتو (وضبط اسمها بضم التاء المعلوة وسكون النون وضم الباء الموحدة وسكون الكاف وضم التاء المعلوة الثانية وواو) وبينها وبين النيل أربعة أميال وأكثر سكانها مسوفة أهل اللثام وحاكمها يسمي فربا موسى حضرت عنده يوما وقد قدم أحد مسوفة أميرا على جماعة فجعل عليه ثوبا وعمامة وسروالا كلها مصبوغة وأجلسه على درقة ورفعه كبراء قبيلته على رؤسهم وبهذه البلدة قبر الشاعر المفلق أبي إسحق الساحلي الغرناطي المعروف ببلده بالطويجن وبها قبر سراج الدين بن الكويك أحد كبار التجار من أهل الاسكندرية

(حكاية)

كان السلطان منسى موسي لما حج نزل بروض لسراج الدين هذا ببركة الحبش خارج مصر وبها نزل السلطان واحتاج الي مال فتسلفه من سراج الدين وتسلف منه أمراؤه أيضاً وبعث معهم سراج الدين وكيله يقتضي المال فاقام بمالي فتوجه سراج الدين بنفسه لاقتضاء ماله ومعه ابن له فلما وصل تنبكتو أضافه أبو اسحق الساحلي فكان من القدر موته تلك الليلة فتكلم الناس في ذلك واتهموا انه سم فقال لهم ولده اني أكلت معه ذلك الطعام بعينه فلو كان فيه سم لقتلنا جميعا لكنه انقضي أجله ووصل الولد الى مالي واقتضى ماله وانصرف الى ديار مصر ومن تنبكتو ركبت النيل في مركب صغير منحوت من خشبة واحدة وكنا ننزل كل ليلة بالقري فنشتري مانحتاج اليه من الطعام والسمن بالملح وبالعطريات وبحلي الزجاج ثم وصلت الى بلد أنسيت اسمه له أمير فاضل حاج يسمي فربا سليمان مشهور بالشجاعة والشدة لا يتعاطي أحد النزع في قوسه ولم أر في السودان أطول منه ولا أضخم جسما واحتجت بهذه البلدة الي شيء من الذرة فجئت اليه وذلك يوم مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وسألني عن مقدمي وكان معه فقيه يكتب له فاخذت لوحا كان بين يديه وكتبت فيه يافقيه قل لهذا الامير انا نحتاج الي شيء من الذرة للزاد والسلام وناولت الفقيه اللوح يقرأ مافيه سرا ويكلم الامير في ذلك بلسانه فقرأه جهرا وفهمه الامير فاخذ بيدي وادخلني الى مشور وبه سلاح كثير من الدرق والقسي

والرماح ووجدت عنده كتاب المدهش لابن الجوزي فجعلت اقرأ فيه ثم أتى بمشروب لهم يسمو الدقنو (بفتح الدال المهمل وسكون القاف وضم النون وواو) وهو ماء فيه جريش الذرة مخلوط بيسير عسل أو لبن وهم يشربونه عوض الماء لانهم ان شربوا الماء خالصاً أضر بهم وان لم يجدوا الذرة خلطوه بالعسل أو اللبن ثم أتى ببطيخ أخضر فأكلنا منه ودخل غلام خماسي فدعاه وقال لي هذا ضيافتك واحفظه لئلا يفر فاخذته وأردت الانصراف فقال أقم حتى يأتي الطعام وجاءت الينا جارية له دمشقية عربية فكلمتنى بالعربي فبينما نحن في ذلك أذ سمعنا صراخاً بداره فوجه الجارية لتعرف خبر ذلك فعادت اليه فاعلمته ان بنتاً له قد توفيت فقال انى لا أحب البكاء فتعال نمشي الي البحر يعنى النيل وله على ساحله ديار فاتي بالفرس فقال لى اركب فقلت لا أركبه وأنت ماش فمشينا جميعاً ووصلنا الى دياره على النيل وأتي بالطعام فاكلنا وودعته وانصرفت ولم أر في السودان أكرم منه ولا أفضل والغلام الذى أعطانيه باق عندي الي الآن ثم سرت الي مدينة كوكو وهي مدينة كبيرة على النيل من أحسن مدن السودان وأكبرها وأخصبها فيها الارز الكثير واللبن والدجاج والسمك وبها الفقوص العناني الذى لا نظير له وتعامل أهلها في البيع والشراء بالودع وكذلك أهل مالي واقمت بها نحو شهر وأضافني بها محمد بن عمر من أهل مكناسة وكان ظريفاً مزاحاً فاضلا وتوفي بها بعد خروجي عنه وأضافني بها الحاج محمد الوجدى التازى وهو ممن دخل اليمن والفقيه محمد الفيلالى امام مسجد البيضان ثم سافرت منها برسم تكدا في البر مع قافلة كبيرة للغدامسيين دليلهم ومقدمهم الحاج وجين (بضم الواو وتشديد الجيم المعقودة) ومعناه الذئب بلسان السودان وكان لى جمل لركوبي وناقة لحمل الزاد فلما رحلنا أول مرحلة وقفت الناقة فاخذ الحاج وجين ما كان عليها وقسمه على أصحابه فتوزعوا حمله وكان في الرفقة مغربي من أهل تادلي فابي أن يرفع من ذلك شيأ كما فعل غيره وعطش غلامي يوما فطلبت منه الماء فلم يسمح به ثم وصلنا الى بلاد برامة وهي قبيلة من البربر (وضبطها بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وفتح الدال ألف وميم مفتوح وتاء تأنيث) ولا تسير القوافل الا في خفارتهم والمرأة عندهم

في ذلك أعظم شأنا من الرجال وهم رحالة لا يقيمون وبيوتهم غريبة الشكل يقيمون أعوادا من الخشب ويضعون عليها الحصر وفوق ذلك أعواد مشتبكة وفوقها الجلود أو ثياب القطن ونساؤهم أتم النساء جمالا وابدعهن صورا مع البياض الباصع والسمن ولم أر في البلاد من يبلغ مبلغهن في السمن وطعامهن حليب البقر وجريش الذرة يشربنه مخلوطا بالماء غير مطبوخ عند المساء والصباح ومن أراد التزوج منهن سكن بهن في أقرب البلاد اليهن ولا يتجاوز بهن كوكو ولا ايولاتن وأصابني المرض في هذه البلاد لاشتداد الحر وغلبة الصفراء واجتهدنا في السير الى أن وصلنا الى مدينة تكدا (وضبطها بفتح التاء المعلوة والكاف المعقودة والدال المهمل مع تشديده) ونزلت بها في جوار شيخ المغاربة سعيد بن على الجزولى واضافني قاضيها أبو ابراهيم اسحق الجاناتى وهو من الافاضل وأضافني جعفر بن محمد المسوفي وديار تكدا مبنية بالحجارة الحمر وماؤها يجري على معادن النحاس فيتغير لونه وطعمه بذلك ولا زرع بها الا يسير من القمح يأكله التجار والغرباء ويباع بحساب عشرين مدا من امدادهم بمثقال ذهب ومدهم ثلث المد ببلادنا وتباع الذرة عندهم بحساب تسعين مدا بمثقال ذهب وهي كثيرة العقاب وعقاربها تقتل من كان صبيا لم يبلغ وأما الرجال فقلما تقتلهم ولقد لدغت يوما وأنا بها ولدا للشيخ سعيد بن على عند الصبح فمات لحينه وحضرت جنازته ولا شغل لاهل تكدا غير التجارة يسافرون كل عام الى مصر يجلبون من كل ما بها من حسان الثياب وسواها ولاهلها رفاهية وسعة حال ويتفاخرون بكثرة العبيد والخدم وكذلك أهل مالي وايولاتن ولا يبيعون المعلمات منهن الا نادرا وبالثمن الكثير

(حكاية)

أردت لما دخلت تكدا شراء خادم معلمة فلم أجدها ثم بعث الى القاضي أبو ابراهيم بخادم لبعض أصحابه فاشتريتها بخمسة وعشرين مثقالا ثم ان صاحبها ندم ورغب في الاقالة فقلت له ان دللتني على سواها أقلتك فدلني على خادم لعلي اغيول وهو المغربي التادلي الذى أبى أن يرفع شيئا من اسبابي حين وقعت ناقتي وأبى أن يسقي غلامي الماء حين عطش فاشتريتها منه وكانت خيرا من الاولي وأقلت صاحبي الاول ثم ندم هذا المغربي على بيع الخادم ورغب

في الاقالة وألح في ذلك فابيت الآن أجازيه بسوء فعله فكاد أن يجن أو يهلك أسفا ثم أقلته بعد

(ذكر معدن النحاس)

ومعدن النحاس بخارج تكدا يحفرون عليه في الارض ويأتون به الى البلد فيسبكونه في دورهم يفعل ذلك عبيدهم وخدمهم فاذا سبكوه نحاسا أحمر صنعوا منه قضبانا في طول شبر ونصف بعضها رقاق وبعضها غلاظ فتباع الغلاظ منها بحساب أربعمائة قضيب بمثقال ذهب وتباع الرقاق بحساب ستمائة بمثقال وهي صرفهم يشترون برقاقها اللحم والحطب ويشترون بأغلاظها العبيد والخدم والذرة والسمن والقمح ويحملون النحاس منها الي مدينة كوبر بلاد من الكفار والى زغاي والى بلاد برنو وهي على مسيرة أربعين يوما من تكدا وأهلها مسلمون لهم ملك اسمه ادريس لا يظهر للناس ولا يكلمهم الا من وراء حجاب ومن هذه البلاد يؤتى بالجواري الحسان والفتيان وبالثياب المجسدة ويحمل النحاس أيضاً منها الي جوجوة وبلاد المورتبين وسواها

(ذكر سلطان تكدا)

وفي أيام اقامتي بها توجه القاضي أبو ابراهيم والخطيب محمد والمدرس أبو حفص والشيخ سعيد بن علي الي سلطان تكدا وهو بربري يسمي ازار (بكسر الهمزة وزاي وألف وراء) وكان على مسيرة يوم منها ووقعت بينه وبين التكركرى وهو من سلاطين البربر أيضاً منازعة فذهبوا الى الاصلاح بينهما فاردت أن القاه فاكتريت دليلا وتوجهت اليه واعلمه المذكورون بقدومي فجاء الى راكباً فرساً دون سرج وتلك عادتهم وقد جعل عوض السرج طنفسة حمراء بديعة وعليه ملحفة وسراويل وعمامة كلها زرق ومعه أولاد أخته وهم الذين يرثون ملكه فقمنا اليه وصافحناه وسأل عن حالي ومقدمي فأعلم بذلك وأنزلني بيت من بيوت الينا طيين وهم كالوصفان عندنا وبعث برأس غنم مشوى في السفود وقعب من حليب البقر وكان في جوار نا بيت أمه وأخته فجاءتا الينا وسلمتا علينا وكانت أمه تبعث لنا الحليب بعد العتمة وهو وقت حلبهم ويشربونه ذلك الوقت وبالغدو وأما الطعام فلا

لمونه ولا يعرفونه وأقمت عندهم ستة أيام وفي كل يوم ما يبعث بكبشين مشويين عند الصباح والمساء وأحسن الي بناقة وعشرة مثاقيل من الذهب وانصرفت عنه وعدت الى تكدا

(ذكر وصول الامر الكريم الى)

لما عدت الى تكدا وصل غلام الحاج محمد بن سعيد السجلماسي بأمر مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين المتوكل على رب العالمين آمرالى بالوصول الى حضرته العلية فقبلته وامتثلته على الفور واشتريت جملين لركوبي بسبعة وثلاثين مثقالا وثلث وقصدت السفر الى توات ورفعت زاد سبعين ليلة اذ لا يوجد الطعام فيما بين تكدا وتوات انما يوجد اللحم واللبن والسمن يشترى بالاثواب وخرجت من تكدا يوم الخميس الحادي عشر لشعبان سنة أربع وخمسين في رفقة كبيرة فيهم جعفر التواتي وهو من الفضلاء ومعنا الفقيه محمد بن عبد الله قاضي تكدا وفي الرفقة نحو ستمائة خادم فوصلنا الى كاهر من بلاد السلطان الكركرى وهي أرض كثيرة الاعشاب يشتري بها الناس من برابرها الغنم ويقددون لحمها ويحمله أهل توات الي بلادهم ودخلنا منها الي برية لا عمارة بها ولا ماء وهي مسيرة ثلاثة أيام ثم سرنا بعد ذلك خمسة عشر يوما في برية لا عمارة بها الا ان بها الماء ووصلنا الى الموضع الذى يفترق به طريق غات الآخذ الى ديار مصر وطريق توات وهنالك احساء ماء يجرى على الحديد فاذا غسل به الثوب الابيض اسود لونه وسرنا من هنالك عشرة أيام ووصلنا الى بلاد هكار وهم طائفة من البربر ملثمون لا خير عندهم ولقينا أحد كبرائهم فحبس القافلة حتي غرموا له أثوابا وسواها وكان وصولنا الى بلادهم في شهر رمضان وهم لا يغيرون فيه ولا يعترضون القوافل واذا وجد سراقها المتاع بالطريق في رمضان لم يعرضوا له وكذلك جميع من بهذه الطريق من البرابر وسرنا في بلاد هكار شهرا وهي قليلة النبات كثيرة الحجارة طريقها وعر ووصلنا يوم عيد الفطر الي بلاد برابر أهل لثام كهؤلاء فاخبرونا باخبار بلادنا وأعلمونا أن أولاد خراج وابن يغمور

وهي من أكبر قرى توات وأرضها رمال وسباخ وتمرها كثير ليس بطيب لكن اهل
يفضلونه على تمر سلجماسة ولا زرع بها ولا سمن ولا زيت وانما يجلب لها ذلك من بلاد
المغرب وأكل أهلها التمر والجراد وهو كثير عندهم يختزنونه كما يختزن التمر ويقتاتون به
ويخرجون الى صيده قبل طلوع الشمس فانه لا يطير اذذاك لاجل البرد وأقمنا ببودا أياما
ثم سافرنا في قافلة ووصلنا في أوسط ذي القعدة الي مدينة سلجماسة وخرجت منها في
ثاني ذي الحجة وذلك أوان البرد الشديد ونزل بالطريق ثلج كثير ولقد رأيت الطرق
الصعبة والثلج الكثير ببخاري وسمرقند وخراسان وبلاد الاتراك فلم أر أصعب من
طريق أم جنيبة ووصلنا ليلة عيد الاضحي الى دار الطمع فاقمت هنالك يوم الاضحي ثم
خرجت فوصلت الى حضرة فاس حضرة مولانا أمير المؤمنين أيده الله فقبلت يده الكريمة
وتيمنت بمشاهدة وجهه المبارك وأقمت في كنف احسانه بعد طول الرحلة والله تعالى
يشكر ما أولانيه من جزيل احسانه وسابغ امتنانه ويديم أيامه ويمتع المسلمين بطول
بقائه وههنا انتهت الرحلة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار
وكان الفراغ من تقييدها في ثالث ذي الحجة عام ستة وخمسين وسبعمائة والحمد لله وسلام
على عباده الذين اصطفى

﴿ قال ابن جزى ﴾

انتهي ما لخصته من تقييد الشيخ أبي عبد الله محمد بن بطوطة أكرمه الله ولا يخفى على
ذي عقل أن هذا الشيخ هو رحال العصر ومن قال رحال هذه الملة لم يبعد ولم يجعل بلاد
الدنيا للرحلة واتخذ حضرة فاس قرارا ومستوطنا بعد طول جولانه الا لما تحقق ان
مولانا أيده الله أعظم ملوكها شأنا وأعمهم فضائل وأكثرهم احسانا وأشدهم بالواردين
[illegible] من ينتمي الى طلب العلم حماية فيجب على مثلي أن يحمد الله تعالى لأن
[illegible] رحاله لاستيطان هذه الحضرة التي اختارها هذا الشيخ بعد رحله
[illegible] انها النعمة لا يقدر قدرها ولا يوفى شكرها والله تعالى يرزقنا الاعانة

المنقطعين اليه أفضل جزاء المحسنين اللهم وكما فضلته على الملوك بفضيلتى العلم والدين وخصصته بالحلم والعقل الرصين فدملكه أسباب التأييد والتمكين وعرفه عوارف النصر العزيز والفتح المبين واجعل الملك في عقبه الى يوم الدين وأره قرة العين في نفسه وبنيه وملكه ورعيته ياأرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا ومولانا ونبينا محمد خاتم النبيين وامام المرسلين والحمد لله رب العالمين

يقول راجى عفو رب البريه عبد الجواد خلف المصحح بالمطبعة الخيريه

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ نحمدك يامن منك كل خير ونحله ومنك السلامة في كل اقامة و(رحله) ونصلى ونسلم على من أسفر قناع الشريعة الغراء أى أسفار المبعوث بعجائب الآيات وغرائب الاخبار سيدنا محمد وصحبه وآله ومن اقتفى أثره فى أقواله وأفعاله ﴿ وبعد ﴾ فقد تم طبع هذا الكتاب المشتمل مع صغر حجمه على العجب العجاب المسمى (تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) للامام ابى عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن بطوطة رحمه الله ومن رحيه المختوم سقاه فارواه بالمطبعة الخيرية العامره بمصر المعزية القاهره لمالكها ومديرها المتوكل على العزيز الوهاب حضرة السيد (عمر حسين الخشاب) وذلك فى شهر صفر سنة ١٣٢٣ من هجرة ذى الجاه العظيم والنور الاتم سيدنا محمد الذى افتتح الله به الوجود وبه عقد النبوة

ختم

﴿ فهرست الجزء الثاني من كتاب رحلة ابن بطوطه ﴾

تمت فهرست الجزء الثاني